# الرئيـــس والجاســـوس

المؤلف

جابر عبد السلام هلال

obeikandl.com

# الرئيس والجاسوس

**تأليف**

**جابر عبد السلام هلال**

**تصميم الغلاف :**

**سامر محمود**

**التنسيق الداخلى :**

**رفعت حسن سيد سالم**

**الناشر:**

**دار العلوم للنشر والتوزيع**

**رقم الإيداع :**

2005/5546

**الترقيم الدولى:**

977-380-045-8

**الطبعة الأولى:** 1426 هـ / 2005 م

**العنوان:**

43ب شارع رمسيس ـ أمام جمعية الشبان المسلمين ـ

الدور السادس ـ شقة 71 ـ معروف .

**المراسلات:**

**ص ب:** 202 **محمد فريد** 11518 **القاهرة**

**هاتف:** 5761400(202)

**فاكس:** 5799907(202)

**إدارة المبيعات:**

0101636192 ـ 0124940270

**البريد الإلكترونى :**

Info@daralaloom.com

daralaloom@hotmail.com

WWW.daralaloom.com

**حقوق الطبع والنشر محفوظة للناشر**

obeikandi.com

# إهداء

إلى سيادة رئيس جمهورية مصر العربية الرئيس/ محمد حسني مبارك.

وسيادة القائد النبيل الوزير/ عمر سليمان رئيس المخابرات العامة.

وسيادة الأستاذ/ محمد حسين ياسين (بيروت).

وسيادة الدكتور/ أحمد فرغلي حسن عميد كلية التجارة جامعة القاهرة.

وإلى أبنائي الذين علموني الحياة.. الأمورة سارة (تجارة إنجليزي جامعة القاهرة)، أمال (كلية الإعلام جامعة القاهرة)، ربيع، فيروز، خالد، خديجة.

وإلى شهداء الحروب الأبرار، وإلى أخي المقيم بسويسرا الأستاذ/ ربيع عبد السلام هلال، أهدي هذا العمل الوطني القومي.

المؤلف

obeikandl.com

obeikandl.com

# الفصل الأول

كان سليمان يعيش فى مصر موطنه الأصلي.. وأخذ يتنقل من عمل إلى عمل ومن مكان إلى مكان حتى استقر به الحال بعض الوقت فى معسكرات الجيش الإنجليزي في هذا الوقت ثم ضاق به الحال فانتقل إلى أرض فلسطين ليعمل في حدائق البرتقال والزيتون وشجعه على الإقامة هناك الأجور المجزية التي كان يتقاضاها لقاء عمله هذا.. ومضى الوقت فتزوج واستقر بأسرته هناك ورزقه الله بأول أبنائه الذي لم يكد يمر عامان على مولده حتى كان أخوه وجدي قد لحقه فى هذه الحياة.

وعاش سليمان يحلم ببيت صغير يشتريه ببعض مدخراته من عمله هذا فى وطنه الأصلي مصر.. وكبر وجدي وتدرج في مراحل التعليم المختلفة حتى عادت الأسرة إلى مصر بعد حرب 1948م واستقرت في بيتها الذي اشترته بإحدى ضواحي القاهرة. وظل وجدي يتقدم في دراسته حتى أوشك على دخول الجامعة بعد حصوله على التوجيهية.. وكانت أحلامه تتنامى بدراسة الاقتصاد السياسي والتاريخ.. ولكنه تحت ضغط والده وإلحاحه التحق بالجيش وعمره تسعة عشر عامًا وتخلى مؤقتًا عن فكرة الدراسة وأصبح جنديًا في الجيش المصري.

وكان وجدي يشغل فؤاده بالوطنية وحب الوطن شأنه في ذلك شأن زملائه الجنود.. وكانت هذه الميزة مما يميز الشباب المصري في ذلك الوقت.. وكان حماسه مشتعلاً بالوطنية وشارك في حرب 1956م في سيناء أمام قوات الجيش الإسرائيلي.. وأصيب في أثناء القتال برصاصة في ساقه نقل بسببها إلى المستشفى العسكري.. وكانت الفرصة متاحة هناك لمواصلة الدراسة.. وعاد مرة ثانية إلى جبهة القتال لكنه ما لبث أن أصيب مرة أخرى وكانت الإصابة خطيرة مما حال

دون عودته إلى القتال مرة ثالثة، وكان حماسه قد خفت حدته وراح يتذكر طفولته بين اليهود في فلسطين، وأخذ يتذكر ما كان يقرؤه من مبادئ الصهيونية ودعوتها التوسعية وسرعان ما وجد نفسه يفكر لماذا قامت الحرب؟ وبدأ يشعر بالشقاء والتعاسة رغم أنه اعتبر غير لائق للخدمة مرة أخرى.. وأصبح يشعر بالعزلة والجوع في كل مكان يذهب إليه.. خاصة بعد أن صار مألوفًا رؤية مدينة في حالة حرب بعد تدخل مصر في حرب اليمن.. وصارت هناك بعض التيارات التي تشيع اليأس بين الناس في هذه المرحلة كانت هناك لقاءات واتصالات بينه وبين بعض الأصدقاء الذين شاركوا في حرب اليمن.

وبعدها حدث أول اتصال حقيقي بينه وبين بعض العناصر الصهيونية التي كانت لها علاقات تجارية وسياحية مع مصر، وأعار أفكارهم أذنًا واعية وحصل منهم على بعض مصادر التعاليم الصهيونية.. ورسخ في يقينه أن الحرب في اليمن لها وجه آخر، فهي مصيدة لاستنزاف الجيش المصري تمهيدًا للقضاء على النظام الناهض.

وعندما أقبلت سنة 1967م كانت الجيوش العربية قد لقيت ضربة ساحقة من الجيش الإسرائيلي وانسحب الجيش المصري من سيناء في فوضى وارتباك من معدلات الخسائر مما دفع بالجنود إلى مأزق ضيق.

وراح الناس يلعقون جراحهم ويلتمسون لقمة العيش، وكانت الحرب قد استنزفت كثيرًا من الموارد وعانى الناس من مشاكل في الغذاء والسكن والغلاء، وانشغل الناس بالبحث عن أسباب الهزيمة.. ووجدت الأسباب والأفكار السلبية مناخًا خصبًا للنمو.. وكانت معاناة الهزيمة فضلاً من معاناة الفقر صدمة عنيفة لوجدي وهو في مقتبل العمر وكان قد أتم دراسة في جامعة القاهرة وشارك في مظاهرات الطلبة بعد الهزيمة وواصل رحلته العلمية فحصل على درجة الدكتوراه في العلوم السياسية.

وظل وجدي فترة من الوقت يلقى دروسًا على الطلبة في الجامعات المختلفة وذاعت شهرته بين تلاميذه لجدارته وكفاءته وقد أصبحوا يحبونه بقامته الطويلة وقوامه النحيف وهو يلقى عليهم قصصًا من الحرب.

ولكن بمرور الوقت تبين للمسئولين أن الدرس الذي يلقيه على تلاميذه لم يكن مدرجًا في خطة منهج الدراسة بل كان حديثًا عن الأفكار الصهيونية والدعوة لها.

وكان أن طرد من الجامعة وحرم من التدريس.. وظل يبحث عن عمل حتى التحق بأحد الفنادق السياحية حيث أشرف على إدارة العلاقات العامة.. واستطاع بحيويته وقوة شخصيته أن يفوز بحب رؤسائه ومرؤوسيه.. حتى ضبط ذات مرة وهو يدعو للأفكار الصهيونية بين رواد الفندق وبعض العاملين.

وترتب على ذلك طرده من العمل، وأضفت عليه هذه الواقعة شهرة ورأى فيه أصحاب الاتجاهات الموالية للصهيونية بذرة طيبة للعمل معهم ورأوا فيه شخصًا مختلفًا عن الملايين الذين يتنقلون من مكان إلى آخر بحثًا عن الطعام ولا يعبئون بشيء آخر.

وفي الليلة التي ترك فيها الفندق تحول إلى ناحية من المدينة المزدحمة حيث يسكن بيتًا متواضعًا في إحدى ضواحيها، وكان معه من المال ما يكاد يبقيه أيامًا، أو أسبوعًا في أحسن الأحوال.

وقبل أن يصعد الدرجات المؤدية إلى الباب الأمامي ظهر أمامه رجل يرتدي ملابس كاملة.. وقال له بصوت هادئ: (كنت بانتظارك أيها الزميل.. هيا بنا إلى غرفتك حتى نستطيع الحديث).

شعر وجدي بتجمد أطرافه، فقد كان هذا الشخص هو هنري رئيس إحدى الخلايا الصهيونية السرية ويعمل بقطاع السياحة، وهو يهودي من أصل

فرنسي.. وهو رجل يخشى جانبه.. وأهل للاحترام ولكن لم يكن محبوبًا على الإطلاق.

وفي غرفة وجدي أعد هنري لنفسه جلسة مريحة على الفراش، بينما أعد وجدي أقداح الشراب مما كان يحصل عليه من الفندق.. وتبادلا الشراب في صمت.

وكان ينتظر من هنري أن يوضح له أسباب هذه الزيارة وكيف يتجاوز التعليمات الصارمة بألا يزور أعضاء الخلية بعضهم في منازلهم.

فى الوقت نفسه كان هنري يحاول أن ينظم تفكيره لكي يتخلص من حالة القلق التي كانت تساوره دائمًا كلما واجه وجدي بنظراته الثابتة وطباعه الباردة.. ثم دخل فجأة في حديث مثالي ليستمد منه القوة واستعرض فيه مقدرة الصهيونية وأهدافها وأمالها في الوصول إلى حل مشاكل العالم السياسية.. وحينئذ أخذ وجدي يتحرك في مقعده قلقًا حيث أثارته تلك الدعاية النموذجية التي يعرفها عن ظهر قلب وبدت عليه مظاهر الضجر فملأ لنفسه قدحًا آخر وهنا سكت هنري عن الكلام.. ثم قال لوجدي في شيء من الرقة: (يبدو أنك تشرب كثيرًا من هذا الصنف). فرد عليه وجدي في مرح: (أعرف ذلك).

فابتسم هنري وأخذ يلاحظ وجدي وهو يملأ قدحًا ثالثًا ثم سأله في هدوء: (هل أنت على استعداد لمغادرة مصر لفترة طويلة الأجل؟).

ولم يظهر على وجدي ما يشير إلى شعوره بأي صدمة التي من المؤكد أنه شعر بها.. ولكنه سيطر على جوارحه وأغمض عينيه، وهذه ميزة فيه تدل على أنه قد أثير شعوره، ثم قال لهنري في شيء من البرود: (استمر في حديثك).

فبادله هنري نفس الشعور وقال: (إذا قبلت فسوف تقضي بضع سنوات في الخارج، وقد تصبح منفيًا من مصر.. ولست على يقين من المهمة التي ستقوم بها،

ولكني أنبهك إلى أنك سوف تقضي شهورًا في تدريبات ويحتاج هذا إلى صبر وأناة).

فسأله وجدي في لهفة: (وإلى أين أذهب؟).

ورد عليه هنري: (ستذهب إلى تل أبيب).

وكان هذا أملاً لوجدي كثيرًا ما داعب خياله وزاره في أحلامه فقال: "تل أبيب: لقد رأيت في منامي أني سأذهب إلى هناك.. ولكني لم أظن أبدا أن يكون الأمر بهذا الشكل، وقد لا تعلم أني كنت في طفولتي هناك.. فما هو هذا التدريب الخاص؟ وماذا يريدون مني؟".

وفجأة أصبح هنري غاية في الرقة والوداعة.. واستشعر بالميل نحو وجدي ثم قال له وهو يعزف على وتر مشاعره: (ربما هناك شيء يتعلق بطفولتك.. فلديهم تقارير عن كل فرد منا عن طريق "الموساد" واعلم أن التحاقك بصفوفنا كان موضع ارتياح عندهم، وربما يريدون أن يحتفظوا بعائلتك بالقرب منهم. ولست أدري، فأنا مهمتي أن أعلم مدى انفعالك بهذا الوضع، وإذا قبلت فسوف تتلقى أوامر من سلطة أخرى، وتبعًا لذلك كان علي أن أرسل تقريرًا عن مدى كفايتك وأنك من خيرة رجالنا).

وهنا أخذ وجدي يحدق النظر في زميله إذ بدأ ينتبه أن هذا الرجل صعب المراس، ولا بد أن يكون كذلك، فإن حفظ النظام في حركة سرية لا بد أن تجري في الخفاء ليس مهمة توكل لرجل ضعيف.. فمد يديه قائلاً في اقتضاب: (أنا موافق).

وغادر هنري الغرفة وهو يتمتم في سعادة (حظًا سعيدًا).

بعد ذلك تجرع وجدي كأسًا أخرى معربًا عن ارتياحه بصوت عال ثم قذف بكأسه في رعونة حتى اصطدمت بالحائط، وكأنه يعلن أنه قد قرر مصيره.

وبعد ثلاثة أسابيع حزم وجدي حقيبته التي حمل فيها ملابسه ومتعلقاته، ودفع ما عليه من الإيجار وقصد إلى رئاسة الخلية التي تقع ضمن فندق شعبي في منطقة تجارية يتردد عليها كثير من البشر.

وهناك قابل السكرتير المفوض بالنظام فأخذه إلى غرفة ضيقة عارية في الطابق الأعلى، وأمره ألا يغادرها حتى يأتيه رسول يتولى حراسته في رحلته الطويلة نحو الشرق.

وكانت جدران الغرفة مغطاة بأوراق ممزقة لا تسر العيون وكان من اللازم تجديدها.. ففي اليوم الأول تطلع إلى الجدران في شيء من الامتعاض.. وفي اليوم التالي أصبح كارها لها.. ثم هبط في اليوم الثالث إلى الطابق الأرضي مما أوقع السكرتير الخاص بالخلية في حيرة من أمره، فأخذ يلومه مهددًا في شيء من العظمة، وتبسم وجدي وتركه حتى انتهى من تهديده ثم قال له: (إذن لديك الشجاعة الكافية لأن تهددني، فإذا فرضنا أنك تذهب إلى تلك الغرفة اللعينة التي تشبه جحور الفئران وتقيم فيها لمدة يومين دون حركة فقد يكون ذلك دافعًا لك لأن تفكر أن الغرفة في حاجة إلى النظام، وإذا كان لديك شيء من الإدراك كنت أرسلت إلى طعامًا مناسبًا بدلاً من فتات الموائد الذي يأتيني منك ثلاث مرات كل يوم).

ثم خرج من الباب الأمامي تاركًا مضيفه يتأرجح بين الغضب والخوف.. ولم يكد يسير مسافة مائتي متر في الطريق حتى لاحظ إحدى الفتيات تتبع خطواته على الرصيف المقابل له، وعندما أبطأ في سيره وتوقف أمامها مغتبطًا لرؤيتها.

فقد كانت ملابسها نظيفة برغم أنها لا تثير الاهتمام.. وقال لها في وضوح وبأدب جم: (يبدو أنك تشعرين بالبرد والجوع أيضًا، وربما أستطيع أن أسد حاجتك في كلتا الحالتين لأن منزلي قريب من هذا الطريق).

فأجابت: (إنني أعلم ذلك فقد رأيتك تغادره).

فسألها باستغراب: (هل كنت تقتفين أثري؟).

ـ (أجل).

ـ (ولماذا؟).

فترددت قائلة: (إني...) ثم انطلقت تقول: (إني في حاجة إلى نقود ويبدو أنك تتسم بمظاهر الشفقة والرحمة بي).

وهنا شعر وجدي بشيء من الحرج، فقد أدرك بفطرته أن هذه الفتاة ليست من المحترفات.. وسألها: (ولأي شيء تحتاجين للنقود؟).

فأجابت: (للأسباب من طعام وملابس ومن أجل طفل أعوله..).

فبادرها بقوله: (هيا بنا نعود إلى غرفتي).

ولم يكن وجدي رجلاً طيبًا، وحتى في تلك الأيام الخالية كان يحتقر مظاهر الضعف، ولكنه كان يستخدمها أنانية منه لإشباع مطامعه الشخصية، فأي رجل آخر قد يعطي الفتاة شيئًا من المال ويخلى سبيلها ولكن وجدي رأى نفسه في حاجة إلى "الترفيه" ولا يهمه كيف يوفر ذلك.

عاد وجدي إلى مسكنه وبصحبته الفتاة وألقى نظرة على سكرتير الخلية جعلته يلتزم الصمت حتى إنه لم ينبس بكلمة واحدة حين طلب وجدي من غرفته عشاء لشخصين، وفي الصباح لليوم التالي أرسل الفتاة لشراء بعض السجائر ومشروب البيرة ولكنها لم تعد.. فشعر وجدي بالغضب لتأخرها في أول الأمر ثم بعد ذلك تحير عندما تبين أنها لن تعود، فقد كان معها بعض النقود لشراء اللازم.. وربما أن سكرتير الخلية قد أخلى سبيلها.

عند ذلك أسرع وجدي إلى الطابق الأسفل مصممًا أن يتعدى على السكرتير بالضرب، فأصغى السكرتير إلى سورة غضبه في صبر ثم أمسك بسماعة التليفون فجأة، بينما وقف وجدي مذهولاً ولاحظ أن السكرتير قد امتقع لونه



obeikandl.com

من شدة الغضب بعد انتهاء المكالمة.

وانفجر السكرتير غاضبًا وهو يقول لوجدي وكان الأخير لا يزال مندهشًا: (أيها الأحمق.. إن هذه الفتاة التي ليس لديها طعام ولا ملبس وتعول طفلاً لها ليست إلا جاسوسة للشرطة، فلماذا لم تفعل ما أمرتك به وتبقى في غرفتك؟ وسوف يصل الرسول في الغد، وقد حدث هذا الآن).

وأصدر السكرتير أوامر عاجلة لأسرته التي تقطن في الطابق الأخير من المبنى ولوجدي أيضًا بالتخلص فورًا من أية مستندات تثبت إدانة الخلية.

ولما داهمت الشرطة الفندق بعد ساعة من الزمان وجدت أربعة من بين المقيمين في الفندق وعلى وجوههم البراءة الوديعة.. وأخذ السكرتير يجيب عن أسئلة ضابط الشرطة بينما بدأ رجاله في تفتيش كل غرفة.. وقال السكرتير في إجابته إنه من دافعي الضرائب الذين يجاهدون في الحياة من أجل أن تعيش أسرهم في مستوى مناسب.. وأن وجدي من أصدقائه القدامى الذين اضطروا للإقامة معه حتى يتسنى لهم استئجار مسكن خاص بهم.

فتلقى الضابط هذه الإجابة متهكمًا، فقد كانت الشرطة تعرف تمامًا كلاً من وجدي والسكرتير.

وقال الضابط: (إنكم كاذبون ونحن نتهمكم بتكوين خلية سياسية ممنوعة تعمل على التخريب).. ثم التفت إلى وجدي قائلاً: (أنت متهم بالتآمر لتنظيم نفس الخلية لإثارة الاضطرابات) واقتادهم جميعًا إلى عربة الشرطة.

# الفصل الثاني

قضى وجدي ليلته ساخطًا على نفسه وعلى النساء جميعًا.. فقد ضاعت منه فرصة السفر إلى تل أبيب.. ولم يكن يدري ماذا يريدون منه ولم يكن متأكدًا إن كانوا سيطلبونه بعد ذلك أم لا.

وفي صباح اليوم التالي أخذته الدهشة إذ وجد نفسه يقف في مكتب الضابط ومعه السكرتير وزوجته وابنته.. وقال لهم الضابط: (تستطيعون الانصراف هذه المرة.. ولكن تذكروا دائمًا أننا على علم بكل شيء يتعلق بنشاطكم.. ونعلم ماذا تصنعون.. وإذا تكرر الأمر فلن يكون انصرافكم بمثل هذه السهولة).

وفي طريق العودة إلى الفندق أدرك وجدي لماذا أخلى سبيلهم.. فقد كان الوقت قبل أن تداهمهم الشرطة كافيًا للتخلص من كل مستندات تثبت إدانتهم.. وكانت الأوراق المصادرة لا ضرر منها.. ولذلك اسقط الاتهام بناء على نقص الأدلة.. ونظر إلى الرجل الذي بجانبه نظرة الاحترام.

ثم لاحت عليه علامات الوداعة عند وصول المرشد فى اليوم التالي.. وقبل أن يقوم السكرتير بتقديمه إليه توجه إلى غرفة وجدي وقال له: (لقد جاءنا الرسول من تل أبيب، وأنبأته بمهاجمة الشرطة لنا).

وأخذ وجدي يفكر تفكيرًا عميقًا في ذلك قبل أن يمضي قائلاً: (وبطبيعة الحال لم أذكر له سبب المهاجمة، وأظنك الآن قد تلقيت درسًا كافيًا، وإنك لتعلم أننا لا نصر على اتخاذ الاحتياطات حبًا في إصدار الأوامر.. فقد كانت هناك أسباب قوية تستدعى بقاءك في غرفتك وإن عملك من أجلنا أمر معروف لدينا ولم نكن نرغب قبل أن ترحل.. ولكنك خالفت الأوامر ونلت جزاء مخالفتك.. والآن سنهبط معًا لمقابلة مرافقك في تلك الرحلة الطويلة).

وصافح وجدي الرجل وشد على يده، فقد أصبح يستطيع السفر إلى تل أبيب بصحيفة بيضاء.. وسافر الرجلان إلى النمسا.. وهناك كان في انتظارهما شخص قام بإعطائهما جوازي سفر جديدين ليواصلا الرحلة إلى تل أبيب وقبل أن يصلا إلى هناك ألقى الرجل نظرة فاحصة على ذلك الشاب المصري الذي كان يتلهف شوقًا وقال له: (عندما نصل إلى تل أبيب سوف نجد سيارة تنقلنا إلى فندق حيث تقضي ليلة تستريح فيها.. وفي صباح الغد أرافقك إلى مبنى جهاز الموساد حيث تجتمع هناك بشخص تعرفه من قبل.. وبذلك تنتهي مهمتي معك).

فضحك وجدي ضحكة عميقة ثم استغرق في أحلام اليقظة.. وما لبث أن تغلبت عليه غريزة حب الاستطلاع حيث سأل رفيقه: (ومن الذي يعرفني في جهاز الموساد؟).

فابتسم الرجل وقال: (كنت أتوقع منك هذا السؤال.. سوف يستقبلك هناك الزميل ديفيد اليعازر.. وستعلم عنه كثيرًا فيما بعد).

وتكلم وجدي في صوت خافت كما لو كان يحدث نفسه فقال: (إني أذكر ديفيد اليعازر بطبيعة الحال.. فقد جاء إلى القاهرة منذ سنة تقريبًا وألقى علينا محاضرة بشأن الأفكار الصهيونية وكيف نتصل بالموساد).

وطوال بقية الرحلة أخذ وجدي يجول بذهنه في الكثير من ميادين العمل الممكنة التي قد يكلف بها من قبل ديفيد اليعازر، وماذا يمكنه تحقيقه والمهام التي يتوقع أن ينجح فيها.. ولم يوفق إلى حل مناسب حتى وصل إلى الفندق.

وفي تلك الليلة لم يغمض له جفن.. فقد كان متوتر الأعصاب.. وأخذ يتقلب في فراشه قلقًا يترقب طلوع الفجر.. وفي اليوم التالي اجتمع بديفيد اليعازر رئيس قسم المخابرات الخارجية الأجنبية في الموساد.

كانت قد مضت ستة أسابيع منذ أن زاره هنري في القاهرة وعرض عليه منصبًا اختياريًا.. وقبل وجدي هذا العرض دون أن يفطن إلى ما وراءه. فقد دفعه شعور قوي للقيام بمغامرة.. وأدرك الآن أنه قد توصل إلى القرار الصواب.. وغادر مكتب ديفيد اليعازر ثائر الوجدان.. إذ علم أنه سوف يكون جاسوسًا على مستوى عالٍ وراق جدًا في الموساد.. وكانت إسرائيل لا تزال في طور التكوين خاصة وهيَ تقع فِي محيط من الكراهية بين دول الجوار العربية.. لذلك فهي في حاجة إلى دماء جديدة في كافة المجالات في صورة خبراء.. بالإضافة إلى احتياجها إلى أجهزة توفر لها الحماية والدفاع واليقظة.. وكانت الموساد أحد الأجهزة الهامة التي تندس في كل مكان يمكنها الوصول إليه.. وتقوم عناصرها بعمل الاضطرابات والانقلابات وتنفيذ المخططات التخريبية في أي مكان.. ولكي يتحقق لها ذلك فهي في حاجة إلى معلومات صحيحة ليس فيها مجاملة أو تزويق.. بل كانوا يريدون تقارير حقة جمعت بمعرفة خبرائهم المدربين.. وكان هؤلاء هم أول جواسيس الموساد من طراز أولئك العملاء الذين يسعون إلى كشف الأسرار.. وكان الموساد يختار رجاله بغض النظر عن الجنس أو العقيدة بل يكفيه أنهم مخلصون لمبادئه وأفكاره ويتميزون بالشجاعة ويجيدون اللغات.. ومغازلة النساء في الحفلات الصاخبة وخاصة نساء القادة العسكريين للحصول على أكبر كم من المعلومات العسكرية.

وكان وجدي أحد أولئك العملاء.. واستغرق تدريبه خمس سنوات لم تكن كلها في فصول الدراسة وصالات المحاضرات.. فقد كانت الأجهزة الصهيونية تتعلم على طول الخط.. ترتكب الأخطاء ثم تصححها.. وتتعرف على مواطن الضعف ثم تضع لها حدًا.. وسار وجدي على هذا النمط.. فعمل خلال تلك الفترة في أغلب أرجاء أوروبا.. ثم تطور حتى أصبح من الفئة النادرة التي تطمع

فيها كل حكومة من فئة الجاسوس الكفء.. فبعثت أعماله في نفسه عوامل الفتنة والعبث والغرور وأصبح شغوفًا باقتحام الأخطار. واستخلص لنفسه نظامًا للجاسوسية على مستوى من الكفاية والجدارة خاصة به وأصبح لغويًا متفوقًا لا يخفى على أحد.. يتحدث إلى جانب لغته الأصلية ـ العربية ـ الروسية والإنجليزية والفرنسية والألمانية والعبرية بدرجات متقاربة من الطلاقة.. كما عرف عدة لهجات كالصينية واليابانية.

وكان يؤمن باستيعاب التقاليد التاريخية وأوجه النشاط الثقافية في كل دولة يعهد إليه بالعمل فيها.. واعتاد أن يقرأ ما يدور بأذهان الناس باعتبارهم كلهم من خصومه.. وهو في أي مكان يذهب إليه يهتم أولاً أن يقوم بحمله يكتشف بها كيف يفكر الناس؟ وفي أي الأمور يفكرون؟ وفي أي النواحي يكون تفكيرهم أكثر أو أقل من غيره؟

وفي الولايات المتحدة كانت السينما لا تزال مؤثرة ولم يغرب عن بال تل أبيب ما تعنيه قوة تأثيرها.. ولم يغب عنها أن تتوقع أن هوليوود سوف تسيطر على نوع جديد من الترفيه العالي وألوان الدعاية ولكنهم أرادوا أن يحصلوا على معلومات أكثر عنها وعن المعدات التي تستخدمها كما حرصوا أن تكون لهم في هوليوود مراكز مؤثرة.

لذلك قام وجدي بتقديم معلومات وافية في هذا الصدد بعد أن قضى هناك سنة كاملة يزود تل أبيب بتقاريره السرية الخاصة ثم عاد إلى إسرائيل ليعد نفسه للمهمة التالية.

وفى كل بعثاته كان وجدي يحتقر التنكر بجميع ألوانه.. فكان يسافر دائمًا بوصفه د. وجدي ـ مصري عربي متخرج من الجامعة في العلوم السياسية وهو في زيارة تتعلق بأعماله ومهنته.. كما كان يذكر محل إقامته في القاهرة ولم يحدث أن

صادف أحدًا يعرفه منذ كان في القاهرة أو يعلم بعلاقته بتل أبيب.. حتى عندما أرسل إلى بريطانيا.. فقد نزل إلى لندن ومعه كالمعتاد جواز سفر مصري باسمه.. وكانت إقامته في غرفة في فندق صغير.

وتعددت أسفاره إلى الدوائر الصناعية المنتشرة في بريطانيا.. وبعد وصوله بثلاثة أسابيع التقى بضابط من إسكتلانديارد في ملابس مدنية جاء إلى غرفته وقدم نفسه على أنه ضابط في الفرع الخاص.. وإذا به يجول بخاطره أساليب الشرطة في كل من مصر وإسرائيل.. وتصور معاملة الخشونة من اعتقال وحبس منفرد ثم ترحيل.. وإذا كان الأمر كذلك فسوف يكون عرضة لاكتشاف أمره في القاهرة.. ولكن الضابط اعتذر عن إزعاجه في مسكنه وكانت هذه تجربة جديدة بالنسبة لوجدي.

وكان في اعتقاد الضابط أن الدكتور سوف يسمح بالإجابة عن بضعة أسئلة.. إذ كان في استطاعته أن يتجنب ذلك لو ألقى نظرة على البطاقة الأجنبية التي سلمت إليه في دوفر.. وهي تبين في وضوح أنه على الأجانب تقديم عناوينهم إلى أقرب مركز للشرطة أو إلى قسم الأجانب في إسكتلانديارد وعلى أي حال فإنه سوف يتذكر ذلك مرة أخرى.

ثم أخرج الضابط مذكرة من جيبه وسأله:

ـ متى تتوقع العودة إلى القاهرة يا سيدي؟

ـ لست على يقين الآن.

ـ هل يكون ذلك في بضعة أيام أو أسبوع.. وربما شهر أو أكثر؟

ـ لا أدري.. كنت أظن أن أبقى هنا حوالي ستة أشهر على وجه العموم.

وهنا ابتسم الضابط قائلاً:

ـ شـــكرًا يا سيدي.. هذا كل ما في الموضوع.. وأرجو ألا تنسى أن تخطرنا بأي تغيير يطرأ على عنوانك.

ونظر إليه نظرة فاحصة ثم التقط قبعته وانصرف.. ولكنه توقف في الردهة وسأله:

ـ على فكرة يا ســيدي.. قد ذكــرت عنوانـك في القاهرة.. فهل حدث أن أقمت في إحدى مدن القنال في وقت ما؟

وشعر وجدي ببرودة تسري في أوصاله ثم قال:

ـ لا يا سيدي.. ذهبتُ إليها بطبيعة الحال.. ولكن لم يحدث أن أقمت هناك في هذه المدن الباسلة.

وابتسم الضابط وهو يودع وجدي بطريقة ودية قائلاً:

ـ إلى الملتقى يا سيدي.. أرجو أن تستمتع بزيارتك.

بعد مضي شهر عاد وجدي إلى تل أبيب حيث كتب تقريره الرسمي واختتمه قائلاً:

"إن إنجلترا تعلم من أمر الجواسيس أكثر من أية دولة أخرى".

ثم أجرى حديثًا خاصًا مع رئيسه يقول:

"بعد تلك المقابلة الوحيدة شعرت أني قد انتهيت.. ومن ذلك الوقت وأينما توجهت كان يخامرني الشعور بأن هناك من يقتفي أثري.. ولم أستطع أن أتخلى عن اعتقادي بأنهم قد عرفوا كل شيء عني.. كما لم أتمكن من تأويل ما ذكره الضابط أخيرًا حول مدن القنال.. وكانت النتيجة أني لم أتجرأ على الاتصال بأي فرد من رجالنا أو أبقى فترة طويلة على مقربة من أي مصنع.. وكان في استطاعتي

أن أحصل على هذا القدر من المعلومات وأنا باقٍ في تل أبيب أو من الاطلاع على الجرائد الإنجليزية ـ وتلك كانت أرخص وسيلة لنا".

وكان من نتيجة هذه التجربة أن اقتنع وجدي بأنه إذا كان عليه أن يخاطر بحياته في ميدان الجاسوسية فليكن ذلك من أجل شيء أكبر قيمة من التجسس السياسي لصالح الموساد.

وأخذ يتلهف شوقًا إلى أشياء مثيرة وأحداث مؤثرة وإلى مغامرات قد يحصل منها على مكافأة مجزية نظير معلومات سرية حيوية.. وكان قد بلغه أن الجيش الإسرائيلي قد كون وحدة خاصة للمخابرات فبدأ يمسك بالخيوط التي توصله إليها في شوق ورهبة شديدة خوفًا من المجهول القادم الذي لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى وحده.

وعندما وصلت أخبار نجاحه إلى اليعازر استدعاه.. وكانت فرصة ليقدم له شكر الموساد على أعماله بصفة رسمية.. ثم أعرب عن أسفه شخصيًا لنقل وجدي إلى ميدان آخر من ميادين الجاسوسية.. وأصغى وجدي في كثير السعادة عندما ألقيت إليه التعليمات بالتوجه لسكرتارية الشئون الخارجية.. وبعد انصرافه أخلى من واجباته السابقة.. ثم طلب منه أن يقدم نفسه إلى مخابرات الجيش الإسرائيلي.. وهكذا أمسك وجدي بالخيوط السليمة وتوصل إلى مؤسسة عسكرية تمكنه أن يطلق العنان لكل قوى نشاطه وإمكانياته.. فقد سبق أن تلقى تدريبًا كمخبر سياسي.. أما الآن فالجاسوسية الحربية بميدانها الذي لا حدود له.. وتكافح فيه كل الأمم للحصول على أسرار الأعداء والحلفاء.. والمخابرات لا تقيم أي وزن للمحالفات والمعاهدات لأن عملاءها يخوضون المعارك السرية.. من أجل الحصول على أكبر قدر من المعلومات عن التكنولوجيا الحديثة والأسلحة والصواريخ الحديثة أرض جو.

ولعل أول تعيين لوجدي في مخابرات الجيش الإسرائيلي يعطينا مؤشرًا عن شهرته في تل أبيب.. إذ أصبح قائدًا للجواسيس الحربيين في الميدان الأوروبي والشرق الأوسط أثر مقابلة مع رئيس مخابرات الجيش الإسرائيلي حيث عين مقر قيادته في لندن وصدرت إليه تعليمات في شيء من المرونة إذ كان عليه أن يرسل أنباء عن مصادر تسليح الجيوش العربية المتزايدة.. ومدى فاعليتها وتحديثها.. وصدرت التعليمات إلى وجدي بنسج خيوط شبكة صغيرة من الأفراد لتكون وحدة وثيقة سرية ومترابطة يتجول أفرادها بين دول أوروبا والشرق الأوسط، وعرفت مجموعة وجدي في تل أبيب باسم "مجموعة لندن" أو المجموعة الفولاذية.

وهناك في لندن بدأ وجدي يختار أفراد وحدته وكان من بينهم بعض العناصر القديمة ولها سابق تعامل مع جهاز الموساد ولمس فيهم وجدي أنهم يصلحون للعمل في الوحدة الجديدة.

ومن الملفات الموجودة في مخابرات الجيش الإسرائيلي اختار اثنين من الفنيين الذين يعملون في مجال اللاسلكي لمرافقته.. ومع أن نظام حمل الرسائل عن طريق الرسل كما يبعث عليه الاطمئنان.. إلا أن وجدي اعتبره نظامًا بطيئًا.. لأنه كان في حاجة إلى الاتصال ليلاً ونهارًا برئيس مخابرات الجيش الإسرائيلي.. فضلاً عن حاجته إلى خطوط بين لندن وبعض المدن الهامة.

ووضع خطة للعمليات تتضمن نظامًا للشفرة ووسيلة لاجتماع العملاء.. كما لو كان هذا يتم بطريق المصادفة. واعتمدت الخطة من رئيس مخابرات الجيش الإسرائيلي بكافة تفاصيلها.. ومنذ ذلك الحين بدأ عملاء وحدة لندن في التتابع على لندن.. وبدأ وجدي يستخدم له اسما آخر لأول وآخر مرة.

وفي فندق بلندن سجل رجلان اسميهما وكان أولهما مستر جورج سجل اسمه

بوصفه صحفيًا أمريكيًا ووقّع الآخر باسم جوزف كول ألماني من رجال الأعمال.. وفي مساء وصوله استقل جورج سيارة أجرة إلى مطعم صغير في إحدى ضواحي لندن حيث طلب "....." وأخذ يقرأ في صحيفة نيويورك تايمز.. وما هي إلا دقائق حتى غادرت البار سيدة وجاءت إلى منضدته قائلة:

ـ لا بد أنك أمريكي.. وكانت هذه جملة إخبارية أكثر منها استفهامية.

ثم أردفت قائلة:

ـ هل تسمح لي أن أجالسك؟

فابتسم جورج وقال:

"ليس لدي مانع بالطبع.. تفضلي بالجلوس.. لقد صدق حدسك فأنا رجل أمريكي.. وصلت بعد ظهر اليوم وجئت إلى هنا مباشرة.. وقد حذرني صديق لي في الولايات المتحدة من بعض الطعام هنا.. وأرشدني إلى هذا المطعم الصغير لأعتاد على مراحل المعيشة.. هل لك في قدح من القهوة".

وضحكت المرأة قائلة: (لا. أشكرك) سأتناول قدحًا من الشراب البارد إن أمكن، وإذا أردت أن تخفض نفقاتك فعليك أن تشرب نفس المشروب مدة إقامتك هذا.. ولا تكثر من احتساء القهوة لأنها ضارة بالقلب.. وبالمناسبة اسمي "سوزي".

وهنا اختفت عوامل التوتر حيث تبودلت إشارات الاتصال والاتصال المقابل طبقًا لخطة سبق أن وضعها "وجدي" في تل أبيب.. وبهذه الطريقة اجتمع "وجدي" مع مس "سوزي" وهي كاتبة أمريكية.. كانت ساعده الأيمن في تكوين وحدة "لندن".... وبعد تناول العشاء عادا إلى مسكن مس "سوزي" ولم يغادره "وجدي" إلا عند مطلع الفجر بعد أن استوعب مشاكل لندن والصعاب التي تقف في وجه وحدته.

وخلال الأسبوع التالي أقام جوزيف كول.. رجل الأعمال الألماني.. جهاز اتصال لاسلكي للإرسال والاستقبال في مسكن "سوزي" وأعد نظام الاتصال بمحطة إسرائيلية سرية، فكان هذا هو دوره الذي قام به في الوحدة (إدارة راديو لندن).

وفي أثناء ذلك قامت مس "سوزي" بتقديم "وجدي" إلى المقيمين في لندن من البريطانيين والفرنسيين.. ممن يتعاطفون مع إسرائيل ويرغبون في مساعدته بجمع المعلومات الصحيفة.. وكان من بين هؤلاء صحفي شاب فرنسي لامع وطالب جامعي يدعى فرانسوا أرسله والده إلى السوربون للدراسة.. وأطلق له الحرية لتنمية ذكائه وأصبح مراسلاً سياسيًا لصحيفة ذات نفوذ في باريس، ثم عهد إليه بناء على طلبه بالعمل في لندن.. وكان فرانسوا قد درس تعاليم الصهيونية لكن أخفاها عن أسرته حفاظًا على مكانتها.. كان فرانسوا يقضي معظم أوقاته في مكتبة عرفت بنشر الأفكار الصهيونية وأصبح صديقًا لصاحبة المكتبة مسز "ماري".

وذات يوم وبينما كان فرانسوا يقلب صفحات بعض الكتب في المكتبة استدعته مسز "ماري" صاحبة المكتبة وقدمته إلى كاتبة أمريكية هي مسز "سوزي" التي دعتها بدورها كي يتناول معها القهوة في مسكنها.

ومن جذور هذه الصداقة نبتت شجرة الزمالة السياسية.. وبذلك أصبح قادرًا على أن يعبر عن وجهات نظره التي لم يستطع أن يعبر عنها لأي فرد آخر. حتى إذا ما عرفته بوجدي حرضه ذلك على الدخول في مجال الجاسوسية الفعلية بعد أن أخذ بمجامع قلبه بسحره واستولى على مشاعره، وبمجرد أن انتهى الجاسوس من تلقينه الجاسوسية أصبح فرانسوا على استعداد لتكريس حياته أولاً: لخدمة وجدي.. وثانيًا: لخدمة المبادئ والأفكار الصهيونية، كما أصبح مساعده الأول في سلسلة من دسائس الجاسوسية الجزئية، وإملأ الرجلان محفوظات المخابرات الإسرائيلية بمجموعة ضخمة من المعلومات السرية البالغة الأهمية.

وفي لندن تم تنظيم شبكة الجاسوسية وكانت الخطوة التالية إقامة مركز للاستماع في الشمال، وفي ذات يوم سدد "جورج" حسابه في فندق "خمس نجوم".. وقام بجولة طويلة في الداخل "لجمع مواد وأدوات لإرسالها إلى أمريكا".

وبعد مضي ستة أسابيع ظهر في منشستر واستأجر غرفة في فندق هناك "مودرن" حيث بقى في انتظار العضو الثاني من وحدة لندن القادم من تل أبيب. وفي نفس الوقت وصل إلى لندن رجل ألماني بدين مشرق الوجه يعمل مندوبًا للمبيعات ومعه خطاب اعتماد بمبلغ (7250) دولارًا وذكر عنوانه في برلين.

وفي الواقع كان رجلاً ألمانيا من برلين واسمه "كلوزن" كما هو مبين في جواز سفره.. ولم يكن مندوبًا للمبيعات بل كان أبرع خبير في اللاسلكي من رجال مخابرات الجيش الإسرائيلي، وقيل في تل أبيب إن "كلوزن" يستطيع أن يعد جهاز إرسال في إناء الشاي وفي نفس الوقت يمكنه أن يفرغ منه جرعة تكفي رجلاً إنجليزيًا.

وكان يحمل في جيوبه وأمتعته أدوات حيوية للراديو من السهل جمعها مع معدات أخرى في الحال لتكون جهاز إرسال واستقبال لمسافة مئات الأميال.

وفي ليلة وصوله لندن انتظر "كلوزن" في ردهة فندق "امبسادور" لكي يجتمع بـ"مينشن" وجلس إلى منضدة حيث يستطيع رؤية من في الردهة بوضوح،ثم أمسك بصحيفة في إحدى يديه وغليون في اليد الأخرى، وتلك كانت إشارة التعارف، ولم تمض نصف ساعة حتى اقترب منه رجل رشيق طويل القامة وقال له في صوت خافت "كلوزن" وجدي مشغول وطلب مني أن أقابلك وأعتذر لك.. وارتخى "كلوزن" في مقعده علامة تدل على الإشارة المقابلة وبذلك تم التعارف.

ثم توجه "كلوزن" إلى مسكن مس "سوزي" حيث فحص جهاز اللاسلكي الذي أقامه كول واقترح له بعض التحسينات وبعد ذلك تلقى تعليمات بالسفر إلى الشمال. فاتخذ "مينشن" جميع الإجراءات اللازمة، ورافقه إلى منشستر حيث سجلا اسميهما في فندق مودرن ولم تكن هناك حاجة للتمثيل أو المغالاة فقد قام "مينشن" بتقديم "كلوزن" إلى رئيسه الجديد فور وصولهما.

وهكذا اجتمع "كلوزن" بوجدي الذي تمكن بتفوق أن يتحكم في مصيره.. كما حدث لفرانسوا مدة تقرب من العشر سنوات.. وقد كان يحالفهم النصر معًا وكذلك الفشل والسقوط واشترك الثلاثة في تلقي الصدمات لحظات الغدر والخيانة.

وبينما كان وجدي ينتظر وصول كلوزن تعرف بنائب القنصل الأمريكي في "منشستر" واتخذه صديقًا له ثم حثه على تأجير غرفتين في منزله لإقامة "كلوزن" إذ قال إنه مندوب مبيعات شركة ألمانية للتصدير في بريطانيا وسوف يصل في بضعة أيام.

فلما جاء "كلوزن" قضى بضعة أيام في الفندق يتلقى التعليمات النهائية من وجدي ثم انتقل إلى منزل نائب القنصل باعتباره ضيفًا يدفع إيجار مسكنه ومعه شخص إنجليزي اختاره وجدي.

وكان أول عمل قام به "كلوزن" هو إعداد جهازه اللاسلكي حتى إذا تم له ذلك بمعاونة "مينشن" أصبحت وحدة لندن على اتصال لاسلكي من مانشستر إلى لندن ومن لندن إلى تل أبيب.

وأخذت حكومة الولايات المتحدة تزود محطة مانشستر بما يلزمها عن غير قصد لمدة سنتين.. وكان ذلك نوعًا من الجرأة تميزت به جميع تصرفات وجدي.. وربما كان ضمانًا لنجاحها.

وقد أجر "كلوزن" زميله "مينشن" ليكون مساعدًا له في المبيعات في منطقة واسعة الأرجاء بالنسبة لرجل واحد للعمل بها. كما أشار بذلك نائب القنصل الأمريكي، وكانت هذه فرصة لـ"كلوزن" لكي يطلب من "منشين" أن يبقى بجواره، فوجد له مسكنًا قرب القنصلية وأصبح ينوب عنه فى إدارة جهاز اللاسلكي البعيد المدى والذي يعمل بواسطته ويستطيع إرسال شفرات سرية من تحت الماء بالإريال الطويل، وبعد ذلك بدأ وجدي يشعر بالارتياح لاستقرار وحدة لندن.. وشكر الدبلوماسي الأمريكي على تعاونه معهم.. ثم ذكر "كلوزن" بأن رؤساءه يعتمدون على مبيعاته، وعاد إلى لندن ليبدأ مهام جديدة متفق عليها مع دول أخرى في سرية تامة.

obeikandl.com

obeikandl.com

# الفصل الثالث

ومع مضي الوقت بدأ وجدي يحقق أهدافه في بريطانيا واتخذ من لندن ومانشستر قاعدتين لنشر وحدة لندن إلى مراكز ومدن أخرى.. وقام عملاء فرادى بتغطية مراكز أخرى خارج نطاق بريطانيا.. وكان عمله يدور حول المصالح المصرية والقنصليات العربية في إنجلترا وأوروبا وكذلك أمريكا.. وكانت مصر لم تنشأ في هذا الوقت جهاز المخابرات المصرية ـ لأنه أنشئ في عهد عبد الناصر.. ثم بعده كان الاهتمام منصبًا على مصادر التسليح وطرق الإمدادات وكيفية التدريب والخبراء المعاونون في التدريب واستقطاب الطلبة والمغتربين للحصول منهم على معلومات أو مدهم بمعلومات تحط من روحهم المعنوية وتبث روح الهزيمة في نفوسهم وتقتل فيهم روح الانتماء والوطنية والتشكيك في قدرة القيادات ومصداقيتها.. والعمل على اهتزاز الصورة العامة للوطن.. سواء في الدول الأوربية أمريكا ـ لندن ـ اليابان ـ الصين.. وكذلك الدول العربية حسب مطالب الدول الجاسوسية.

ثم بعد ذلك أرسل وجدي كل ما وصل إليه من معلومات إلى مخابرات الجيش الإسرائيلي وكان يجتمع بعملائه في المطاعم والطرقات وفي منازلهم (في سرية تامة).. ولما كان فرانسوا لا يطمئن للسير ليلاً بمفرده في لندن كان وجدي يصحبه في سيارة يجوب معه الطرقات حيث يخبره فرانسوا بجميع المعلومات التي حصل عليها حول مقاصد العرب في لندن.. وبعد ذلك يقوم بتوصيله ليعود هو إلى مسكن مس سوزي فيقضي الساعات الطوال يدرس هذه التفاصيل.. وكان وجدي يمنع استخدام التليفونات أو الخطابات.. فكان يعد مواعيد وأماكن الاجتماعات من قبل ثم يعقدها سواء وجدت أنباء أم لم توجد.. أما المستندات الهامة فكانت تسلم في الغالب تحت ستار دعوات بريئة إلى أصدقاء غير

صهيونيين لحفظها في أمان حتى إذا أصبح على ثقة من أن وحدة لندن تؤدي مهمتها بنجاح وضع خطة للتجول في الداخل لدراسة عادات البريطانيين ولهجاتهم ولكن لم ينفذ تلك الخطة.

وأصبح الهدف أن تكون فرنسا هي المنطقة الرئيسية لعمليات مخابرات الجيش الإسرائيلي وأعفى "أهارون" رئيس مخابرات الجيش الإسرائيلي من عمله ورقى إلى رتبة أعلى ثم منح مطلق الحرية لتنظيم قسم خاص لمخابرات أوروبا والشرق الأوسط.. وصدرت له التعليمات بإنشاء خط يؤدي إلى الدوائر الداخلية في الحكومة الفرنسية وأعيد جنرال "عساف" الذي كان يعمل خارج إسرائيل إلى قيادة مخابرات الجيش بديلاً عن رئيسه السابق.

وكان "أهارون" رئيس مخابرات الجيش الإسرائيلي السابق بعد توليه قيادة القسم الخاص لمخابرات أوروبا والشرق الأوسط يبحث عن الشخص المناسب الذي يمكن عن طريقه أن يتسلل إلى فرنسا.. ولم يكن أمامه غير اختيار واحد.. هو تلميذه اللامع الذي يكون العين البصيرة لإسرائيل وجيشها.. وعلى ذلك استدعى وجدي إلى إسرائيل.. وانقطع كل من المعلم والتلميذ عن الحياة الرسمية والاجتماعية في إسرائيل.. ووضعت إحدى الفيلات تحت تصرفهما بالإضافة لهيئة من الإداريين من مخابرات الجيش الإسرائيلي لمساعدتهما.. فقد كانت هذه تجربة جديدة لكل منهما.. واقتصرت مخابرات الجيش على الجاسوسية الحربية وما يتعلق بها.

وفي هذه المرة كان على القسم الخاص التابع لـ"أهارون" أن يتناول مجال التجسس الواسع النطاق من تفسيرات السياسة إلى سرقة المستندات السرية الحربية.. وكان هذا القسم مسئولاً مباشرة أمام رئيس الوزراء وإن كان يتبع اسميًا مخابرات الجيش التي يستمد منها اعتماداته المالية.

وفي غضون الأشهر التالية أعد "أهارون" و"وجدي" مسودة لخطة تتضمن كيفية تشكيل شبكة الجاسوسية الإسرائيلية المنتشرة في جميع أنحاء العالم. كما أعيد فحص سجلات العملاء المنتشرين في العواصم العالمية.. فحصًا دقيقًا.. ومن بين هؤلاء اختار وجدي رجالاً شاركوه في أعظم الانقلابات والعمليات التي قامت بها الجاسوسية في التاريخ الحديث.. ولكن وجدي كان في حاجة ملحة إلى ساحر اللاسلكي التابع لمخابرات الجيش الإسرائيلي "كلوزن" الذي كان لا يزال يجمع الرسائل ويرسلها من محل إقامته في شمال إنجلترا.. فأصدر أمرًا بأن يتخلى عن المحطة لمساعده "مينشن" ويعود إلى تل أبيب في الحال.

وفي هذه المرحلة ظهرت عقبة في سبيل عملية وضع بذورها رئيس الوزراء الإسرائيلي ورسم خطوطها في دقة وإحكام رجلان من أعظم ذوي العقول الراجحة في تل أبيب.. حيث تدخلت الطبيعة البشرية بأن وقع كلوزن في شباك الغرام.. ذلك الرجل البدين الطيب القلب القوي الإحساس.. أما وجدي.. ذلك الرجل الجاف الطباع.. فقد هزه ذلك التحول في الأحداث وتعجب كيف أمكن لكلوزن أن يصبح عميلاً له قيمته.

ولعل نفس الأمر حدث عندما اندهش ضابط المخابرات المصري الذي كشف شبكة الجاسوسية بعد عدة سنوات بعد أن قام ببحث أوجه نشاط وجدي وحلقته وكتب في تقريره الرسمي للقاهرة يقول: كلوزن هو آخر من يتصوره إنسان أن يكون موضع اشتباه كعميل ناجح للجيش الإسرائيلي.. ومن المفهوم أن كلاً من وجدي وفرانسوا من النابهين اليقظين.. ولكن كلوزن لم يكن من ذلك النوع من الرجال الذين يشتركون في العمل مع الصحفي الناجح اللامع وجدي حتى لدى رجال الشرطة الذين يساورهم الشك دائمًا.. ومع ذلك أعد كلوزن لوجدي جهاز إرسال لاسلكي بلغ من صغر حجمه أنه من الممكن وضعه

في حقيبة صغيرة وكان قويًا بحيث يمكنه أن يحقق الاتصال بين باريس وأبعد نقطة في فرنسا في سهولة ويسر.

وعندما تلتقي بكلوزن في فرنسا تجده رجلاً ساذجًا في شيء من الخشونة لا يظهر من الصفات الحسنة ما يجعلك تحبه.. وقد تدرج إلى الصهيونية من نفس مدرسة وجدي حيث نشأ في منزل فقير في شمال ألمانيا ثم التحق بسلاح الإشارة في الجيش الألماني ثم أرسل لوحدة لاسلكية حيث أخذ يرتجل أجهزة لاسلكية حتى تم تسريحه من الجيش.

وبرغم قلة فرص العمل أتاحت له قوته أن يعمل في خدمة أحد التجار الألمان كما اشتغل في السفن التي كانت تبحر من موانئ ألمانيا.. وبعد سنوات من التحاقه بالقيادة السرية للصهيونية وحصوله على بطاقتها انضم إلى حلقة وجدي. وقد التقى كلوزن بكثير من النساء واحتمله بعضهن دون رغبة فيه وضحك منه البعض الآخر.

ولكن الإسرائيلية البيضاء صاحبة البنسيون في شمال إنجلترا حيث أقام عندها كلوزن بعد مغادرة وجدي إنجلترا.. لم تكن ممن احتملنه أو ضحكن منه.. فقد كانت تكره الصهيونية وتلقي عليها اللوم في فقدها لزوجها الأول ثم في نفيها خارج وطنها.

ولكن كلوزن الذي كان يلعب دور رجل أعمال ألماني من أصحاب العلاقات الاقتصادية ادعى أن أفكاره تقدميه وأخذ يجادلها طويلاً في أثناء الليل.. وكان لابد من نتيجة لهذا الغزل السياسي.. فقد كان كل من كلوزن ومسز آنا يعيش بمفرده.. ووقع الاثنان في شباك الغرام وكانت آنا اقتصادية بطبيعتها فنقلته إلى غرفتها لتستطيع تأجير غرفته لساكن آخر ولم يكن يدور بخلدها أن الرجل الذي اختارته للإقامة معها كان جاسوسًا رئيسيًا في النظام الذي تمقته.

وعاد كلوزن إلى مانشستر وهو يفكر في ألوان المرح والسرور التي لقيها في ضيافة آنا.. وأصبح يتوقع الخطوة التالية وهى استدعاؤه إلى تل أبيب.. فكانت هذه أنباء غير سارة لرجل يدبر أمر زواجه ثم تلتها أنباء أشد سوءًا حيث كان عليه أن يقابل عميلة الموساد ويرافقها إلى تل أبيب.. وهذا الأمر أوقعه في حيرة.. ووضع أمامه عدة اختيارات ليقوم بتنفيذ أحدها، وكلها صعب في تنفيذه.. فإذا أطاع الأمر خسر رفيقته آنا، وإذا اعترف لها صادقًا بأوجه نشاطه خسرها أيضًا.. وإذا لم يذكر شيئًا على الإطلاق وسمعت بأنه غادر إنجلترا وبرفقته امرأة فسوف تتحقق النتيجة نفسها.

وبعد تفكير عميق اختار كلوزن طريقة غريبة.. فقد أرسل الرد إلى تل أبيب يقول: إنه في الحقيقة لا يستطيع العودة برفقة عميلة الموساد، إذ إن خطيبته لن تتحمل أن يمضي أيامًا في قطار مع امرأة أخرى، وهو إما أن يعود إلى تل أبيب معها أو يعود بمفرده.. وكان رده هذا موضع دهشة لدى المسئولين في تل أبيب، إذا أنه في مهمة تتطلب الطاعة العمياء. كان كلوزن يعتبر آخر فرد يتحدى الأوامر فمن هي تلك الخطيبة التي حولت فنيًّا ماهرًا في أعمال اللاسلكي إلى فرد واحد يتمرد على مخابرات الجيش؟

وعلى ذلك أمر أهارون الشرطة السرية بالتحري عن آنا، أما بينما وجدي الذي لم تظهر عليه إمارات الغضب بما يثير الدهشة فقد أرسل سيلاً من التعليمات إلى كلوزن يخبره في تبجح أن عليه أن يعود بسرعة مهما كانت طريقة العودة، وصرح وجدي فيما بعد أنه كان يخشى اعتقال كلوزن وبذلك يترك مشروع فرنسا في أيدي خبراء من الدرجة الثانية لإدارة اللاسلكي.

وكان كلوزن فخورًا بانتصاره على تل أبيب، ثم أخذ يشعر بالقلق حول الوسيلة التي يوضح بها لخطيبته التي تكره الصهيونية سبب سفره إلى تل أبيب..

ولم تكن به حاجة لكي يهتم كثيرًا بذلك لأن المرأة قضت أسابيع يساورها الشك حول جولاته الليلية، وفضلاً عن أنها أصبحت تضيق به، لم تقتنع بتفسيراته بأنه من أنشط المعادين للصهيونية وأنه يعمل لصالح مجموعة من الأفراد يعملون ضدها، ولذلك لم يدهشها كثيرًا تصريح كلوزن.. بعد أن ضاق ذرعًا بوسائل الخداع.. بأن قيادة المجموعة التي يعمل لها موجودة في تل أبيب وأنه نفسه عميل صهيوني.

فبكت آنا وهددت بتقديم شكوى ضده ثم أخذت تفكر في العقوبة التي يمكن أن تنزل به وتراجعت بعد أن تغلبت عليها مشاعر الحب. ولكن في السنوات التي تلت ذلك لم تغفر له أبدًا أنه صهيوني.. وفي أثناء مرافقته لها بعد نزولها من الطائرة في تل أبيب كانت تثيره مشاعر الافتخار، وكان يرغب في تقديمها إلى زملائه في مدرسة اللاسلكي التابعة لمخابرات الجيش، ويدعوهم إلى حفل زفافه، وقد أعد له عدته ولكن بدلاً من أن يجد زملاءه يرحبون به في المطار وجد أمامه رجلين غريبين في استقباله وتقدما إليه باعتبارهما من رجال الشرطة السرية، إذ أصبح صهيونيًا منحرفًا إلى حد بعيد بعد أن خطب امرأة تعادى الصهيونية، كما كان ذلك يعتبر جرمًا عظيمًا باعتباره صهيونيًا وفي الوقت نفسه عميلاً ضد الصهيونية.

وفي ذلك الوقت بينما كان جهاز الموساد يتأهب للعمل واجه العملاء ضده نوعًا من التصفية.. واضطر كل من أهارون ووجدي إلى استخدام كل ما لديهما من نفوذ لإعفاء كلوزن من موقف خطير قد يؤدي في النهاية إلى خسارة خبير في اللاسلكي لا يمكن استبداله بغيره بسهولة.

وانتهى الأمر بنفي كلوزن إلى ألمانيا والتنبيه عليه بألا يعود إلى تل أبيب لأنه أصبح غير مرغوب فيه.. وشعر كلوزن بضعف روحه المعنوية كما كان يشعر

بشيء من الارتياح.. وصحب آنا معه إلى منزل صغير في ألمانيا الجنوبية حيث تم زواجهما.

وهناك التحق بخلية صهيونية وأخذ يعمل في حراسة الحقول نهارًا وتوزيع الدعاية للخلية ليلاً.. ولما بلغ الجنرال أهارون هذا الوضع اعتبره ركيزة يستطيع عن طريقها الاستفادة بمواهب كلوزن، فاتصل بالجنرال رئيس مخابرات الإسرائيلي وناقشه في أن نشاط كلوزن في منفاه دل على أنه صهيوني مخلص.. ثم أخذ يحثه على استخدام نفوذه للحصول على عفو عن رجل له قيمته في مخابرات الجيش الإسرائيلي.

وخلال بضعة أشهر صدر الأمر لكلوزن بالعودة إلى تل أبيب، وبإعدام الملفات التي تثبت للشرطة انحرافه، وهذه المعاملة المعتدلة لم تثر الشعور بأن كلوزن لا يمكن الاستغناء عنه بقدر ما جعلت القسم الخاص التابع لمخابرات الجيش الإسرائيلي له أهمية عظمى كما تبين منها مقدار نقص الفنيين في تل أبيب.

وبينما كان أهارون يكافح مع رؤسائه لإنقاذ حياة كلوزن كان وجدي يواصل تنفيذ خططه للحصول على خبير للاسلكي يصلح للعمل في باريس.. وكان أمامه اسم آخر.. فرانسوا.. ذلك المراسل اللامع الذي سبق أن اجتمع به في لندن.. وفرانسوا هذا كان حلقة اتصال قوية بين وجدي والطبقات الواعية في فرنسا وعن طريقة تعلم وجدي عدة لغات أخرى وحصل عن طريقة على قدر كبير من الثقافة الفرنسية، كما أدرك أن أي عملية في فرنسا لا يقدر لها النجاح إلا إذا ساعد في نجاحها أحد الأهالي في فرنسا ممن يتقلدون مناصب عالية.

وكان فرانسوا قد صدرت إليه الأوامر بمغادرة إنجلترا والعودة إلى فرنسا لتقلد

منصب يمكنه أن يتحرك من خلاله في حرية داخل الدوائر الحكومية.. فاقترح على صحيفته في باريس ضرورة عودته لتدبير شئونه المنزلية.

ووافقت الصحيفة على اقتراحه فعاد إلى باريس ليتسلم عمله ككاتب له الصدارة بين الكتاب السياسيين في فرنسا.

وفي تل أبيب كان أهارون ووجدي يفحصان حالة كل عميل بعد الآخر وسرعان ما توقفت عملية نقل العملاء من مراكزهم التي سبق تنظيمها واحتفظ وجدي برجاله وأصبح على استعداد لنشر شبكة جاسوسيته.

ثم ينتقل المشهد إلى مدريد، حيث كانت امرأة في مقتبل العمر من المضيفات المرحات المشهورات بثرائهن وجمالهن الأخاذ تعرف بأنها من اللاجئات السياسيات وقيل إن والديها قد قتلا وهربت إلى خارج روسيا مع بعض أقاربها الأثرياء، ولكن المجتمع الأسباني برغم مظاهره المتحررة رأى أنه من الأفعال الشائنة أن تفتن المرأة علنًا برجل طويل القامة في منتصف العمر يدعى فوكوليتش ويعمل ضابطًا في الجيش اليوغوسلافي.. غادر يوغوسلافيا ليعيش في مدريد.

ولعل السبب في الاتجاه إلى فوكوليتش في مدريد أنه كانت له زوجه، ولو أنها قد تكون امرأة عادية إلا أنه كان عليه أن يلتزم جانب العقل والحزم في علاقته العلنية بالمضيفة الثرية.. ولكنهما لم يعيرا اهتمامًا لهذه الأقاويل.. وفي الواقع كانا يعملان على تشجيعها إذ إن المرأة لم تكن لاجئة سياسية بل كانت عميلة للموساد في مدريد وتمارس نشاطها تحت الاسم الحركي "أولجا"، وكانت أعمال الطيش بمثابة ستار لنشاطهما السري.. لأن من يشغلون أذهانهم بحب محرم لا يستطيعون الارتباط بالجاسوسية ومع ذلك فقد كان هذا الستار ادعاء جزئيًا إذ كانا يقيمان معًا دون مراعاة لمسز فوكوليتش.

وكان أهارون قد أصدر تعليماته إلى فوكوليتش منذ سنتين بأن يتزوج امرأة تكون له ستارًا جيدًا.. فتحدث فوكوليتش إلى "أولجا" في هذا الأمر واتخذت هذه اجراءاتها لتدبير امرأة دانماركية طائعه عبوسة الوجه جسمها لا يسر الناظرين على قدر ما تستطيع أن تجد.. لتقبل اقتراحًا بالزواج، ورضيت بذلك المرأة الدانماركية لأنها إذا رفضت فسوف تظل عانسًا بقية حياتها لا يرغب فيها أحد من هذه الدنيا الغريبة.

وعندما حان الوقت المناسب سلمت "أولجا" إلى فوكوليتش أوامر سفره، وكان عليه أن يغادر مدريد إلى باريس تحت ستار مناسب وينتظر هناك حتى يوافيه وجدي فيتبرع بعدة مقالات للصحف الأسبانية والمجلات الدورية، فاختارته إحدى المجلات مراسلاً لها في باريس.. ولكي يدعم هذا الاتجاه كتب إلى صحف يوغوسلافية قبلت خدماته كمراسل لها في باريس.. وبعد مضي ثلاثة أسابيع غادر فوكوليتش "أولجا" لآخر مرة وأخذ زوجته وحقائبه واستقل طائرة إلى باريس.

وفي فرنسا ركز جهوده في السلك الصحفي فاجتمع بالمراسلين الآخرين والتقى بنادي الصحافة في باريس.. واجتهد أن يكون معروفًا لدى أقسام الصحافة في الوزارات، ثم أخذ لنفسه مسكنًا في غاية الفخامة في باريس وفي بضعة أسابيع أصبح من أشهر الصحفيين في العاصمة الفرنسية. ولم يعد مشروع باريس رسمًا على الورق فقد وصل العميلان السريان وهما أول العملاء، وأخذا في تدعيم نشاطهما في الخفاء.

obeikandl.com

# الفصل الرابع

وأعد وجدي لنفسه مهمة سرية أثبتت على مر الأيام أنها عبء ثقيل تنوء به أعصابه وتؤدي في النهاية إلى الانهيار، وكان نجاحه فيها يتوقف على خوضه بحار الدسائس الهائجة في دقة وإحكام وعلى مقدرته في تجنب سدود الرمال التي يجدها في طريقه.

وكان منذ سنين قد التحق بجامعة أجنبية للقيام ببعض الدراسات العليا، والآن يعتزم أن يعود إلى بلاده باعتباره من أبناء الوطن الذين طالت أسفارهم وعادوا ليعربوا عن ولائهم لمصر الجديدة، فتذرع بخطابات يتقدم بها المصريون في الخارج وكان هؤلاء يدركون عن طيب خاطر أنهم يزكون كاتبًا مصريًا وليس شخصًا آخر.. وهكذا عاد وجدي إلى وطنه واستقر فيه بعد أن قام بعدة زيارات سريعة على مر السنين محتفظًا بعنوانه في القاهرة وبصلاته بحفنة من أصدقاء الطفولة وسهلت له الخطابات التي كان يحملها أن ينتظم في الاتحاد الاشتراكي ولكنه كان يريد أكثر من ذلك.

وفي الحال لاحت له فكرة الالتحاق بصحافة الدولة حيث يكون مقبولاً أكثر إذا التحق بالاتحاد الاشتراكي، فقدم طلبًا رسميًا يعززه فيه أحد زملائه، وأخذ ينتظر النتيجة على مضض، حيث كان يدرك أن اللجنة المركزية لا بد أن يقوموا بأبحاث عنه.

ولكنه قرر أن يخاطر بذلك.. وكان على يقين من أنهم سوف يكشفون أوجه نشاطه في الخارج، وأثارته عوامل الشك فأخذ يقدر الفرص، ورأى أن الأمر يستحق المقامرة لأن أقصى فاعلية له في باريس سوف تتوقف على شهرته في القاهرة.

وعلى مر الأيام أخذ يتحكم في أعصابه وعكف على الظهور في الدوائر السياسية المعروفة كلما استطاع إلى ذلك سبيلاً، ونجح في خداعه، إذ حدث أن قبلت اللجنة المركزية بياني التزكية.. وكان أحدهما ضمانًا لماضية الشخصي، والآخر لأمانته في عمله.. وقامت اللجنة المركزية ببعض مراجعات بسيطة لبعض تفصيلات غير ظاهرة.

وباجتيازه هذا الحاجز دون مشقة، دفعته ثقته بنفسه لأن يسير قدمًا لتحقيق خطته بأن يعين مراسلاً في باريس لثلاث صحف متوسطة الحجم كي يكون في موقف سليم، وقادته جرأته لأن يواصل السير في طريقه ليحقق ستارًا كاملاً، فقد كانت صحيفة "الأهرام" أعظم الصحف اليومية نفوذًا في مصر بالنسبة لأولئك الذين يعيشون في الخارج.. وكانت على رأس الصحف التي تتدخل رسميًا في كل شيء.. فأعد وجدي مقابلة مع رئيس تحريرها بمساعدة أصدقائه من الصحفيين في القاهرة.. وخرج من المقابلة بوظيفة أتاحت له أن يصبح من أكبر الصحفيين المصريين في باريس.

وبعد أن أحرز وجدي هذا النجاح عمل على تدعيم مركزه في اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي، وفي وقت قصير أصبح اسمه معروفًا في الدوائر السياسية العليا، فكان يدعى إلى الحفلات الرسمية التي لا يحضرها إلا الأصدقاء المخلصون والأعضاء المقربون ذوو الثقة، وكان الهمس يدور حول أن وجدي مراسل جريدة "الأهرام" له أصدقاء سياسيون أقوياء من بينهم أمين اللجنة المركزية.

وفي مساء رحيله إلى باريس أقام المجتمع الصحفي في القاهرة مأدبة عشاء تكريمًا له حضرها عدد كبير من السياسيين والصحفيين والمراسلين الأجانب، وأدى ذلك فيما بعد إلى الاعتقاد في باريس أن الاتحاد الاشتراكي يعضد وجدي رسميًا، وكان قد عمل على تنظيم هذا الحفل بطريقة غير مباشرة، وبعد ظهر اليوم التالي غادر القاهرة في الطائرة المتجهة إلى باريس.

قضى وجدي الأسابيع الثلاثة الأولى في باريس في زيارة لمندوبي الصحف في مختلف الوزارات، يعرف نفسه للملحقين الصحفيين الأجانب، وتلقى الدعوة لتناول العشاء في السفارة المصرية للاجتماع بموظفيها وأصبح مرشحًا لعضوية اتحاد مراسلي الصحف الأجنبية في باريس، ثم حضر معظم المؤتمرات الصحفية الرسمية، وفي أحدها التقى بفوكوليتش القادم من مدريد، ولم يكن قد التقى به من قبل.. ولم يكشف كل منهما عن شخصيته، وقد أمر وجدي بأن التعارف لا يكون إلا عند تبادل الإشارات السرية في موعد قد أعد من قبل.

وذات مساء التقى فوكوليتش برئيسه رسميًا في مشرب أحد الفنادق حيث قدم رجل طويل نحيف القامة واشترى مشروبًا وأخذه إلى منضدة جلس إليها وراح يقرأ في كتاب معه.. وجلس فوكوليتش إلى نفس المنضدة وسأل وجدي بلطف:

ـ أنت مراسل جريدة "الأهرام" القاهرية.. أليس كذلك؟ واسمك وجدي على ما اعتقد.. وقد تذكر أننا التقينا في مؤتمر وزارة الخارجية في الأسبوع الماضي.. هل أخطأت في التقدير؟

ورفع وجدي رأسه عن الكتاب وقال مبتسمًا:

ـ بالطبع لم تخطئ.. فأنت فوكوليتش وأنا سعيد برؤيتك.

وألقى فوكوليتش نظرة على الكتاب وقال:

ـ إن هذا الكتاب يأخذ بالألباب، فقد قرأته من قبل، وإذا لم تخني الذاكرة.. فقد وصف هذا الكتاب امرأة خيالية في صحيفة.. دعني أتذكر.. لأن من عادتي أن أذكر أرقام الصفحات للأحداث التي تؤثر في مشاعري فأعيد الاطلاع عليها وهو نوع من الهواية.. لقد تذكرت.. إنها صحيفة.. 128.. وقد لصقت صورة الفتاة بذاكرتي إذ ربما كانت إحدى بنات عمي.. وقصدت أن أكتب إليها ظانًا أنها لا بد أن تعرف المؤلف أكثر من أية فتاة ظريفة أخرى.

وارتسمت على وجه وجدي ابتسامة عريضة وقال:

ـ إذن فإني أرغب في مقابلة ابنة عمك هذه.

وأخذ يقلب في عدة صفحات من الكتاب ثم مضى يقول:

ـ إنها من هذا النوع من الفتيات التي يحلم الإنسان بلقياها وإذا كنت تفكر في وصفها فأظن أنك تقصد صحيفة 171 وبذلك تكون ذاكرتك قد خانتك.

وهنا ضحك فوكوليتش قائلاً:

ـ حقًا إنهم يفكرون في فتيات من عالم الخيال، أليس كذلك؟

وكان يقصد بذلك الإشارات السرية التي تبادلاها، حيث كانت إشارته 128 وإشارة وجدي المقابلة 171.

وكان الاجتماع قد سبق تنظيمه في تل أبيب قبل أن يشرع كل منهما في رحلته إلى باريس.. ولم يفطن فوكوليتش إلى أن هذا النظام قد استخرجه وجدي من عقليته الخصبة.

أما وجدي فكانت خطوته التالية هي الاتصال بفرانسوا، وكان ذلك من السهل عليه.. فقد أمر فوكوليتش بإقامة حفل كوكتيل للصحفيين وأصر على دعوة فرانسوا إلى هذا الحفل حيث اجتمع به رسميًا كما قدمه إلى فوكوليتش وبذلك استقر الجواسيس الثلاثة في مراكزهم وبدأ كل منهم في إقامة اتصالات في محيط مهنته.. وأصبح ذلك جزءًا طبيعيًا من المشهد في باريس.. وظل وجدي منتظرًا في صبر وصول العضوين الباقيين لتكملة حلقة التجسس.

وكان أحدهما هو الرجل الذي اختاره لمساعدة فرانسوا، الذي سبق أن عثر عليه يعمل في تلوين الصور في كاليفورنيا.. وهذا الرجل يدعى **"مينو"** وكان

يدبر أمر معيشته برسم صور لأولئك الذين يتناولون طعامهم في الخارج في المطاعم.. واتفق أن عهد إليه أحد العملاء من متيسري الحال بعمل صورة له وكان قد درس الفن عدة سنوات.. والآن قد مرت تلك الأيام.. وأصبح فنه يدرّ عليه أرباحًا مجزية.

ولم يكن "مينو" قد شفى بعد من الصدمة التي ألمت به عندما جاء إلى كاليفورنيا في أول الأمر وشاهد الحياة الأمريكية.. فقد وجد بعض الناس يملكون مالاً وفيرًا ينفقون منه وآخرين كثيرين لا يملكون إلا النزر اليسير.. وقد التحق بإحدى خلايا الصهيونية بلوس أنجلوس ثم عندما وصلت سمعته إلى جهاز الموساد عن طريق التقارير التي نقلت تحمسه وتأييده للأفكار الصهيونية.. أصبح ذلك النقاش الفرنسي الذي تلوح عليه إمارات الذكاء ويتميز بمقدرته الفائقة في استعمال الفرشاة عميلاً للموساد.

فقد فوجئ "مينو" برجل معروف بأنه رئيس إحدى الخلايا يدق عليه باب مسكنه البسيط ثم عرفه بشخصيته وهمس إليه ببضع كلمات وانصرف بعد أن أغلق الباب وراءه.. وكانت هذه هي الأوامر التي تلقاها "مينو" حيث استلم تذكرة للسفر على إحدى الطائرات إلى باريس وألفى دولار للصرف منها وصكًا بمبلغ 1000 دولار.. وعند وصوله إلى باريس كان عليه أن يلاحظ الإعلانات في صحيفة "باري ماتش" فإذا وجد أحدًا يطلب لوحة محفورة على الخشب كان عليه أن يلبي النداء ويحمل الرقم التالي لرقم الصك الموجود لديه. وعليه أن يتبع أوامر ذلك الشخص.. وبعد أسبوع اختفى "مينو" من لوس أنجلوس تاركًا كل متعلقاته في مسكنه.. ولم يعلم أحد أين ذهب، ثم أعلنت شرطة لوس أنجلوس أنه "مفقود" وأوقفت إجراءات البحث عنه.. وتقرر صرف النظر عنه باعتباره شخصًا غامضًا.

وفي وقت لاحق كان "مينو" يجلس في صالون شهير في باريس يتناول القهوة ويطالع صحيفة "باري ماتش".. وفجأة وضع علامة على أحد الإعلانات عن (مطلوب لوحة فرنسية تقليدية محفورة على الخشب) وكان العنوان لأي شخص يهمه الأمر هو أن يتوجه إلى وكالة معروفة للإعلانات.. فاتصل "مينو" بالمدير تليفونيًا وعلم منه أن صاحب الإعلان سيصل بعد الظهر.

وهناك قدمه المدير إلى رجل طويل القامة له هيئة عسكرية.. وخرجا معًا من الوكالة إلى الطريق حيث أبرز له الرجل صك الـ 1000 دولار.. وأخرج "مينو" الصك الذي يحمله ثم استقلا سيارة وانطلقت بهما.. وهكذا رحب به فوكوليتش في باريس.

وحان الوقت الآن للرجل ليصل لتولي مهمته في هذه الوحدة المدهشة التي أعدها وجدي في أوروبا.. وكان كلوزن الذي نجا من فضيحته قد صدر إليه الأمر بإعداد نفسه لإدارة عمليات لاسلكية خاصة في باريس.. ومضت ستة أشهر تقريبًا قبل أن يودع زوجته ويخبرها أن تسافر بمفردها إلى لندن حيث تبقى هناك حتى يرسل إليها باللحاق به في باريس.

غادر كلوزن تل أبيب ومعه ثلاثة جوازات سفر ليمكنه تغيير شخصيته على فترات أثناء رحلته عبر أوروبا.. وفي محاكمته قال:

"قد كان في تل أبيب مئات من جوازات السفر.. وكانت كلها صحيحة لأنها اشتريت من أصحابها الأصليين ولا يحتاج الأمر إلا لتغيير الصور الفوتوغرافية والإمضاءات.. وقد استلمت ثلاثة من هذه الجوازات وما يقرب من 20 عشرين ألفًا من الدولارات بالعملة الأمريكية.. وعند وصولي ألمانيا قمت بتجديد جواز سفري الألماني ومكثت بعض الوقت في أحد الفنادق حسب التعليمات وهناك قابلني أحد الأشخاص وعرض عليّ

نقودًا إن كنت في حاجة إلى نقود.. ورفضت عرضه هذا لأني لم أعلم بحقيقة شخصيته".

وجاء كلوزن إلى باريس ومرة أخرى انتحل شخصية أحد رجال الأعمال الألمان وبدأ يتردد على السفارة الألمانية بحثًا عن الموظفين الذين يمكنهم مساعدته في الاتصال بالشركات الفرنسية فيما يتعلق بأعماله.. حتى إذا تلقى الأوامر أمكن لأي شخص يراجع أوراق اعتماده مع ألمانيا أن يجد أنه حقيقة يمثل إحدى الوكالات الألمانية للتصدير والاستيراد.

وأخذ كلوزن يواصل زياراته للسفارة بانتظام لدرجة أنها وضعت اسمه في القائمة الرسمية للدعوات إلى الحفلات الرسمية.. وفي إحدى هذه الحفلات قدمه إلى وجدي أحد الملحقين السياسيين الشبان.. ولم يبد أحدهما ما يدل على أنه يعرف الآخر عندما تصافحا وتوجها إلى المشرب.. وبالنسبة لوجدي كانت هذه نهاية انتظار طويل الأمد.. فقد وصل لتولي مهمته آخر عضو من "الخمسة الكبار" أعضاء حلقة التجسس.

وانصرف كل منهم بجميع مشاعره إلى تأدية واجبه على التوالي:

الصحفي المصري وكاتب الجلسة اليوجوسلافية والمعلق الفرنسي الشهير بتعليقاته على السياسة والشئون الداخلية والرسام الفرنسي الذي تلقى دراسته في أمريكا والألماني رجل الأعمال.. وازدهرت الصداقة بينهم كما تزدهر وتنمو بين قوم يتحركون في دائرة مجتمع واحد في أية مدينة كبيرة.. ومن وراء هذا المظهر كانت الوحدة على استعداد لمباشرة العمل السري المحكم الخطير.

obeikandl.com

# الفصل الخامس

حرص وجدي على أن يؤدي رجاله أعمالهم دائمًا متذرعين بستار يعصمهم من اكتشاف أمرهم.. إذ كان يعتبر أن النجاح أو الفشل الذريع يتوقف كل منهما على الطريقة التي يتصرف بها رجاله أثناء وجودهم في فرنسا.. وذلك لأن باريس تضم عددًا كبيرًا من الأجانب ومن السهل اكتشاف أمرهم بين هؤلاء الأجانب إذا لم يحرصوا على لعب أدوارهم بدقة وإتقان.

وفي أيام تدعيم الوحدة.. فحص وجدي ستار كل جاسوس على حده وتحري أوجه النقص فيه.. إذ كان هدفه الأساسي إذا حدث أن قيدت أسماؤهم في ملفات الشرطة أنها يجب أن تشتمل على بيانات متفق عليها كالآتي:

- وجدي: صحفي مصري، مراسل لجريدة مصرية.. له عادات بوهيمية.. مغرم بعمله ومولع بالنساء والخمر.. خاصة حفلات القصور وكبار القادة.
- فرانسوا: صحفي فرنسي ينتمي لجريدة فرنسية.. له علاقة وثيقة بالدوائر الفرنسية وله مؤلفات في العلاقات الإنجليزية الفرنسية.
- فوكوليتش: ضابط سابق في الجيش اليوغسلافي.. والآن مراسل في باريس لجريدة يوغسلافية يومية ويعمل بإحدى الجرائد الفرنسية.
- كلوزن: من رجال الأعمال الألمان يتلقى طلبات من فرنسا لأصحاب المصانع الألمانية وهو رجل أعمال موثوق به.
- مينو: فنان فرنسي يتميز برقة الطبع عاد إلى وطنه ليتخذ مهنة الرسم مصدرًا للرزق ولأسرته ماضٍ سليم.

ومن المحتمل أن يكون إصرار وجدي على هذه الاحتياطات من وحي تجاربه خلال الأيام الأولى لوصوله إلى باريس مباشرة.. فقد حدث في أحد المؤتمرات

الصحفية أن اجتمع بصحفي فرنسي يدعى "جيسكار" الذي بدأ بعقد صداقة مع الألماني "كلوزن" الذي وصل أخيرًا.. وبعد مضي يومين أبدى مدير الفندق لوجدي ملاحظة حول جيسكار بأنه سبق أن كان جاسوسًا للجيش الفرنسي.. فانتظره وجدي ليقوم بحركة أخرى.. وسرعان ما حدثت. إذ قدمه جيسكار لبعض الأصدقاء وكان من بينهم أحد الروس البيض الذي أخذ يتحدث بالروسية بمجرد أن التحق وجدي بالمجموعة.. وأدعى وجدي أنه لا يفهم هذه اللغة.. وراح يتجنب الاجتماع بجيسكار.. وفي أحد الأيام عاد إلى فندقه.. فوجد أن أمتعته قد فحصت.. وكان من الواضح أن كل شيء باق في موضعه.. وكان من اليسير على جاسوس مدرب مثل وجدي ألا تخفى عليه بعض تغيرات يسيره حدثت في مسكنه.

ومرت الأشهر القليلة الأولى في باريس بالثلاثة الكتاب (وجدي وفرانسوا وفوكوليتش) وهم يعقدون اجتماعات في حدود مهنتهم.. وأصبحت صداقتهم الشخصية تزدهر وتنمو بصورة عادية.

وكان من الطبيعي لرجال لهم مصالح مشتركة أن يترددوا على نفس الأماكن العامة كالمشارب والمقاهي والمطاعم وأن يجتمعوا في نفس الحفلات.. وكان من المألوف أن يساعد كل منهم الآخر في الحصول على المواد السياسية.

وذات يوم زار وجدي وفوكوليتش متحف اللوفر حيث تقابل فوكوليتش مع فرنسي يدعى "مينو" الذي يعمل فنانًا وله اهتمامات متخصصة في الرسم والنقش والنحت والألوان وتاريخ الفنون.. وببساطة شديدة قدمه لمرافقه وجدي وتجاذب الثلاثة أطراف الحديث واستغرقتهم مناقشات طويلة حول مزايا النقش والرسم وغيرها من الفنون ومدى الاختلاف بين مدارسه المتعددة في الشرق والغرب.

وفي النهاية تلقى "مينو" منهما دعوة ودية لمواصلة الحديث في مشرب يتردد عليه الصحفيون والفنانون.. وبهذه الطريقة ـ وبصورة طبيعية ـ أدخل مينو دائرة التجسس.

وفي ذلك الوقت أخذ وجدي يضع كلوزن تحت حمايته ولكن بصورة ودية.. وكان كلوزن ـ ذلك الألماني البدين من رجال الأعمال ـ يقوم بمحاولات تدعو للشفقة للتعرف على الرجال الذين يصلحون للعمل معه حيث أخذ يتردد على السفارة الألمانية ويحوم حولها مما ضايق موظفيها.. فأبدى وجدي تعاطفه معه وحاول أن يخفف عنه.. وكان يصحبه في جلسات مسائية لتناول الشراب.. وهكذا توثقت عرى الصداقة بين أفراد الحلقة. وأي شخص يريد الاستدلال على لون اجتماعاتهم يتبين له أنها عقدت بطريق الصدفة دون سابق تدبير.

ولما حان الوقت لوجدي لإقامة قاعدة لعملياته.. أخذ يبحث عن منزل يناسب عمله الصحفي وفي حدود مرتبه القانوني حتى عثر على منزل قديم يتألف من طابقين ويقع في إحدى ضواحي باريس ويجاور حي الطبقة المتوسطة بمنازلها ذات الحدائق المنظمة وواجهاتها ذات الطلاء الأبيض.

وكان زواره ينظرون إلى هذا المنزل القديم المتهالك باعتباره المكان الذي يليق برجل لا يعرف الذوق في معيشته وتقوم حياته على الفوضى.

وكان يبدو هذا المنزل بين المنازل اللامعة أشبه بسن تالفة بين صفوف من الأسنان السليمة.. وكان المنزل من الداخل يبدو لمن يتردد عليه سواء كانت المناسبة حفلاً أو لمقابلة وجدي بخصوص أعمال رسمية.. كان يبدو كأنه يزخر بأشياء مبعثرة هنا وهناك.. وكانت الجرائد والمجلات والكتب تملأ أرض الغرفة.. فضلاً عن أكواب قذرة وزجاجات فارغة. ولم تكن الحديقة أحسن حالاً من غرف المنزل.

لكن المثير للدهشة أن زائر المكان كان سرعان ما ينسى الغرفة ومحتوياتها بعد بضع دقائق.. ويقع تحت تأثير وسحر رئيس الجواسيس الذي كان يقدم له قدحًا وزجاجة جديدة من تحت الأنقاض.. ثم يأخذ في الحديث معه في الموضوعات المثيرة.. وكان حديثه جذابًا لبقًا قوي التأثير.

أرسل الضابط أهارون من تل أبيب تحذيرًا بأن "الوقت ضيق لا يكاد يتسع لنا".. وكان وجدي نفسه يشعر بالقلق حول جمع رجاله لإعداد ملخصاتهم الأولى.. وكان قد اشتهر بإقامة حفلات بدأت في شيء من الهدوء في أول الأمر.. ولكنها انتهت بأن أصبح كل فرد يتناول المشروبات أكثر من اللازم.. وكثيرًا ما احتشدت الحفلات بكل من الهيئات الدبلوماسية وعدد من المقيمين في الأحياء المجاورة.

وذات مساء بدأ هذا الحفل "لتقديم المذكرات" بعدد كبير من زجاجات الكوكتيل قدمت إلى الصحفيين والفنانين والدبلوماسيين وصغار الضباط الفرنسيين وبعض رجال الأعمال.. ولأول مرة بدأ المنزل جذابًا.. إذ قدم المشروبات مجموعة من الجرسونات في حلل رسمية.. ولقيت هذه المظاهر إعجاب الجيران ورضاءهم.. وقبل منتصف الليل غادر عدد من الضيوف معظمهم ممن لا يعرفهم وجدي معرفة تامة.. وبقى قليل من الأصدقاء الشخصيين وبعد قليل وقفت أمام المنزل سيارة أجرة هبط منها عدد من الفتيات.. وبعد دخولهن المنزل ساد جو من الجلبة والضوضاء لمدة ساعتين أو ثلاث إذ انبعثت منه صيحات الضحك والعبث وملأت الليل أصوات الصخب وأطل الجيران من النوافذ والشرفات على صيحات المجون وأصوات الزجاجات والأكواب المتساقطة.. وشعروا بالضجر والانزعاج.. وقبل أن يدركهم شعاع الفجر انصرف بقية المدعوين ومعهم الفتيات الصاخبات ما عدا أربعة أشخاص طلب منهم وجدي

بطريقته الدبلوماسية مشاركته في تناول الزجاجة الأخيرة.. ولم يكن يشك أحد في أن هناك أمرًا خافيًا وراء هذه الحفلات الملجنة الصاخبة.

وعندما تحدث الناس بعد سنوات عن هذه الحفلات.. كانت هناك قصص أخرى عن حفلات أقيمت في المنزل.. وكم دهشت باريس حين كشف وجدي عن الغرض الحقيقي الكامن وراء حفلات المجون والخلاعة.. ففي تلك الليلة.. بعد انصراف الفتيات والمدعوين تحول وجدي إلى الرجال الأربعة الذين طلب منهم البقاء معه.. وكانوا جميعًا بما فيهم وجدي.. تبدو عليهم مظاهر المرح وكأنهم لم يتناولوا من الخمر إلا قليلاً وفي حالة من اليقظة التامة والوعي كمضيفهم.

انتظر كل من فرانسوا وفوكوليتش وكلوزن ومينو رئيسهم لكي يفتتح الجلسة الأولى لتقديم المذكرات عن أسرارهم الرسمية.. فقد تجمع أفراد الحفلة في باريس وأصبحوا على وشك الانتشار والتسلل إلى أغراضهم الحقيقية.

وبدأ وجدي يحدد واجباتهم التي اشتملت على عدة بنود:

1ـ هل اعتزمت مصر مهاجمة إسرائيل؟

2ـ تقارير عن إعادة تنظيم وتدعيم القوات المسلحة المصرية التي يمكن توجيهها إلى إسرائيل ومدى التسليح ومصادره.

3ـ تقارير عن دور الجيش المصري مع الجيوش العربية الأخرى في مواجهة إسرائيل.

4ـ تقارير عن تطور الصناعات الثقيلة المصرية وتأثيرها على الحرب من الناحية الاقتصادية.

5ـ مدى تقدم العلاقات أو اهتزازها بين فرنسا ومصر.

6ـ سياسة فرنسا نحو إسرائيل.

7ـ علاقة العرب عمومًا بمختلف القوى المؤثرة في السياسة الدولية.

وأطلقت الحرية للمجموعة للتحرك في دائرة هذه الأهداف الواسعة النطاق.. بعد ذلك أصدر وجدي توجيهاته الخاصة لهذه العمليات فكان على كل فرد أن يبذل جهده في تأدية عمله تحت ستار مهمته القانونية.. وفي الوقت نفسه تكون مهمته السرية موازية لها.. وأوصاهم بالحذر وألا يبدو عليهم الشغف بالحصول على معلومات إلا إذا أمكن تحقيق ذلك في نطاق القانون. وعليهم أن يتذكروا دائمًا أن العميل السري الناجح هو نفسه مصدر طيب للمعلومات.. فإن الصلة قد تتحول إلى موضع ثقة بسهولة إذا ما اعتقد أنك تستطيع مساعدته.. دع الثقة تنبثق من صلاتك.. ولتكن مهمتكم محددة وعلاقاتكم تحت السيطرة.. ولتتعرفوا بطريقة طبيعية.. خاصة بين الأجانب.. وكقاعدة عملية كانت جميع المستندات التي يستغني عنها يتم إتلافها.. وأصبح لكل عميل اسم مستعار يستخدمه في إرسال الرسائل اللاسلكية وفي تأدية مهمة حمل الرسائل.. وكل شفرة لاسلكية يجب أن تفكك بعد استخدامها في كل مرة.. وأن يكون وجدي هو المسئول عن النظام.. وكل أسباب الفشل أو الخطأ التي تهدد نشاط المجموعة يجب أن يعاقب المتسبب فيها على الفور أو يعاد المذنب إلى إسرائيل طبقًا لخطورة الجريمة.

وبعد هذه المذكرة الشديدة اللهجة التي لفتت أنظارهم إلى عزلتهم في بلاد أجنبية عهد إليهم وجدي بمهامهم كالآتي:

1ـ وجدي والاسم المستعار رمزي.. ويركز جهوده في السفارة المصرية وبين الجالية المصرية وأن يكون مطلق الحرية في التنقل بين الدوائر المصرية كلما أتيحت الفرصة لذلك.

2ـ فرانسوا والاسم المستعار جاك.. ويكون مسئولاً عن التقارير السياسية والصناعية التي يحصل عليها من المصادر الفرنسية التي تكون في مستوى الوزراء.

3ـ فوكوليتش والاسم المستعار جيجولو: يتولى متابعة السفارات البريطانية والأمريكية والعربية ومتابعة تقارير الأنظمة السياسية العربية.

4ـ مينو والاسم المستعار جو: ويركز نشاطه على الخطط السرية التي يضعها الإنتاج الحربي الفرنسي والبحرية الفرنسية فيما يخص سياسات التسليح العربية والتجول في الدوائر الصناعية لمراقبة إنتاج الأسلحة.

5ـ كلوزن والاسم المستعار فريتز: ومهمته دراسة المصالح المصرية والأخطار التي يمكن أن تهددها في فرنسا بالإضافة إلى عمله الأصلي كعامل لاسلكي في المجموعة.

واستثنى من ذلك فرانسوا ومينو فقد سمح لهما بقدر من الحرية في اختيار بعض الأقارب والأصدقاء في جميع أنحاء فرنسا للمساعدة كلما دعت الضرورة إلى ذلك.. ولكن هؤلاء المساعدين من الخارج يجب عليهم ألا يتعرفوا بأحد من المجموعة سوى من قام باستخدامهم والتعاون معهم.. وبقدر الإمكان أن يستخدموا فقط في حمل الرسائل أو كوحدات قوية إذا استدعى الأمر الدفاع عن النفس.

وقد عين فوكوليتش المصور الرسمي للمجموعة.. ويكون مسئولاً عن معدات الكاميرا وتوريد الأفلام وتحميض الصور.. ثم عليه أن يتخذ لنفسه ستارًا بأن يدعى أنه مصور فوتوغرافي من الهواة المغرمين بالتصوير.. وأن يحمل الكاميرا دائمًا.. وإن يعد لنفسه غرفة مظلمة.

وكان وجدي نفسه يحمل كاميرا خفية صنعت خصيصًا في تل أبيب ويمكن وضعها في علبة الثقاب.. وكلما اشترى علبة من السجائر يدخل فيها عددًا من سجائره التي لا يشتبه في مظهرها والتي إذا اشتعلت تحترق لبضع ثوان ثم ينبعث منها وميض أزرق لامع على ضوئه يستطيع أن يلتقط الصورة المطلوبة.. وبعد أن يختفي اللهب تحترق السيجارة ثانية ويدخنها بصورة عادية.

وكان مينو هو المترجم الرسمي للمجموعة.. وكانت كل المستندات تترجم إلى اللغة الإنجليزية.. أما كلوزن فكان مختصًا بالشئون المالية للمجموعة.. وكان في الواقع يعمل كصراف ورئيس للخزانة.

وبعد أن أعاد على ذاكرتهم أنهم مسئولون أمامه دائمًا.. وأنه سوف يكون لهم الدرع الواقي ضد أي تدخل غير جائز من تل أبيب.

أطلق لهم الحرية في عقد أي صلات يرون أنها لازمة ونافعة لهم.. كما حذرهم وجدي ألا يبوحوا له بمصادر معلوماتهم ولا لبعضهم البعض أو بعبارة أخرى أن يكون كل جاسوس وحده قائمة بذاتها يدلى بمعلوماته لوجدي شخصيًا.. وبطبيعة الحال احتفظ لنفسه بحق المطالبة بتسمية المصادر إذا كانت المعلومات المقدمة تتعلق ببعض التقارير الهامة.

وكان الموضوع التالي للبحث هو المواصلات.. وكانت أمامه وسيلتان عاديتان هما: اللاسلكي وحملة الرسائل.. وكان من البديهي تجنب الاتصال بالسفارة الإسرائيلية إلا في حالة الطوارئ الشديدة.. ويمكن للسفارة أن تتعرف عليهم عن طريق تبادل الشفرة مع الملحق العسكري.. وإذا كان لا بد من اتخاذ هذا السبيل يكون وجدي هو الوحيد الذي يدبر أمر الاتصال بالسفارة وفي حالة تغيبه يتم الاتصال عن طريق الملحق العسكري.

وكان هناك سبب قوي لهذا الاتجاه.. إذ كان وجدي يدرك أن الجواسيس ينبغي ألا يرتبطوا بالنظريات الفردية.. بل يجب أن تكون اتجاهاتهم منطوية على تظاهر بالانحراف عن الصهيونية في صورة خشنة.

ولم يكن يرغب في أن يعلم عملاء الشرطة السرية في السفارة شيئًا عن وجود المجموعة فيعدون تقاريرهم عن أعضائها.. ثم تحفظ هذه التقارير في تل أبيب دون الرجوع إلى جهاز الموساد.. ومن الممكن استخدام هذه التقارير ضد أي فرد

من المجموعة خلال أي فترة للتطهير في المستقبل من السنين.. فقد كان أهارون رئيس مخابرات الجيش في تل أبيب.. ووجدي يعلمان جيدًا أي المنظمات تتولى النفوذ الأكبر في تل أبيب.. ولذلك كان الملحق العسكري وحده.. وهو أحد ضباط الجيش.. هو الذي يعلم أن هناك وحدة تابعة للموساد تعمل في باريس.. ولم يبدأ في الاشتباك مع الشرطة السرية إلا بعد أن أثبتت المجموعة نجاحها.

وأما كلوزن فقد أعد جهازًا لاسلكيًا للإرسال والاستقبال يستطيع أن يقوم بالعمليتين على مسافة تقرب من ثلاثة آلاف ميل.. وكان عليه أن يدير هذا الجهاز من منازل الجواسيس كل منهم بدوره.. وكان هناك شيء من الخطر من وحدات كشف اللاسلكي.. إذ كان من المستحيل إرسال رسالة سرية من بعد ثابت دون تعرضها للكشف.. فكان من الضروري تجنب البحث الذي يجري من منزل إلى آخر بنقل الجهاز بعد كل عملية.

وكانت المحطات في تل أبيب تختفي تحت أسماء متفق عليها.. وصدر الأمر لأفراد المجموعة بحفظ الشفرة التي يحفظها كل من كلوزن ووجدي عن ظهر قلب.. وكانت عبارة عن نظام عددي بسيط يمكن تغييره يوميًا إلى نموذج معين للأيام الزوجية وأخرى للأيام الفردية.. وفي كل شهر تتغير الشفرة بأكملها.. وكانت أوقات الإرسال غير محدودة وتتوقف على أحسن الأحوال الجوية.

وأصر وجدي في أول الأمر ألا يستخدم الراديو إلا في المعلومات الأكثر استعجالاً من غيرها.. وللاتصال فقط في حالة الطوارئ.. إذ كان يعتقد أن المجموعة في أول سنوات عملها أكثر عرضة للأخطار.. ولذلك أراد أن يكون الاتصال مع أهارون سهلاً هينًا فاهتم بإرسال معظم المواد إلى تل أبيب بطريقة حملة الرسائل.. وإن يكون الاجتماع بهؤلاء الأفراد المتسترين القادمين من تل أبيب في لندن ومانشستر على قدر المستطاع.. وفي باريس نفسها في الظروف النادرة إذا دعت الضرورة لذلك.

وكان من واجب أفراد المجموعة أن يقوموا بهذه الرحلات بالتناوب.. كل منهم بدوره.. يحملون معهم صورًا دقيقة من المستندات.. ويكون الاتصال بالرسول القادم عن طريق إشارات.. وإشارات مقابلة تم إعدادها من قبل.. كما يحملون أي طرود قد تسلم إليهم.. إلى جانب هذا يهتم الجواسيس بالمال شأنهم كشأن غيرهم من الناس.. ولكن على العموم يكون في أيديهم اعتمادات مالية معقولة.. على أساس أن الجاسوس المثقل بالدين قد يتنكر لمن يستخدمه.. وكان وجدي قد أخبر زملاءه أنهم سوف يعملون كوحدة مستقلة غير مقيدة باعتمادات مالية تأتيهم من تل أبيب.. ولن يتسلم أي فرد منهم مرتبات أو مكافآت مالية أخرى نظير خدمتهم في الموساد.. بل يعيش كل منهم في حدود دخله القانوني مع شيء من النقود تأتيهم لمجابهة المصروفات عن طريق حملة الرسائل.. ويستطيع الأفراد أن يقدموا كشف حساب عن المصروفات الشخصية التي تكبدوها لإقامة حفلات الترفيه والتكريم.. ومصاريف الانتقال وما يدفعونه من أجر لمن يدلى بالمعلومات.. وكذلك هناك اعتماد مالي لشراء معدات اللاسلكي وأدوات التصوير والأفلام.. وقدر وجدي جملة مصروفات مجموعته بثلاثين ألف دولار شهريًا.. وكأي مدير لمؤسسة ما كان يحث رجاله على أداء واجباتهم في حدود هذا الرقم ثم يأمر كلوزن بأن يخفي حسابات الوحدة بإدراجها في دفاتر أعماله ويستخرج لها ميزانية سنوية يراجعها وجدي بنفسه وبمعرفته ويوقع عليها أفراد المجموعة.. وبعد ذلك تطبع على أفلام دقيقة وترسل إلى جنرال أهارون ومنه إلى خزانة الموساد حيث تدرج ضمن الحسابات القانونية.. وبذلك تكون وحدة وجدي معروفة لدى جهاز الموساد والكنيست معًا.

بمقتضى هذه الإجراءات قام خمسة رجال بواجباتهم دون مرتبات ثابتة وبأقل مصروفات ممكنة.. وهم أولئك الرجال اللامعون ممن تميزوا بالشجاعة والإقدام..

والذين قدّر لهم أن يغيروا مجرى التاريخ، ويصوغوا الدبلوماسية الإسرائيلية، ويحركوا جيوشًا بأكملها عبر الحدود، ولم يتوقعوا أكثر من أن يعيشوا حياة مثالية.

وكانت هذه هي الصورة العريضة للمخابرات الإسرائيلية في أوروبا، فقد كان كل شيء يتم في عناية ودقة وإحكام.. وكان لكل فرد في الوحدة مطلق الحرية في التصرف بناء على توجيه بسيط.. إلا أن كل فرد منهم كان يتصرف في حدود المهمة المحددة له.. ولم يكن أحد سوى وجدي.. وهو النقطة المركزية للاتصال.. يستطيع التجول في أي دائرة يشاء دون توقف.. ومع ذلك كان كل فرد منهم له من الأهمية بحيث يمكنه أن يسهم في كل تقرير شامل يرسل إلى تل أبيب بتوقيع "رمزي" وهو الاسم المستعار لوجدي.

وطلع الفجر في أحد أيام باريس عندما كان أفراد حلقة التجسس يتناولون القهوة ويستعدون للخروج للقيام بمغامراتهم.. وخرج وجدي إلى الشرفة ليودعهم وهو يرتكن إلى أحد الأعمدة المتهدمة غير مبال بخطر السقوط، ولوّح لهم بيده في هيئة المخمور عندما اتخذ زملاؤه طريقهم إلى سيارة كانت في انتظارهم وهم يتصايحون بعبارات الوداع.. وكان المشهد يبدو لأي مراقب وكأنه نهاية حفل صاخب.. ولم يتخيل أحد أنها كانت نهاية فترة انتظار طويل لبدء العمل.. ومن ذلك الحين كانت عشرات من النساء والرجال الأبرياء ممن هم في مراكز رسمية أو شبه رسمية هم الأهداف المباشرة أمام الحرب الخفية التي يشنها الموساد على أعدائه الأقوياء.

وكانت جهود وجدي مركزة أصلاً على الملحق العسكري المصري الحاد الذكاء والذي سرعان ما أصبح سفيرًا.. واتخذ كلوزن مسكنًا له في إحدى الضواحي حيث أقام جهازه اللاسلكي.. وأول شيء ظهر في دفاتر أعماله هو مبلغ عشرة آلاف دولار بصفة عمولة.. وكان في الواقع أول حساب للمجموعة للقيام بمهمتها.

وبدأ فوكوليتش يظهر وهو يتناول الغداء مع الدبلوماسيين ومحرري الصحف والصحفيين الأجانب.. وعهد إلى مينو برسم صورة كاملة لزوجة أحد ضباط أركان الحرب.

أما فرانسوا فقد كانت أهدافه فوق مستوى الجميع.. إذ نصب شراكه من حيث النفوذ السياسي والعائلي حول أفراد لا يقلون في مراكزهم عن رئيس وزراء فرنسا.

obeikandl.com

# الفصل السادس

في أحد الأيام كان وجدي يجلس في صالون فندق باريس شهير وكانت تجلس على مقربة منه فتاة في ثوب أنيق ذات شعر قصير.. لم يبد عليها في أول الأمر أنها لاحظت أنه يحدق فيها بنظره.. وإن كانت قد ظهرت عليها بعض مظاهر الخجل عندما انتهت إلى أنه يدقق فيها النظر.. وقبل أن تغضب الفتاة تقدم رجل إلى وجدي وعلى وجهه ابتسامة عريضة وقال له مغتبطًا: (يا الله.. أنت جوزيف؟! لم أكن أتوقع أن ألقاك في مثل هذا المكان.. إنه موقف يبعث الرهبة ولا أستطيع تحمله).

فابتسم وجدي في وجهه ولكن عينيه ما زالتا مركزتين على الفتاة.. وهمس قائلاً: (إنك صادق فيما تقول) ثم رفع صوته لكي يصل إلى سمع الفتاة وقال: (وأنا لا أدري كذلك ماذا أصنع هنا.. لقد تذكرتك الآن.. فأنت تزوجت من صديقة لي تدعى كاتي).

وراح الغريب يربت على ظهر وجدي في إخلاص ولكن مع شيء من الشدة.. فأحنى وجدي ظهره متألمًا.. وتعجب صديقه قائلاً: (إني آسف.. لأني لم أكن أعلم أن ظهرك ضعيف إلى هذه الدرجة.. وأقترح عليك أن تصعد معي إلى غرفتي حيث نتناول طعام الغداء ونتحدث عن الأيام الخالية.. فما رأيك؟).

فأومأ وجدي برأسه موافقًا وهو يبدي الأسف.. وتطلعت الفتاة إلى تظاهره بالملل وتبسمت.. وكان وجدي يشعر بأنه من الصعب أن ينصرف بعد أن أثار الفتاة مهما كانت الأسباب.

وفي غرفة الرجل الغريب نسى الرجلان أمر الفتاة في الطابق الأسفل وبدأ كل منهما العمل.. فقد اتصل وجدي بأول حامل للرسائل وكانت الإشارة

بينهما اسم "جوزيف" والإشارة المقابلة "كاتي".. ثم إن استخدام هذه الأسماء ليس غريبًا في بلد مشحون بالأجانب.. بعد ذلك رفع وجدي القميص من بنطلونه وفك قطعة من القماش الرفيع كانت مربوطة حول وسطه في إحكام وتدلت منها ثلاثون رزمة صغيرة من الأفلام الدقيقة ملفوفة في مادة لا يتسرب إليها الماء.. ورفع حامل الرسائل قميصه وأحكم وضع الحزام حول وسطه.. وكانت نتيجة عمليات المجموعة في الستة أشهر الأولى مسجلة على هذه الأفلام.. إذ جمعت الوحدة كمية هائلة من المواد السياسية والاقتصادية. وبعد أن درسها وجدي بعناية.. ضمنها هذه التقارير الشاملة.. وبعد مراجعة بعض الحقائق من مصادر مختلفة أرسلت بطريقة اللاسلكي. ولكنها معلومات كانت إلى ذلك الوقت لا تشتمل على أية بارقة لسر يتعلق بالدولة.. وقد صرح وجدي فيما بعد بأنها كانت مواد أساسية على ضوئها يمكن تقدير المعلومات مستقبلاً.

ثم أخرج حامل الرسائل حزمة من حقيبته وسلمها إلى وجدي الذي قام بفض أختامها فوجد أولاً مظروفًا يحتوى على ألف وخمسمائة دولار، ثم فتح مظروفًا آخر فوجد فيه خطابًا مكتوبًا بالشفرة.. وقرأه وجدي بسهولة دون أن يلجأ إلى القلم والورق.. وكان الخطاب يحوي بين سطوره شيئًا من اللوم.. إذ إن السلطات العليا ضغطت على جنرال أهارون لكي يمدها بمعلومات أكثر.. وذلك لأن الكنيست كان يعتقد تمامًا بأن هجومًا من مصر أصبح قريب الوقوع وأن المصريين يوالون ضغوطهم على الضفة الشرقية.. وقال أهارون إن الضغوط الشعبية والسياسية العربية قد تكون ذريعة ودافعًا لقيام الحرب وذكّر تلميذه وجدي بأن الوقت لم يعد يتسع لهم وأنه يأمل ألا تتخلى عنه فرقة باريس.

وأحرق وجدي المستندات وألقى برمادها من النافذة.. ثم احتفظ بالدولارات فقط ليثبت أنه كانت هناك مبادلات للرسائل. وجلس يتناول غداءه.. وكان قد أصدر أوامر مشددة بألا يناقش عملاؤه حملة الرسائل حول أوجه نشاطهم كما

تلقوا أوامرهم من تل أبيب بألا يلقوا أية أسئلة على العملاء.. وكان موضوع المناقشة الوحيد الذي سمح بتداوله بين العميل وحامل الرسائل هو الأنباء المحلية فقط.. فإذا كان كل منهما له علاقة بأفراد معينين استطاعا الحديث بشأن هؤلاء الأصدقاء.. وبانتهاء الغداء كان كل من وجدي وحامل الرسائل قد انتهى من الأحاديث التافهة.. وكان حامل الرسائل قد قرر مغادرة باريس بعد ظهر ذلك اليوم.. وسعد وجدي بمرافقته لتوديعه عند باب الفندق.. إذ تذكر أن الفتاة لا تزال جالسة في الصالون.. وصافح وجدي رفيقه وهنأ كل منهما الآخر.. بعد ذلك أخذ حامل الرسائل يستعد لرحلة حيث يواصل سفره إلى لندن ثم منها إلى تل أبيب.. هذا.

وقد ذهل وجدي عندما وجد الفتاة قد اختفت من الصالون في الطابق الأسفل ولكنه شعر بدافع ما يلح عليه فاتجه نحو مكتب الاستقبال حيث حصل على بعض المعلومات عنها.. فقد كانت فتاة أمريكية سجلت في الفندق على أنها سوف تغادر في مدى أسبوع وأنها مسافرة بمفردها.. حتى إذا جاء المساء اتصل وجدي بها بالتليفون وأغراها بالموافقة على تناول العشاء معه.. ولم تسافر الفتاة إلى أي مكان آخر في مدى الأسبوع.. إذ كانت مقيمة في فندق آخر في يوم ميعاد السفر.. وكانت هذه الفتاة أول امرأة تدخل منزل وجدي بوصفها سيدة مرافقة له خلال أيامه الأولى في باريس وإن كان لم يصحبها إلى السفارة أو إلى أي حفل رسمي.. وأثار هذا الأمر شيئًا من الفضيحة في ذلك الوقت.. ولكن معظم زوجات الدبلوماسيين التمسن له العذر إذ كن يقبلن حياته البوهيمية على مضض.. وكن يعلمن أنه من المستحيل أن يكون أعزب.. وكان لا يقدم على إهانتهن بمرافقة نسائه في حضورهن.. وفي وقت لاحق أعربت إحدى زوجات الدبلوماسيين البريطانيين عن إعجابها به وقالت: (إنه رجل حازم.. وإن المرأة لا تشعر بأنها تستطيع أن تخاطر بعفافها من أجل رجل مثله).

بعد ثلاثة أشهر غادرت الفتاة الأمريكية باريس وعادت إلى بلادها جوًا وكان عليها أن تعود للظهور في حياة وجدي في مرحلة أشد حرجًا في مجرى حياته.

وأثناء عودته من الفندق اتصل بكل من فرانسوا ومينو على حدة وعهد إليهما بتحقيق أهداف لها أولوية مثل: اكتشاف الغرض من نشاط المصريين على الجبهة الشرقية، ثم معرفة ما إذا كانت التعزيزات السوفيتية من الصواريخ قد أرسلتها إلى مصر.. وانتظرت المجموعة شهور قلقة لم يعرف عن وجدي في هذه الفترة سوى السيدة الأمريكية وقبل أن ينقضي عام سجل فرانسوا أول نجاح للمجموعة إذ وضع وزير خارجية فرنسا أمام الوزراء برنامجًا للأغراض الدبلوماسية والاقتصادية لفرنسا عن السنة المقبلة ووزعت مسودات من هذا البرنامج على رؤساء المصالح للتعليق عليها.. واشتملت الوثيقة النهائية على هذه التعليقات، واستلم السكرتير الأول للوزارة إحدى هذه المسودات.. إذ كانت مهمته إعداد جدول أعمال الوزارة.

في ذلك الوقت كان فرانسوا أحد البارزين في مجموعة لدراسة العلاقات الخارجية تحت رعاية رئيس الوزراء، وفي أثناء اجتماع للمجموعة علم فرانسوا من سكرتير الوزارة بمسودة البرنامج فطلب منه الاطلاع عليها ووافق السكرتير على تقديمها إليه.. بل ذهب إلى أبعد من ذلك بأن تطوع بسؤال السيد الوزير أن يسمح لفرانسوا بوقت يستطيع فيه دراسة البرنامج وإبداء رأى مستقل عن تلك الفقرات التي تتعلق بالعلاقات الخارجية.. وهكذا كان موقف فرانسوا في الدائرة السياسية كخبير في الشئون الخارجية يسمح له بالاطلاع على هذه الوثيقة السرية الكبرى بتصريح من السلطات العليا في ذلك الوقت.

ولو أنه لم يصرح له بنقلها من مكتب الوزارة.. إلا أنه جلس في مكان هادئ اختاره لدراسة المسودة.. حيث لا يمكن لأحد أن يزعجه.. وأخذ يلتقط صورًا فوتوغرافية لكل صفحة منها.

وذهل وجدي لهذه الأنباء وما لها من أهمية عظمى، ورفض أن يصدق تقرير فرانسوا الشفهي حتى يتم تكبير الفيلم بمعرفة فوكوليتش في غرفته المظلمة وتحت ستار من مأدبة عشاء أقامتها زوجة فوكوليتش.. دهش كل من وجدي وفوكوليتش كيف قبل وزير الخارجية طلب فرانسوا مما لا يمكن تصديقه.. وكانت هذه أول مرة يستطيع فيها وجدي أن يحصل على سر أو معلومة خاصة بالعلاقات الخارجية.. لذا أمر فرانسوا بالابتعاد عن المجموعة لحين صدور أوامر أخرى وعهد إلى كلوزن أن يتصل بمحطة الاستقبال في تل أبيب في نفس الليلة موصيًا إليه بالاسم الشفري حتى لا يلفت انتباه أحد.

ثم أسرع وجدي بجمع بعض الحقائق الحيوية وأرسل رسالة لاسلكية بالشفرة يؤكد فيها أن السياسة الخارجية المصرية لا تتجه في الوقت الحاضر لخوض حرب مع إسرائيل.. وفي الواقع كان البرنامج يشير إلى مقاصد العرب لخوض حرب مع إسرائيل في وقت غير محدد ويوضح ضرورة الاهتمام بتسليح الجيوش العربية وتدريبها وإعادة بنائها وتنمية الصناعات المساندة للمجهود الحربي وإمداد الجيش المقاتل بما يحتاجه من مؤن وعتاد في حالة إعلان الحرب.. وازدياد مؤشرات الحرب يعود إلى ازدياد الضغط الشعبي في الدول العربية خاصة مصر نظرًا لجمود الموقف وانعكاسه على المشاكل الداخلية والدوائر السياسية الخارجية المرتبطة بمصالح العرب في الخارج.

ولابد أن الجو تكهرب في تل أبيب تبعًا لذلك.. وبلغت الدهشة ذروتها.. فبعد ظهر اليوم التالي وصلت إلى كلوزن إشارة من تل أبيب وتلتها تعليمات بأن تحاول المجموعة الحصول على تأكيدات تثبت أن الوثيقة على أساس سليم وصحيح، وأن تنتظر حاملاً خاصًا للرسائل يتصل بها.. وتم التعارف بالإشارات المتعارف عليها، واختتمت الرسالة بأوامر تنص على أن هذه التعليمات لها حق الأسبقية.. وكانت هذه الرسالة إحدى الرسالات القليلة التي جاءت إلى وجدي

بإمضاء "المدير" بما يعنى ـنها صدرت من أعلى سلطة وليس من أهارون، فقد أعتقد وجدي أن "السلطة العليا" ليست إلا رئيس الوزراء نفسه.

وأخذ وجدي يسعى للحصول على أدلة مؤكدة، وحالفه الحظ في مسعاه.. فانتحل عذرًا أنه يرغب في الحديث حول العلاقات بين مصر والاتحاد السوفيتي وبذلك حصل على مقابلة خاصة مع السفير المصري.

وفي أثناء الحديث أدار وجدي دفة الحديث إلى مصير الضباط والخبراء السوفييت الذين يعملون كمستشارين لكثير من الجيوش العربية خاصة مصر.. وذلك في حالة تنفيذ العرب للتهديد القائم بمهاجمة إسرائيل، فصرح السفير المصري بأن الجيوش العربية في احتياج لخبرة هؤلاء الخبراء مدة محددة ولأغراض محددة، ووجودهم في العواصم العربية مؤقت، وقد يتقرر الاستغناء عنهم في أي وقت لاحق.. وكان هذا دليلاً كافيًا على أن العرب والمصريين لن يتراجعوا عن خوض الحرب ضد إسرائيل، لكن مازال توقيت الحرب غير محدد وأي تكهنات بقربه هو مسألة لم تحسم بعد.

وفي الوقت نفسه تقريبًا علم مينو من ضابط سوفيتي شاب.. أنه يعد نماذج قياسية لمساحات كبيرة في منطقة قناة السويس لاختيار مواقع حصينة لقواعد الصواريخ السوفيتية، مما حثّ وجدي على أن يبعث برسالة أخرى إلى تل أبيب يوضح توقعاته بناء على دليل لا يقبل الشك حيث إن فرنسا ترغب كثيرًا في تجنب الحرب بين الطرفين.. العرب وإسرائيل.

وبعد يومين كان وجدي عائدًا من السفارة المصرية حيث تقدم إليه شخص على أنه أحد حملة الرسائل.

فصافح وجدي رجلاً عملاقًا خفيف الشعر أزرق العينين.. كان عمله أنه احد حملة الرسائل الدبلوماسية الرسمية، وصحبه إلى مكان هادئ كان يلجأ إليه عندما

يريد أن يكتب برقيات عاجلة إلى الصحف التي يتعامل معها.. وهناك تبادلا إشارات التعارف وهي أسماء من وحي الخيال.. ثم تسلم الرسول مظروفًا ضخمًا في حجم الفولسكاب.. وكان يضم بداخله صورًا لمسودات برنامج وزير خارجية فرنسا.. وتقريرًا شاملاً مدعم بالمستندات بشأن مقابلة وجدي للسفير المصري وحديث مينو مع الضابط الروسي الشاب.

وقد أعرب وجدي عن دهشته كيف تستخدم تل أبيب رسولاً دبلوماسيًا رسميًا بطريقة سرية.. ومضى أكثر من شهر قبل أن يستلم وجدي رسالة لاسلكية مختصرة من محطة الاستقبال عليها توقيع "ها" وهو الاسم المستعار لأهارون.. تقول الرسالة: (معلوماتكم صحيحة ومقبولة).

وهنا فقط أخبر وجدي فرقته بأنهم لابد أن يعملوا المستحيل لإزالة شكوك الموساد حول قدراتهم على أداء مهامهم.. وأوضح وجدي أن السياسة الخارجية العربية بدأت أول تغيير شامل لها منذ حرب 1967م.

كما كانت لها تأثيرات على البرنامج التدريبي والتسليحي للجيوش العربية وكان التدريب العسكري حتى ذلك العهد مقصورًا على أنواع الدفاع الاستراتيجي ضد إسرائيل بما في ذلك إجراء مناورات عسكرية تكتيكية حسب الظروف وكانت جميع الأسلحة أو في أغلبها تسليحًا سوفيتيًا.

وقد تلقى وجدي درسًا مفيدًا؛ إذ لم يكن يأمل في الحصول على دليل مدعم بالمستندات من مثل هذا المصدر الذي لا يتطرق إليه الشك.. وإن كان يقدر للحظ حسابه لكنه أدرك الآن كيف يكون من السهل نسبيًا للخبراء المعترف بمقدرتهم والذين لا يشتبه في أمرهم في مختلف ميادين الحياة الوطنية أن يحصلوا على المعلومات من مصادرها العليا.

وكان عليه أن يعتمد على فرانسوا اللامع الذي كان يطيع توجيهات وجدي

حرفيًا فيما يتعلق بالعمليات: (العميل الناجح هو الذي يكون نفسه مصدرًا للمعلومات).. فقد كانت مقالات فرانسوا وكتبه حول إنجلترا مصدرًا للمعلومات بالنسبة لمن يصنعون السياسة في فرنسا.. فكانوا يعترفون به كخبير له خبرة شخصية بالبلاد التي يكتب عنها، وكلما استشاروه قدم لهم النصائح.. وفي مقابل ذلك كان موضع ثقة وأمانة في نفوسهم لدرجة أن كان بمقدرته الحصول على مستندات سرية.

وهكذا كان وجدي يقرر المبادئ ثم يضعها فرانسوا موضع التنفيذ.. وكان لانتصار وجدي سلسلة من النتائج فلم تكن وثيقته السرية مقصورة على الدول العربية فقط بل إنها قدمت عدة اقتراحات عن تغييرات في الاتصال بالديمقراطيات الغربية.. وهذه زودت كلاً من وجدي وفوكوليتش بالمعلومات التي تلزمهما ليكونا موضع ثقة في اتصالاتهما الدبلوماسية.. واستطاع فوكوليتش أن يخاطر بتخمينات لأصدقائه من البريطانيين والأمريكيين عن قرب اتخاذ فرنسا موقفًا خشنًا تجاههم.

وكان هؤلاء الرسميون يخبرون سفراءهم أن فوكوليتش هو أحد معارفهم الموثوق بهم تمامًا.. وكان فوكوليتش كلما أفضى إلى أصدقائه يظنونه يعمل لزيادة المعلومات التي يحصل عليها في مقابل ذلك عن غير قصد بطبيعة الحال.

واستخدم وجدي نفس التكنيك في السفارة المصرية مع الملحق العسكري السليم النية والذي كان يراه صادقًا في أغلب الأحيان، حتى إن الملحق العسكري لم يعتبره صديقًا فحسب بل كان يحترمه بوصفه صحفيًا نادرًا.. لديه مصادر قيمة للمعلومات.. وكانا يناقشان المشاكل الدولية طوال الليل ومن بعض الملاحظات عرضين للملحق العسكري حصل وجدي على معلومات مذهلة حول مفاوضات دبلوماسية بين مصر وفرنسا.

# الفصل السابع

ساد القلق باريس فترة من الوقت، وأخذ ملايين من الناس يتقلبون في فراشهم عندما بدت تباشير الفجر وأخذت خيوطه الأولى تسرع في أفق السماء.. وبينما كانت هذه الخيوط تتواري لتفسح المكان لأشعة الشمس الباهتة.. استيقظت المدينة الناعسة فزعة على أثر مطاردة الشرطة للطلبة العرب الذين يتظاهرون في محاولة للتأثير على الرأي العربي مطالبين بإعلان الحرب ضد إسرائيل.

ولم يكن في باريس كلها سوى خمسة رجال يصغون في انشراح إلى أصوات الطلقات المسيلة للدموع لتفريق المتظاهرين من العرب وصيحات المقبوض عليهم وقد ملأت المكان.. وكان هؤلاء الخمسة هم وجدي ورفاقه.. لقد أرسلوا منذ فترة قريبة رسالة مختصرة بتوقع قيام مظاهرات بيد الطلبة العرب في باريس تتعلق بتجميد الموقف بين العرب وإسرائيل ولكن الشرطة لن تترك المسألة تمر بسهولة.. وتلا هذا التقرير ملخص دقيق يبعث على الدهشة حول الأحداث التي أدت إلى هذه المظاهرات.. وتقدير صحيح لما ترتب على ذلك من أثر على السياسة الخارجية لفرنسا مع دول العالم وخاصة أطراف النزاع.

ومن أهم البارزين في هذه المجموعة الموثوق بتفكيرها كان ذلك الخبير المعروف في شئون السياسة الأوربية.. فرانسوا.. الذي كان يضغط باستمرار على صانعي القرار في فرنسا لكي يعرقل أية اقتراحات بمغامرات عسكرية يمكنها أن تؤثر على الوضع في الشرق الأوسط.. ويعلق ذلك على تأثير الحروب على المصالح الأوربية عمومًا في الشرق.

وقد أرسل فرانسوا إلى وجدي تقريرًا ينبئه فيه بالقلق الذي أدى إلى هذه

المظاهرات والذي ينتشر بين الجيوش العربية التي تخشى الغضبة الجماهيرية فضلاً عن تجميد الموقف والضيق بحياة الخنادق.

ولم يكن هذا نبأ هامًا بالنسبة لوجدي، فقد أخذ يتجه نحو تأييد العناصر المتمردة في الجيش طبقًا للأمر الواقع، وتوقع أن الجيش إذا تمكن من الإطاحة بالحكومة خاصة في مصر.. فإن إسرائيل تعتقد أنه يمكنها عقد اتفاق مع الحكومة الجديدة والتفاوض معها.

وبعد أسبوع اجتمع وجدي بفرانسوا وقدرا أن فرص نجاح الجيش ليست بذات أهمية.. وكان فرانسوا يعتقد أن عناصر التمرد ليست سوى وحدات معينة وبقية القوات تبقى موالية للنظام.. كما كان على يقين من أن أية ثورة علنية تقوم للإعراب عن السخط على سياسة الحكومة.. وفي هذه الحالة سوف ترغم الحكومة على العودة إلى برنامج الحرب والاتجاه إلى مهاجمة إسرائيل لاسترداد الأرض المحتلة.

ولعل الموهبة الملحوظة التي تميز بها وجدي لفحص جذور المشاكل الدولية جعلته يعترف بحكمة فرانسوا في تقدير الأمور، فشرعا في إعداد أول سلسلة من التقارير وإرسالها إلى تل أبيب.. وفي أثناء هذا النشاط جاء تقرير من مينو يقول إن مظاهرات قامت بين الطلبة الجامعيين في جامعات مصر تطالب بفض جمود الموقف العسكري وكسر حالة اللا سلم واللا حرب.. وكان ذلك مفاجأة للسفارات البريطانية والفرنسية والأمريكية.. وقد استمرت المظاهرات أيامًا تعطلت فيها الدراسة وتدخلت الشرطة لإعادة النظام.. وحاول الدبلوماسيون الغربيون استجلاء الموقف الغامض: هل حقًا سيعلن العرب الحرب على إسرائيل.. إذ إن ما حدث في القاهرة لا يمكن تصديقه خاصة إذا لقي استجابة من النظام.

ولم يكن هناك من سبب يدعو لأن تكون إسرائيل هي الدولة الوحيدة التي تشعر بالقلق إزاء هذا الأمر والنتائج التي تترتب عليه.

ورأى وجدي أنه وفوكوليتش يستطيعان أن يدعما شهرتهما بتزويد صلاتهما الدبلوماسية بالسفارات العربية والأجنبية.. كما عملا على توطيد علاقتهما بالملحق العسكري المصري بأن أعطاه تقريرًا يكاد يكون حرفيًا عن التقرير الذي أرسل به إلى تل أبيب ثم اقترح بدهائه أن يعلم السفير المصري بمصدر المعلومات التي حصل عليها الملحق العسكري.

وفي أثناء إرسال تقارير وجدي إلى تل أبيب حول هذا الأمر قرر كلوزن أن يتخلص من جهاز اللاسلكي المستهلك ويقيم جهازًا جديدًا للإرسال والاستقبال.. ودون أن يخبر وجدي انتهى من إقامة جهازه الجديد في مدى شهرين.. ثم بحث عن فوكوليتش ليساعده في التخلص من الجهاز القديم.. واعتزم أن يأخذه إلى بعض البحيرات حيث يلقيه في قاعها.

وفي صباح يوم حار من أيام يوليو خرج كلوزن وفوكوليتش من باريس للقيام بنزهة طويلة على الأقدام في ربوع الريف الفرنسي ومن فوق ظهريهما تتدلى حقيبتان بارزتان، وبعد مسيرة ثلاث ساعات وعندما اقتربا من بحيرة من البحيرات المنتشرة في ربوع الريف اكتشفا أن رجال الشرطة السرية التي تراقب حركة الأجانب في أثرهما، وخوفًا من تفتيشهما.. إذ من مهام رجال الشرطة هؤلاء تفتيش الأجانب إذا وجدوهم في أماكن يشتبه فيها.. أخذا يوسعان الخطا لعلها يبتعدان عن مراقبتهم.. ولم يجد ذلك نفعًا.. إذ كلما أسرعا في السير اقترب منهما رجال الشرطة، وبدأ كل منهما يشعر بعبء هذه التجربة التي لم يتعودا عليها.. حين لحق بهما أحد أفراد الشرطة الذي أشار إلى الحقائب قائلاً: معكما أحمال ثقيلة.. فإلى أين تذهبان؟.

فأشار كلوزن إلى جهة البحيرة وقال: (كنا نتريض هنا وفكرنا أن نستريح قليلاً قبل عودتنا إلى باريس).

فسأل الضابط: ولماذا تحملان أشياء كثيرة كهذه؟.

ـ هذا غذاؤنا.. فنحن لم نتناول طعام الإفطار وكل منا يؤمن بتناول الطعام الكافي.

وقد أثارت طريقة المزاح الودي التي انتهجها كلوزن شعور الضابط فقال: ماذا تحملان في هذه الحقائب؟.

وهنا تدخل فوكوليتش ملوحًا بيديه وعلى وجهه ابتسامة منحرفة وقال: حسنًا إذا كنت تريد معرفة ذلك حقًا.. فإن معظم غذائنا يحتوي على السوائل، وهذه الحقائب مشحونة بزجاجات البيرة.

وبدأ في إنزال حمله قائلاً: هيا بنا كلنا نشعر بحرارة الجو، ويمكنكما أن تشاركانا في تناول شيء منها.

وهنا بدت في أعين رجال الشرطة علامات الخوف.. وشرعوا في الانصراف وأحدهم يقول: لا.. لا.. تستطيعان أن تواصلا رحلتكما.. ثم أسرع المخبران يهبطان التل بعد أن تركا كلوزن في شبه ذهول، وفوكوليتش وقد بدت عليه مظاهر الارتياح.. لأن هذا الجاسوس يعلم ـ بقريحته الوقادة ـ أنها جريمة كبرى أن يُرى أحد رجال الشرطة السرية وهو يتناول المشروبات مع رجل أجنبي. وتجنبًا للخطر من الاقتراب من الرجلين وهما يفتحان زجاجات البيرة.. قرر رجال الشرطة أن يكونوا بمنأى عن المنطقة المجاورة لهما.

وبعد قليل استأجر كلوزن وفوكوليتش قاربًا وأخذا يجدفان حتى وصلا إلى منتصف البحيرة حيث اختارا مكانًا أفرغا فيه ما لديهما على جانب القارب.. فغاص إلى القاع جهاز اللاسلكي الذي خدم المجموعة ما يقرب من ثلاث

سنوات. وفي رفق تجنب فوكوليتش أن يلتقي بوجدي.. ولكن كلوزن الذي لا يعبأ بالخطر كثيرًا سعى إلى وجدي وروى له وصفًا مزعجًا لما حدث جعله ينفجر غضبًا ويعنف كلوزن السيئ الحظ لإقدامه على التخلص من شيء هام كجهاز اللاسلكي دون استشارة رئيسه.. فأي سبب في الوجود دعاه لأن يسير مسافة بعيدة وهو يعلم أنه معرض للإيقاف في أية لحظة؟ وظل كلوزن أيامًا يشعر بالخضوع والندم والانكسار وتبدو على أكتافه الضخمة علامات الغم والحزن.. وعاش خائفًا يترقب وجدي.. ولكنه تمسك في عناد بالاعتقاد بأنه له الحق فى أن يقرر ما يشاء فيما يتعلق بشئون اللاسلكي.. ومع ذلك لم يجرؤ على الإعراب عن وجهة نظره هذه.

وفي الأسبوع التالي هبطت بي الطائرة في باريس وتقدمت للسفير المصري لتسلم وظيفتي كسكرتير ثالث في السفارة المصرية بباريس.

كان يومًا عظيمًا بالنسبة لي عندما وقع عليّ الاختيار لهذا المنصب الذي يبشر بمستقبل مشرق لدبلوماسي في مقتبل العمر.. وكان والدي دكتور سمير يتقلد من قبل أحد المناصب الهامة في السلك المدني.. إذ كان الرئيس الدائم لسكرتارية رئاسة الجمهورية بوزارة الخارجية، وبذلك كان المضيف الرسمي للقاهرة في الحفلات الرسمية.. وتولى عمله هذا تحت مباشرة أكثر من رئيس.

وقد اضطربتُ عند أول مقابلة لي مع وجدي.. إذ كان كل شخص قابلته منذ وصولي باريس مناسبًا لما يشغله من وظيفة رسمية أو اجتماعية ما عدا هذا العملاق الأسود العينين الذي لا تلين نظرته الصارمة أو تعلو وجهه المقطب ابتسامة الترحيب.. وخلال السنوات القليلة القادمة كنت أعده مغامرًا فاجرًا يتميز بحدة الذهن.. مختالاً فخورًا بنفسه إلى حد بعيد.. وكان ببرود نظراته وصراحة وجهه يسحر النساء.. وكثيرًا ما قام بمغامرات في هذا الميدان.. وسرعان

ما وجدت فيه الجالية المصرية رجلاً غامضًا يعيش في مجتمع عرف في أنحاء العالم بالنظام والدقة فيما يتعلق بالحياة الاجتماعية. ومع ذلك فقد كان مقبولاً لدى كل فرد وفي أي مكان.. ولم أستطع أن أكتشف ذلك لأنه كان صحفيًا لامعًا أو بسبب شهرته بأن له أصدقاء يشغلون مناصب رفيعة.. وكان له عذره بوصفه صحفيًا يحترمه كل من السفير المصري وكبير الملحقين فإنه يجب أن يحتمله السكرتير الثالث.. وأبقيت على هذه الملاحظة في ذاكرتي حتى حان الوقت لكي أتطلع إلى تلك اللحظات حين أدهشني أن أرى وجدي مدعوًّا في إحدى الحفلات الرسمية وهو يرتدي حلة عجيبة كلها كرمشة وتجاعيد تصلح لمشرب على قارعة الطريق ولا تليق بالسفارة، وكان من الصعب أن يقاوم الإنسان طريقة تذوقه للحياة وعزوفه عن العظمة والاحترام.

وفي فترة الانتقال هذه اجتمعت بضيفين آخرين ممن يترددون بانتظام على الشئون الرسمية في باريس.. أحدهما رجل ألماني ضخم قدم إلىّ باسم كلوزن وهو رجل معروف من رجال الأعمال.. والآخر يوغسلافي يدعى فوكوليتش.. يقال إنه مراسل أجنبي محترم.. وسرعان ما أصبحت أكره كل منهما لأسباب تختلف اختلافًا تامًا.. إذ اعتبرت كلوزن رجلاً ساذجًا من بين الطبقة التي ينتمي إليها.. وفوكوليتش كان من المعسكر الإنجليزي الفرنسي الأمريكي.. فلم يحاول إخفاء كراهيته للمصريين واحتقاره الظاهر لمعظم أفراد الجالية المصرية كذلك.. مما جعله مكروهًا ومحتقرًا في نظر غالبية المصريين.. وتلك حقيقة جعلته محبوبًا في الدوائر الأجنبية الأخرى.

وفي نفس الوقت كان كلوزن لديه من الأسباب ما جعله ينسى مشاحنته مع وجدي حول شئون اللاسلكي.. إذ جاءه رسول ينبئه بأن زوجته "آنا" قد وصلت لندن وهي في انتظاره لكي يأتي بها.. فأثاره هذا النبأ وطلب من وجدي إذنًا لإحضارها إلى باريس في الحال.. وانتهز هذه الفرصة واتصل بتل أبيب لتحديد

موعد في لندن مع أحد حاملي الرسائل.. ولما جاءه الرد سلم كلوزن ربطة كبيرة من الأفلام قد لفت لفًا محكمًا وأصدر له التعليمات للقيام بالرحلة.

وبعد أن وضع كلوزن الأفلام في جيب بنطلونه بدأ رحلته إلى لندن حتى إذا استقر في القطار المسافر إلى مرسيليا وجد أحد رجال الشرطة السرية في ملابس عادية يتخذ مقعدًا بجواره.. وظل الاثنان صامتين برهة من الوقت بينما حبات العرق بدأت تظهر على وجه كلوزن.. وشعر بأن ربطة الأفلام قد ثقلت في جيبه.. وكأنها حزمة من الرصاص أو الديناميت.. فحاول أن يتطلع إلى النافذة ولكنه لم ير سوى انعكاس لوجه رجل الشرطة.. ثم بدأ الاستجواب حيث اجتهد كلوزن أن يجعل نبرات صوته هادئة تدل على الارتياح وأعرب لرجل الشرطة عن شخصيته وسلمه بطاقة عمله وعليها مطبوع اسم "شركة كلوزن" وبعد ذلك توالت الأسئلة:

- ما هي المدة التي قضاها في باريس؟ وأين هو ذاهب؟ ولماذا؟ ومن يزكي شخصيته في باريس؟ وما هي مهنته؟ وما الذي جاء إلى باريس من أجله في أول الأمر؟

وفي أثناء محاكمته بعد ذلك بعدة سنوات قال كلوزن فيما يتعلق بهذا المأزق: بعد عشر دقائق كنت مقتنعًا بأن له الحق في الاشتباه في أمري.. وبعد خمس عشرة دقيقة استسلمت للاعتقال صابرًا.. وبعد مضي عشرين دقيقة ولم ينبس بكلمة الاعتقال بدأت أتململ في مقعدي يائسًا تداعبني بارقة من أمل جديد.. وكنت طول الوقت أحاول وضع قناع على مخاوفي بنوع من ابتسامة مغتصبة تبدو على وجهي.. ومضى نصف ساعة فاعتقدت أنه يلهو بي برهة من الزمن.. وأنه لم يستقل القطار إلا ولديه أوامر باعتقالي.. ولكنه كما ظهر فجأة.. تمتم ببضع كلمات غامضة واختفى على الفور.. وحتى لم يهتم بفحص أمتعتي.. الأمر الذي يحدث عادة في مثل هذه الرحلات.

ومكث كلوزن على سطح السفينة المتجهة إلى أحد الموانئ الإنجليزية.. واختار لنفسه مكانا بقرب حاجزها.. إذ كان يتوقع مراقبًا آخر يتعرف عليه.. ووضع يده في جيبه وشدد قبضته على الأفلام استعدادًا لإلقائها في الماء في أي لحظة.. ولكن أحدًا لم يقترب منه.. ثم أخذ شعوره يضطرب بالهواجس حتى وصل إلى الميناء حيث اندفعت زوجته على الرصيف لمقابلته فأنكرها تقريبًا عندما استقلا سيارة أجرة إلى فندقها حيث آوى إلى فراشه ونام لمدة ست ساعات بينما جلست زوجته بجانبه وهى تعجب من أمره.

وبعد مضي ثلاثة أيام.. وبعد أن شفى كلوزن من حالته العصبية الشديدة اصطحب زوجته معه إلى باريس.. وهناك استقرت (آنا) بوصفها السيدة في منزل كلوزن في ضواحي باريس ولو أنها كانت لا تزال تمقت الصهيونية. وتحقد على نفسها لأنها عشقت رجلاً كل جوارحها توحي إليها باحتقاره.. وكان ذلك بالنسبة إليها بدء انهيار أدبي.

وعند اجتماع كلوزن بوجدي حدثه عن العذاب الذي لقيه في القطار.. فأمره وجدي بإيقاف الإرسال اللاسلكي لأجل غير مسمى وأن يتابع أعماله القانونية بقوة ونشاط جديدين .. واغتبط بذلك كلوزن وفعل ما أمره به وجدي. وكان لإصدار هذه التعليمات سبب آخر.. فقد حدث في أثناء غياب عامل الراديو أن وجدي كان لديه خادمان فرنسيان.. أحدهما طاهية والآخر خادم المنزل.. ولاحظ أن تصرفاتهما غريبة نوعًا ما.. فأخذ يراقبهما عن كثب لبضعة أيام. وفي كثير من الأحيان كان يجدهما في المطبخ في جدال عنيف حول السيد شارل.

وذات مساء دعاهما إلى إحدى الغرف وسألهما عن السبب في هذا التصرف.. فلم يفعل كل منهما شيئًا في أول الأمر سوى أنه يتمتم بأعذار غير مفهومة.. وحينئذ تظاهر وجدي بالغضب وأمرهما بحزم أمتعتهما إذا لم يقولا الصدق.. ثم ألقى ببعض النقود على المنضدة وقال إنه لا يود أن يراهما في الصباح التالي..

وفي الحال انزعج الاثنان إذ شعرا بخسارة عمل هين يتناولان عنه أجورًا مجزية وطلب كل منهما أن يتحدث أولاً.

وبالتدريج بدأ وجدي يجمع فصول القصة.. فقد حدث منذ شهر تقريبًا أن جاء إلى المنزل أحد رجال الشرطة السرية وكان وجدي في الخارج وصحب الخادمين إلى مقر الشرطة حيث سئلا في شيء من التفصيل عن تحركات سيد المنزل وعن حياته الخاصة وعاداته الشخصية وأسماء من يترددون عليه غالبًا.. وعن بيان بمتعلقاته الشخصية.. واستغرق هذا الاستجواب عدة ساعات كان الخادمان خلالها في جزع شديد.. ثم سمح لهما بالانصراف بعد أن تعهدا بالتجسس على وجدي وتقديم تقرير للشرطة عن تحركاته.. ومنذ ذلك الحين وهما يتشاجران حول هذه الاتفاقية.. الطاهية تريد أن تلتزم بها لأنها خائفة، والخادم يفضل الأداء بمعلومات زائفة لأن وجدي كان سيدًا كريمًا. حتى إذا فرغ الخادمان من قصتهما انفجر وجدي ضاحكًا وصرح لهما بأن يفعلا كل ما أمرهما به رجال الشرطة.. وقال إنه سوف يساعدهما في تنفيذ ذلك بإبلاغهما في دقة إلى أين هو ذاهب في كل مرة يغادر فيها المنزل.. ودون أن يفهما كلام السيد الذي لم يستطيعا تصديقه.. ابتسم كل منهما ابتسامة عريضة تدل على الارتياح.. وشرعا في ممارسة عملهما مغتبطين كما سبق.. وكان في كل مرة يخرج فيها يذكر لهما المكان الذي يقصد إليه.. وبمجرد مغادرته المنزل يسرعان إلى التليفون ليذكرا للشرطة هذه المعلومات.

ولما كان ذلك يحدث عدة مرات في اليوم وكانت المعلومات دائمًا صحيحة. تعجب رجال الشرطة كيف يعلم الخادمان كل هذا حول تحركات سيدهما وتقريبًا قبل أن يقوم بها.. وعلى ذلك جاء مخبر آخر لإعادة سؤال الخادمين.. وكانت إيضاحاتهما بكل بساطة.. لأنه ـ بطبيعة الحال ـ كان كل منهما على بينة من المكان الذي يقصد إليه وجدي وماذا كان يصنع.. ألم يخبرهما قبل مغادرته المنزل وحذرهما من الانتظار طويلاً قبل أن يتصلا بالشرطة؟ وبعد ذلك أسرع

المخبر الغاضب إلى مقر قيادته حيث أبلغ رؤساءه بما حدث، ولم يلق الخادمان شيئًا من المضايقة بعد ذلك.

ولكن وجدي لم يلجأ أبدًا إلى الاستهانة بأمر الفرنسيين.. إذ كانت التجربة التي مر بها كلوزن بالإضافة إلى ما حدث له شخصيًا.. بدت في نظره إنها دلالة على زيادة انتباه الشرطة إلى أوجه نشاط الأجانب جميعًا.. وقد تؤدي أيضًا على أبحاث خاصة في حلقة التجسس التي هي موضع اشتباه.. وفي كلتا الحالتين لم يترك وجدي شيئًا للمصادفات.. وواصل استلام التقارير ولكنه لم يرسل شيئًا إلى تل أبيب سواء باللاسلكي أو حملة الرسائل.. وحدث في نفس الوقت أن جازف بالوقوع في حبائل الغرام مرة أخرى.. وبعمله هذا غدر بثقة أحد رجاله من الجواسيس.

obeikandl.com

# الفصل الثامن

كان فوكوليتش يضيق بالعودة إلى منزله لقضاء أمسيات فارغة مع زوجته أديت الحمقاء كثيرة الشكوى لدرجة الملل.. واعتبر أن هذه الأوقات لا تبعث عليه الأنس والسرور وأصبح بالتدريج يشعر بالكراهية والاحتقار للمرأة التي وقع عليها الاختيار لتكون له زوجة وستارًا.. فأخذ يتردد على البارات ولا يغادرها حتى يتأكد أنها قد أوت إلى فراشها.. وذات ليلة في أحد البارات كان يشعر بالملل وهو ينظر في المرآة وإذا به يلمح صورة لفتاة ساحرة أخذ يراقبها في المرآة عندما توقفت وجالت بنظرها في أرجاء الغرفة.. وقرر أنها فتاة شرقية أخذت بالتقاليد الغربية.. فثوبها لا يمكن أن يكون مصممًا إلا في أحد محلات الأزياء الباريسية وكانت على جانب كبير من الجمال.. سوداء الشعر قد سرحته إلى الخلف لينتهي بكعكة أنيقة.. ويتدلى من أذنيها قرطان من الذهب يلفتان النظر إلى وجهها البيضاوي الشكل.. فنسى فوكوليتش زوجته وما هو فيه من الشقاء عندما غادر مقعده على البار وتوجه نحو هذه الحسناء الغربية ليعرض عليها شيئًا من المشروبات.. وكان استقبالها له ينطوي على شيء من البرود ولكنهما تناولا عدة أقداح قبل أن يدعوها إلى العشاء معه وقبلت الدعوة.

كانت "سارة" (24 سنة) ابنة لإحدى الأسر المصرية ذات الثراء التي كانت تعيش في الولايات المتحدة الأمريكية.. وكانت تتحدث الإنجليزية والفرنسية بطلاقة.. وجاءت إلى باريس لزيارتها.

وأخيرًا وقع فوكوليتش في حبها وأغرى "سارة" أن تشاركه في مسكن أعده لها.. ومن مبدأ الأمر كانت هذه رواية مثيرة بين رجل ضاق ذرعًا بزوجة دميمة عليها مسحة من الغباء.. وبين فتاة جذابة على جانب كبير من الجمال والثراء.. ولم يستطع فوكوليتش أن يحتفظ برفيقته في الخفاء مدة طويلة.. ففي بضعة أسابيع

ظهرت بجانبه في كل مكان تثير الحقد في نفوس أصدقائه من الرجال والكراهية في نفوس زوجاتهم وتثير غضب الشرطة السرية الذين لم يكن باستطاعتهم منع فتاة شرقية تتمتع بالجنسية الأمريكية من التصرف كيف تشاء.

وكان فوكوليتش وأصدقاؤه يسرهم أن يلفتوا نظرها إلى هؤلاء الشرطة السريين في ملابسهم العادية، وسرعان ما كانت تمعن في مجونها علنًا حتى يختفي رجال الشرطة وهم في حرج يشعرون بالغيظ والحنق، وأصبحت شقة فوكوليتش ملتقى طبقة الشباب الأوربيين من أهل الأناقة في باريس وهم أولئك الشبان الذين توسموا في سارة أنها فاتنة ساحرة لا منافس لها. وهي تقابل ولاءهم واحترامهم لها بأن تهمس إليهم في شيء من الرشاقة والخبث بمواعيد كاذبة.

وما لبث وجدي أن جاءت إليه أنباء فوكوليتش وفتاته ثم دعى للعشاء معهما ذات ليلة.. حيث قرر في الحال أن هذه الفتاة لا يصح أن تبقى مع فوكوليتش يستأثر بها لنفسه.. فبدأ بعد هذه المقابلة الأولى يهتم بتحركات مساعده في فترة المساء.. ووجد أن فوكوليتش يقضي ساعتين أو ثلاث ساعات كل يوم في السفارة الفرنسية.. وهي فترة تكفي وجدي لبدء حملته لاجتذاب الفتاة.. وبسط سلطانه عليها.

وعلى ذلك قام بزيارتها ودعاها لمرافقته في جولات لمشاهدة معالم المدينة وللنزهة في أرجاء الريف.. وبدت على سارة مظاهر الارتياح.. إذ وجدت في ذلك تسلية تمنع عنها الشعور بالملل أثناء انتظارها لعودة فوكوليتش.. وكان لابد أن يأتي يوم يدعوها وجدي لزيارة منزله.. فلبت الدعوة وتناولا غداء شهيًا.. وكان الخدم قد انصرفوا بعد ظهر ذلك اليوم.. ثم إن سارة كانت دائمًا تشعر بالسرور أو الخوف أو الغضب أثناء وجودها مع وجدي.. إذ كان يستطيع أن يكون ساحرًا جذابًا أو فظًا غليظ القلب في معاملته للنساء.. وأدركت سارة من مبدأ الأمر أنه من الخطر مداعبة مثل هذا الرجل.. وعندما وافقت على الذهاب إلى منزله

كانت تعلم ماذا يريد.. وجلست تصغي جاهدة لعبارات التملق والإغراء.

ولم يخالج وجدي الشعور بمراعاة واجب الصداقة نحو زملائه بالرغم من المخاطرات التي تكبدوها جميعًا لتحقيق مثلهم العليا.

أما سارة فقد وجدت في فوكوليتش الصفات التي تصبو إليها والتي تتوافر في رجل يصلح لأن يكون زوجًا لها.. أما وجدي فقد واصل لقاءه بسارة عشيقته سرًا من وقت لآخر بمدة تربو على الثلاثة أشهر.. بينما فوكوليتش ـ الذي لم يعد يلجأ إلى السهر ليلاً ـ كان يسرع إلى منزله حيث تستقبله الفتاة بمظاهر الدلال والترحيب وقد كانت منذ ساعات تحتضن رئيسه بين ذراعيها.

وبالنسبة لوجدي فقد كانت هذه لعبة خطيرة قد يؤدي اكتشافها إلى انتقام في صورة غدر وخيانة.. يقوم به فوكوليتش نتيجة لشعوره بالحقد والحسد وربما أدى إلى الاغتيال.. وعلى أية حال بدأ وجدي يمل سارة ويضيق بها ذرعًا وأنبأها بذلك.. ولم يكن هناك أي دليل على أن فوكوليتش قد اكتشف أن رفيقته كانت "مؤجرة" لصديقه.

وخلال هذه المغامرة الشخصية التي استحوذت على أفكار الرجلين وجد وجدي أن فرقته قد اجتذبتها الأحداث للقيام بمهمتها الثالثة السرية.. وكانت هذه المهمة هي المعلومات حول العلاقات بين مصر وفرنسا التي جاءت عن طريق مينو الفنان بأن أحد الضباط برتبة جنرال في أركان حرب الطيران الفرنسي أشار في حفل عشاء خاص إلى أنه يتوقع قريبًا أن يكون ضيفًا في بعثة الطيران الفرنسية إلى مصر.. ولم يكن مينو على وفاق مع هذا الضابط فلم يسفر استعلامه منه عن شيء يوضح السبب في إرسال هذه البعثة إلى مصر، وبطبيعة الحال اتصال مينو بصديق له برتبة فريق في أركان حرب الجيش وعلم منه أن القيادة العليا تتوقع إصدار قرارات سياسية على أثر اتصال بين هيئات أركان الحرب الفرنسية والمصرية.. ولم يستطع أن يذكر على وجه التحقيق ما هي تلك

القرارات السياسية.. فقرر وجدي أن يتتبع هذه المعلومات بأن يلجأ إلى الحزم والتروي في الاستفهام من السفارة المصرية.. ولكن قبل أن تواتيه الفرصة أنبأ فوكوليتش بأنه علم عن طريق إحدى صلاته بالسفارة البريطانية بأن الدول الغربية حائرة إزاء الشائعات حول نشاط جنوني يقوم به حملة الرسائل على مستوى السفارات بين القاهرة وباريس.

وبعد ذلك أرسل وجدي إلى فرانسوا يدعوه للاجتماع به في مؤتمر صحفي تعقده وزارة الخارجية.. وهناك أصدر إليه الأمر باكتشاف أية مفاوضات سرية تجري بين رئيس وزراء فرنسا والسفارة المصرية.. ثم تناول الغداء مع الملحق العسكري المصري في أحد المطاعم الشهيرة بباريس وأخذ يتجاذب معه أطراف الحديث حتى أشار من طرف خفي إلى شائعات تتردد عن مفاوضات تدور بين بعض العسكريين الفرنسيين والمصريين بخصوص برامج التدريب العسكري والطيران.

وكانت هذه طلقة في الظلام.. إذ وافق الملحق العسكري على أن هناك كثيرًا من الشائعات.. ولكن موظفي السفارة لا يعرفون عنها شيئًا وإن عرفوا شيئًا فهو غير مؤكد.. وبعد أسبوع تقريبًا اجتمع به وجدي في السفارة وحصل منه على معلومات بالغة الأهمية.. إذ تبين من حديثهما أن مصر عرضت على فرنسا عقد صفقة شراء طيارات فرنسية مع تطبيق برنامج تدريبي مكثف على قيادة هذه الطائرات والاستفادة من الخبرة الفرنسية في مجال التدريب العسكري وتطوير برامج الدفاع والهجوم وتبادل خبرات عسكرية متنوعة.

وأخذ في جمع ما تبقى من تفصيلات حيوية عن طريق أحاديث مماثلة مع موظفين آخرين.. فضلاً عما حصل عليه من معلومات من الملحق العسكري.. وكانت هذه أهم معلومات حصل عليها وجدي لصالح إسرائيل.

وفي تلك الليلة وضع كلوزن جهازه اللاسلكي في غرفة نوم زوجته "آنا" وجلس وجدي إلى جواره ليكتب رسالة بالشفرة إلى تل أبيب.. وفي الدقائق الأولى أرسل كلوزن إشارة استدعاء وجاء الرد بالاستمرار في الإرسال.. فأخذ الورقة التي أعدها وجدي وبدأ يدق الأرقام وعلى قدر ما استطاع وجدي أن يتذكر فيما بعد كانت الرسالة تقول: (يتفاوض المصريون مع الفرنسيين بشأن اتفاقية تسليح.. قف.. أتوقع معلومات أخرى قريبًا.. قف.. الرجا مراقبة الراديو لمدة أربع وعشرين ساعة للإشارات العاجلة.. قف.. يتبع هذا تقرير مفصل مع حملة الرسائل.. قف.. رمزي).

وأخذت الأحداث تجري بسرعة.. إذ اجتمع فرانسوا بالسكرتير الخاص لرئيس الوزراء وعلم منه أن هناك مفاوضات تجري بين الملحق العسكري الفرنسي نيابة عن فرنسا ووزير الخارجية المصري ويساعده طاقم من المخابرات المصرية وطلب منه فرانسوا الإذن بمقابلة رئيس الوزراء الفرنسي.

ورأى فرانسوا أن من الصواب أن يفتتح هذه المقابلة بالحديث حول صحيفته وهي من أقوى الجرائد الموالية للحكومة الفرنسية.. وقال إنها ترغب في الحصول على ما يرشدها حول سلسلة الشائعات فيما يختص بالعلاقات مع مصر.. ومن أجل الحصول على معلومات دقيقة طلب منه رئيس التحرير أن يوافق على أن أية معلومات يحصل عليها لا تستخدم إلا على سبيل الإرشاد فقط.. ولكن رئيس الوزراء وهو السياسي البارع والذي يقدر كثيرًا مواطنه المطلع والمعلق السياسي.. لم تخدعه محاولة فرانسوا لإقناعه لكي يفضي إليه بمعلومات قبل أن يستعد لإصدار تصريح عام للصحف بنشرها.. وأخذ في الحديث حول الموضوع برهة من الزمن وكان فرانسوا يقطع المناقشة بإلقاء بعض الأسئلة الهامة.. وكان رئيس الوزراء رجلاً دمثًا.. فلم يسمح لنفسه أن يهاجم رجلاً يحبه شخصيًا ويحترمه من الوجهة الرسمية ثم ضعف أمام فرانسوا لدرجة أن أفلت منه اعتراف

برفضه الموافقة على طلب المصريين بأن أي اتفاق يجب أن يكون له أولاً صيغة عسكرية وأن يكون موجهًا مباشرة نحو إسرائيل، وذكر فرانسوا بأن القيادة المصرية استخدموا معاداة الصهيونية كإحدى القواعد الأصلية لسياستهم.. ومن ناحية أخرى فإن فرنسا ليس لها رغبة في معاداة تل أبيب أكثر مما يجب.. ولهذا السبب فهو لا يظن أنه من المحتمل أن تشترك فرنسا في اتفاق يتناول إسرائيل بوجه خاص أو يكون على أساس تحالف عسكري.. ثم راح يقول: (بما أن فرنسا تشعر بالقلق حول نشاط الإسرائيليين في الخارج وخاصة اللوبي الإسرائيلي في الخارج فقد تتفق مع مصر على إجراءات خاصة بالتدريب أو الصيانة أو قطع الغيار).. وبالرغم من محاولة فرانسوا حثه على الكلام إلا أنه رفض الالتزام بالنتائج التي يمكن أن تسفر عنها المباحثات.

وفي مدى أربع وعشرين ساعة كان وجدي يقرأ تقريرًا شاملاً عن هذه المقابلة التي رسمت له صورة معقدة ولكنها كاملة وتبين ما طلبه كل جانب.. هذا بالإضافة إلى المعلومات التي تلقاها من كل من مينو وفوكوليتش.. وما كان لديه من معلومات أصبح على استعداد لأن يسلم بها وربما يوافق عليها نهائيًا.. وبعد أن بعث كلوزن بأول رسالة نقل جهازه إلى منزل فرانسوا وأخذ ينتظر التعليمات من وجدي حيث قام رئيس الجواسيس بجمع وتنسيق رسالتين.. إحداهما تتناول موقف فرنسا والأخرى تبين تفصيلات المفاوضين في مصر ثم توجه إلى منزل فرانسوا وسلم الرسالتين لكلوزن وأمره بإرسالهما على أربع دفعات في مدى اثنتي عشرة ساعة.

والمشكلة التي عهد بها إلى وجدي من تل أبيب وهي دراسة العلاقات بين مصر وفرنسا ظهرت الآن في ضوء جديد.. إذ لم يكن هناك شك في أن الغرض الرئيسي الذي ربط الدولتين في ذلك الحين هو إسرائيل، وعندما بلغني في أول الأمر أن هناك مفاوضات تجري في الخفاء بين بعض القادة العرب في القاهرة..

قررت أن من واجبي مراقبة العلاقات بين الدول العربية وقد ظهر خلال المفاوضات شعور قوي معادٍ لإسرائيل.

ثم إن الموساد عندما علم من تقارير وجدي بأن المفاوضات التي تجري في القاهرة تهدف إلى تحالف عسكري بين العرب وانتشر رجال المخابرات المصرية في شبكة محكمة لحماية المفاوضات والمحافظة على سريتها.. ولمّا كان بعض عملاء إسرائيل يحاولون اختراق الحصار وفرضوا مراقبتهم ليلاً ونهارًا.. لجأ المفاوضون لوسيلة لخداع عملاء إسرائيل بتبادل إجراء المناقشات عن طريق تبادل المذكرات فكانت تكتب الأسئلة والأجوبة وترسل من مكتب إلى آخر دون أن يتلاقى المفاوضون أو يجتمعوا مرة واحدة.

وبهذه الحيلة انخدع الإسرائيليون.. فقد اقتفوا أثر الثلاثة أطراف الاتفاقية وراقبوا جميع تحركاتهم.. ولكن الثلاثة فيما يظهر للمراقبين لم يجتمعوا معًا ثم غادروا إلى بلادهم.. وعلى ذلك جاءت المعلومات للموساد بأن المفاوضات إما أن تكون فشلت أو تمت في وقت سابق لما كان متوقعًا حيث لم يعد هناك اتصال بين الرؤساء الثلاثة.. ولكن رئيس جهاز الموساد لم يقتنع بذلك وسأل وحده وجدي إن كانت هناك معلومات أخرى يمكن اكتشافها في باريس.

وفي صباح أحد الأيام جاء وجدي إلى السفارة المصرية لمواصلة إصراره على استخراج المعلومات من الملحق العسكري الذي لا يشتبه في شيء، وفي أثناء وجوده هناك أدخل السعاة رجلاً غريبًا إلى مكتب الملحق العسكري وقدم إلى وجدي باسم "هاشم" فقال الرجل إنه سمع كثيرًا بوجدي.. وكغيره من موظفي الحكومة وجد ما يحرره الصحفي في الجرائد من أهم المصادر المطلقة في القاهرة، ثم أخذ في الحديث برهة حيث أدرك وجدي أن الرجل لابد أن يكون من كبار الموظفين لما أظهره الملحق العسكري من احترام ظاهر له.. وبحاسته الصحفية استشعر أن هذا الرجل قد يكون له علاقة بالمفاوضات التي تمت في القاهرة

والتي كان لا يزال يظن أنها مستمرة وسائرة في طريقها لا يعرقلها شيء، وقبل وجدي مسرورًا الدعوة لتناول الغداء مع الملحق العسكري وهاشم في مطعم فرنسي شهير وهو المطعم المفضل لدى الموظفين المصريين كلما أرادوا الحديث في شأن من الشئون التي تهمهم.

ولم يمض وقت طويل قبل أن يبدأ هاشم حديثه مع الملحق العسكري ـ وكان يعتقد أن وجدي من المصريين الموثوق بهم في أوروبا ـ حول الأحداث الأخيرة في القاهرة وعن المتباحثين الذين يسيرون سيرًا بطيئًا مؤلمًا في مؤتمرهم عن طريق تبادل المذكرات.

وهنا فوجئ وجدي بهذا الاكتشاف وتحولت مفاجأته إلى دهشة شديدة عندما باح هاشم بأنه كان الرسول السري بين الرؤساء الثلاثة.. وفي الواقع كان وجوده في باريس لأنه الوسيط الوحيد الجدير بهذه المهمة.. وكان المؤتمر سيتوقف حتى يعود هذا الرسول إلى القاهرة ومعه المعلومات المطلوبة من وزير خارجية فرنسا.. فلما عاد وجدي إلى منزله أخذ في إعداد رسالة قصيرة لإرسالها باللاسلكي حول ما اكتشفه بعد ظهر ذلك اليوم من معلومات مع وصف هاشم وصفًا كاملاً.. ومما قاله وجدي بنفسه: (أعتقد أنه وضع تحت المراقبة من ذلك الحين أيضًا).

ولم تكن هذه هي نهاية الحادث بالنسبة لوجدي وفرقته.. فقد ظلوا طيلة شهر تقريبًا لا يستخدمون اللاسلكي لأنهم لم يعثروا على المعلومات التي تستحق المجازفة بتبادل الرسائل.. ثم بدأ وجدي يشعر بملل شديد وحث فرقته على بذل قصارى جهدهم لكشف حقائق أخرى.

وكان مينو أول من وضع وجدي ـ وعن طريقه تل أبيب ـ لاقتفاء أثر المفاوضات.. إذ تصادف أن اجتمع بصديقه ضابط الطيران وسأله مازحًا إن كان ضيوفه قد وصلوا.. فتمتم هذا إنه لا يبدو أنه سوف يجتمع بسلاح الطيران المصري مطلقًا.. ونقل وجدي هذه المعلومة ـ التي تبدو بريئة ـ إلى فرانسوا الذي

اتصل في الحال بسكرتير رئيس الوزراء.. وأقره هذا الموظف الوديع في شيء من الخشونة بأنه سمع أن محادثات القاهرة قد فشلت.. وبما أنه علم ذلك من مصدر موثوق به فقد اعتزم نشره في صحيفته إلا إذا نفى ذلك رسميًا أولاً.. ومما يظهر كيف كان فرانسوا محترمًا في الدوائر الحكومية.. أنه تلقى الرد في الحال.

وذلك إنه بعد أن انتهى فرانسوا من حديثه هز السكرتير رأسه وأفشى تفاصيل اتفاقية عقدت بين القاهرة وباريس ولكنها لم تقدم بعد إلى الوزارة الفرنسية.. وهنا جمع فرانسوا فقرة بعد الأخرى مما يعرف باسم اتفاقية الطيران بين القاهرة وباريس بوصفهما الموقعين الرئيسيين.. حتى إذا جاء المساء حضر فرانسوا حفل عشاء خاص أعده كلوزن وزوجته وكان زملاؤه من الضيوف وجدي ومينو.

وخلال هذا المساء أرسل كلوزن باللاسلكي إلى تل أبيب إشارة استدعاء لتلقي معلومات هامة وعاجلة.. وأدلى بنصف الحقائق الحيوية في بضع دقائق قبل أن يتفق على إرسال بقيتها في الساعة الثالثة صباحًا. وطيلة الساعتين التاليتين تحول الاجتماع إلى احتفال شهدته زوجة كلوزن وهي مقطبة الجبين ضيقة الصدر.. وكان الاحتفال لأن وحدة وجدي قد سجلت نجاحًا فريدًا.. إذ وصلت تفصيلات الاتفاقية إلى الموساد بعد ثمان وأربعين ساعة من التوقيع عليها وقبل تقديمها إلى الوزارة الفرنسية والقيادة العليا المصرية بثلاثين ساعة تقريبًا.. ومضى شهر قبل إذاعتها على العالم.

وبعد انتهاء الحفل توجه وجدي إلى منزله وأوى إلى فراشه.. وإذا به يسمع رنين التليفون بجانب الفراش وأجاب بصوت حالم: (هالو). وسمع من يقول له: (هالو.. هل أجنس لديك؟).

فأجاب: (لا يوجد هنا من يدعى أجنس).

ورد المتحدث: (آسف. لابد أن الرقم خطأ).

وعاد وجدي إلى نومه بعد أن سمع صوت إغلاق التليفون.. وكانت هذه المكالمة التليفونية إشارة أعدت من قبل للدلالة على أن الجزء الثاني من الرسالة قد أرسل في أمان.

بعد مضى أسبوعين كان رجل طويل القامة نحيف الجسم قد تناثرت بعض شعيرات بيضاء في رأسه يقف في ظل إحدى أشجار حديقة الهايد بارك بلندن وكان يدخن لفافة من التبغ.. وجاء رجل آخر يستظل من الشمس وهو يجفف العرق حول عنقه بمنديل.. ثم أخذ يتمتم قائلاً: (الجو هنا حار.. هل تسمح لي أن أشاركك الظل برهة من الزمن؟).. ودون أن ينتظر الرد جلس على الحشائش مزمجرًا وأخذ ينقب في جيوبه فأخرج الرجل الطويل علبة من السجائر الإنجليزية وقدمها إلى الرجل الغريب الذي شكره.. وقال إنه يفضل السجائر الفرنسية وهي موجودة معه.. ثم استخرج من جيب بنطلونه لفافة مطبقة بها سجائر فرنسية.

وبدأ الرجلان في مناقشة حمل بريطانيا وتقاليدها وثقافتها، ثم وقف الرجل الغريب بعد نصف ساعة ومد يده إلى رفيقه يودعه قبل أن ينصرف وتصافح الرجلان وتوجه كل منهما إلى حال سبيله متخذًا طريقًا يخالف طريق الآخر.. وكان في جيب الغريب حزمة لم تكن معه قبل مجيئه وهي عبارة عن لفافة صغيرة تحتوي على أفلام دقيقة.. فقد كان الغريب هو مدير إدارة نقل الرسائل في الموساد.. وكان الرجل الطويل هو وجدي جاء إلى لندن متظاهرًا بكتابة مقال لجريدة بريطانية.

ذلك لأن الجنرال أهارون رئيس مخابرات الجيش الإسرائيلي في تل أبيب ظن أن المعلومات التي تحتويها الأفلام من الأهمية بحيث يأخذها رئيس الجواسيس في

باريس بنفسه ويسافر بها إلى لندن حيث يتسلمها منه رسول موثوق به من جهاز الموساد.. وكان على الشريط تقرير شامل عن الاتفاقية قبل إذاعتها على العالم وقد نسق التقرير وجمع أجزاءه كل من فرانسوا ومينو ووجدي.

وكان التقرير يشتمل على تفسير للاتفاقية محكم دقيق.. فقد أرادت فرنسا أن تشترك مع مصر في معاهدة موجهة ضد عدوها التقليدي ـ إسرائيل ـ ولكنها لم تكن ترغب في إثارة غضب إسرائيل الأمر الذي قد يثير حربًا طائشة في الشرق الأوسط.. وبالرغم من ضغط مصر لعقد معاهدة عسكرية لكي تأمن جانب إسرائيل فإن فرنسا لم توافق.. وتم الاتفاق على حل وسط وهو صيغة الاتفاقية التي نصت على مقاومة الأفكار العنصرية الصهيونية وتقديم بعض التسليح والتدريب على الطيران لمصر.

وكان وجدي مغتبطًا وهو يشق طريقه في شوارع لندن المزدحمة وأيقن أن اختيار باريس كمركز إشعاع له ما يبرره وراح يجمع مواد صحفية لكتابة مقالته لتكون مبررًا لزيارته.

obeikandl.com

obeikandl.com

# الفصل التاسع

عاد وجدي إلى باريس فوجد أن نشاط رجالة متوقف ويمارسون أعمالهم العادية لا يسألون عن شيء وهم بمنأى عن أعين الرقباء.. وذات مساء انتحى بفوكوليتش في ركن أحد البارات وسأله غاضبًا عن السبب في عدم وجود تقارير في انتظاره.. وكانت باريس في ذلك الوقت مليئة بالثرثرة واللغو وحب استطلاع الأسرار سواء كانت رسمية أو أصلية.

اتكأ فوكوليتش على حافة المنضدة.. وكان يبدو شاحب الوجه وكأنه يعاني ضغطًا وعبئًا ثقيلاً وأفضى إلى وجدي بأنه قد حدث خطأ بالغ الخطورة.. ففي أثناء غياب وجدي في لندن انطلقت الشائعات تشير إلى نشاط عسكري.. وأخذت الحلقة تقتفي آثارها من منشئها.. فتمكن فوكوليتش من اكتشاف أن سفارتي بريطانيا وأمريكا على يقين من أن مصر قد وضعت خططها للقيام بمغامرة خارجية قد تكون هجومًا شاملاً على حدود إسرائيل.. ومن ناحية أخرى كان الفرنسيون مقتنعين بالبحث في بواطن الأمور في شيء من المشقة.. مع السكرتيرين الخصوصيين وصغار ضباط الجيش.. وقرر كل من فرانسوا ومينو أن نقطة التركيز في سياسة الوزارة هي الشرق الأوسط.. فاجتمع بفرانسوا وفوكوليتش وأعد الثلاثة تقريرًا لتسليمه إلى كلوزن لكتابته بالشفرة وإرساله إلى إسرائيل.. وطبقًا لقوانين الحلقة يجب ترجمة هذه الرسالة إلى اللغة الإنجليزية قبل تسليمها لكلوزن.. وكانت الحلقة تخفي جهاز اللاسلكي في منزل فوكوليتش.. وبعد ظهر أحد الأيام غادر كلوزن النادي الفرنسي في سيارة أجرة وتوجه إلى المنزل حيث كانت أوديت زوجة فوكوليتش في انتظاره.. وأسرع كلوزن إلى الداخل فأرشدته أوديت إلى الغرفة حيث كان الراديو مخبأ.. وكان موعد الاتصال اللاسلكي قد اقترب فأعد جهاز الإرسال بسرعة وأخذ يبحث في

جيوبه عن حافظته فتبين له أنها فقدت.. وتذكر كلوزن أنها كانت معه في النادي.. فلا بد إنها انزلقت من جيبه في السيارة.. فأخذ يرتجف ممتقع اللون وهو يفكر في محتويات الحافظة: بعض النقود ورخصة القيادة وعليها صورته الفوتوغرافية وبطاقات عمله.. وما هو أشد سوءًا من ذلك ترجمة التقرير التي أعدها مينو بالإنجليزية والتي كان عليه أن يعدها بالشفرة ويرسلها من السهل أن تكون هذه الرسالة سبيلاً للتعرف عليه والوصول إليه.

جاء فوكوليتش إلى المنزل ليرى إن كانت الرسالة قد أرسلت دون عائق.. فأخذ كلوزن ـ الذي كان يرتعد خوفًا ـ يتمتم بأن الأحوال الجوية جعلت الإرسال مستحيلاً وأنه سوف يحاول ثانيًا فيما بعد.. وبعد ذلك انهار واعترف بفقد حافظته وتوسل إلى فوكوليتش أن يخبره ماذا يصنع.. فانعقد لسان زميله ولم يستطع الإجابة.. ولكن في بضع دقائق تحول احتقاره لعامل اللاسلكي البليد الذهني إلى سيل من التعنيف لسوء تصرفه.. ثم أخذ كلوزن يتوسل إليه ألا ينبئ وجدي بما جرى.. وأخذ يجادل يائسًا في أن الموضوع كله قد لا يثار على الإطلاق.. وبناء على أمر فوكوليتش عبأ جهاز اللاسلكي وتوجه إلى منزله حيث يقيم معتذرًا بأنه مريض.. وعليه ألا يظهر علنًا حتى يؤذن له بذلك.. واتخذ فوكوليتش إجراءات عاجلة ليجتمع فرانسوا ومينو معه في الحال.

وفي تلك الليلة اجتمع الجواسيس الثلاثة، وقد بلغ بهم الغضب مبلغه واشتدت مخاوفهم.. وقرروا ألا يتركوا شيئًا للصدف.. بل يمارسون أعمالهم كالمعتاد.. لا يذكرون ولا يفعلون شيئًا قد يربطهم بكلوزن إذا ما ألقى القبض عليه.. وعاد وجدي فوجدهم على هذه الحال.

والآن قد أصبح العبء ملقى على كاهله فقد توجه وجدي إلى منزله وأخذ يذرع غرفة النوم جيئة وذهابًا يحاول جاهدًا أن يجد ردًا على تحريات الشرطة التي لا مفر منها على أثر العثور على الحافظة والرسالة المحررة بالإنجليزية. ولم يكن

يعلم ـ كما لم يدر فوكوليتش ـ أن كلوزن قد توجه في صباح اليوم التالي بعد أن فقد حافظته إلى قسم المفقودات في مركز الشرطة حيث أبلغ بكل ثبات عن فقد حافظته وذكر أن محتوياتها بعض النقود ورخصة قيادة السيارة وقصاصة من الورق عليها كتابة بالإنجليزية.. وأوضح أنه على صلة بإحدى الشركات الإنجليزية يريد أن يعقد بعض الصفقات التجارية معها.. ثم توجه إلى منزله وحزم حقائب ملابسه وأخذ ينتظر ـ ومعه آنا ـ حلقة التجسس لكي تساعده على الهرب إذا عثر رجال الشرطة على الحافظة.. وسادت حالة القلق هذه لمدة أسبوع تقريبًا قبل أن يكتشف مينو أن الحافظة لم تسلم إلى الشرطة بعد.. فلقد كان من المحتمل أن سائق التاكسي عثر عليها واحتفظ لنفسه بالنقود وأتلف بقية المحتويات.. وخفف هذا الاحتمال حدة التوتر نوعًا ما.. وبالرغم من مراقبة الجواسيس الثلاثة لنشاط الشرطة المتزايدة فإنهم لم يجدوا سوى الشرطة السرية التي تتجول هنا وهناك ليلاً ونهارًا. وبعد أن قامت المجموعة بتعنيف كلوزن على إهماله.. أستأنفت عملياتها السرية وانغمست ثانية في مهمة اكتشاف السبب في قيام تلك الضجة وركزت نشاطها في الدوائر العسكرية.. فوجد وجدي الجواب على ذلك بنفسه في السفارة المصرية في أثناء حفل عشاء حضره الموظفون وبعض كبار الضباط الفرنسيين وكان هو الوحيد الذي لا يشغل منصبًا رسميًا.. ولم يتوقع أن يعلم شيئًا في مثل هذه المأدبة ولكن جنرال فرنسي ابتسم للحاضرين ليبدو أنه غير ملتزم بما يقول.. واستطرد قائلاً: (سوف تعلمون السبب قريبًا أيها السادة وأؤكد لكم أنكم أول من يأتيه النبأ).. وكانت هذه أول وآخر إشارة إلى لندن ذلك المساء.

أخذ وجدي وفرقته طوال شهرين يراقبون الموظفين في كل الدوائر من السفارة المصرية والفرنسية ويمسكون بالخيوط العديدة التي تنسجها الشائعات.. وصمم وجدي ـ في عزم أكيد ـ على أن يكتشف ما يجري في الخفاء من الشائعات.. وما يكمن وراء الصمت الذي التزمته الدوائر العسكرية. واستولت

على مشاعره مظاهر الرعب حول المصير.. إذا ما استيقظ صباح ذات يوم ووجد جحافل المصريين قد شقت طريقها خلال سيناء.. فأخذ يحث رجاله على العمل المتواصل دون مراعاة للنظام أو خوف من قيود الأمن.. وقدر أنه إذا هوجم الجيش الإسرائيلي بالرغم من التفسيرات التي وصلت إليه أخيرًا عن الأحداث الأخيرة.. فلن تكون هناك حاجة للقلق ومراعاة الأمن، وحينئذ يمكن تقدير العودة إلى تل أبيب ومجابهة الجيش الإسرائيلي الذي يكون قد فاض غيظًا وحنقًا.

وقد قام وجدي بنفسه بإزعاج الملحقين في السفارة المصرية وبمضايقة صديقه الملحق العسكري وبمقابلة السفير أربع مرات.. فوجد أن المصريين أيضًا قلقون ويشعرون بنفس القلق الذي يعانيه حول الوصول إلى جذر الشائعات. ولكنهم أضعف أملاً منهم في تحقيق ذلك.

وفي السفارات الغربية وجد فوكوليتش نفي هذا الجهد والقلق.. ولقيت محاولات مينو عقبات في طريقها للحصول على معلومات من ضباط الجيش.. وبدلا من ذلك انغمس في ارتياد المقاهي والمشارب التي يتردد عليها الكثير من الجنود العاديين بقصد التقاط المعلومات.. ولجأ فرانسوا إلى التريث والترقب وعدم الضغط على دوائر الحكومة بكثرة التردد عليها.. وأخذ ينتظر في يقظة وانتباه.

ثم إن مصير وجدي لم يكن قد تقرر بعد.. إذ إن فرانسوا ـ ذلك المعلق السياسي والخبير في الشئون الإنجليزية ـ عين مستشارًا خاصًا للشئون الوزارية الفرنسية التي تشرف على العلاقات بين إنجلترا وفرنسا.. وتخلت عنه صحيفته لتقلد هذا المنصب.. أما وجدي فقد غمره السرور لأن مساعده أصبح يستطيع أن يكشف (حلقة الاتصال) بين الشائعات وحقيقة الأمر.

وكان فرانسوا عند حسن ظنه لم يتخلى عنه وبمجرد أن تسلم وظيفته الجديدة وجد نفسه في مركز هام بأن أصبح نقطة الارتكاز في الخطط السرية التي كانت الوحدة تحاول اكتشافها منذ شهور.

شعر فرانسوا بعوامل الحزن والغضب فطلب من وجدي أن يجمع أفراد الوحدة لمناقشة هذه الأنباء.. وهو طلب لم يكن وجدي يميل كثيرًا للموافقة عليه.. فقد جازفت الوحدة للحصول على (حلقة الاتصال) بما فيه الكفاية.. واجتماع جميع الأفراد الآن قد يخلق المتاعب.. ولكن فرانسوا أصر على رأيه.. وإذا كان يشعر بحاجة إلى العطف من زملائه.. وهم القبلة الوحيدة التي يولى وجهة نحوها.. وهو شعور لم يخامره أو يعبأ به منذ سنوات.. فوافق وجدي بعد أن فطن إلى هذا الشعور.

وفي تلك الليلة أقام كلوزن حفل كوكتيل دون استعداد في غرفة خاصة في أحد النوادي.. حتى إذا انصرف الضيوف الآخرون دعا الجواسيس الأربعة للاشتراك معه في العشاء في الطابق الأسفل.. وبعد انتهاء العشاء قبلوا.. بطبيعة الحال.. دعوة وجدي لتناول بعض المشروبات في منزله.

وهناك بدت على وجه فرانسوا إمارات الوجوم مما أثر على زملائه في هذا الاجتماع النادر.. فلزم فوكوليتش الصمت وأمسك لسانه.. وكبح مينو جماح ثرثرته واحتفظ كلوزن بمشاعره.. ولكن وجدي قد بدأ يشعر بحماس لا حدود له.. وأخذ يحدق النظر في فرانسوا كما لو كان منظر خائن استيقظ ضميره.. وفجأة قطع حبل الصمت الذي كان بمثابة ترحيب بفرانسوا وما أدلى به من أنباء.. وألقى خطابًا على الدعاية.. فذكر أفراد الوحدة بواجبات مهمتهم ومستقبل الصهيونية اليهودية.. وخرج فرانسوا من نطاق يأسه.. أما الباقون فبعد أن فطنوا إلى ما قصده وجدي بخطابه انغمروا في تبادل أحاديث مثيرة حول مستقبل إسرائيل.. وأخذ فرانسوا يمزح مع رفاقه ويذكرهم بمحاولاتهم التي لا جدوى منها للوصول إلى حلقة الاتصال حتى اكتشفوا أنها في متناول أيديهم.

وبعد أن كاد الليل ينصرم.. ازداد أفراد الحلقة جدلاً واعتزازًا بنجاحهم المزدوج.. بكشف القناع عن السر حول خطط المصريين لاقتحام الدفاعات

الإسرائيلية وفي نفس الوقت تقلد أكثرهم مقدرة وكفاية لمركز داخلي ممتاز في الوزارة الفرنسية.

وكان وجدي قلقًا حول إعداد رسالة لكي يرسلها كلوزن إلى تل أبيب.. ولكنه اعتذر بعقبة فنية في الجهاز تؤجل الإرسال إلى اليوم التالي حيث توجه كلوزن في المساء إلى منزل فرانسوا في الضواحي فوجد وجدي قد سبقه إليه.. وبعد ساعة بدأ كلوزن يدق أرقام الرسالة التي أنذرت تل أبيب قبل ستة أسابيع وقبل أن يصدر الأمر باشتباك مصر مع إسرائيل وكان نصها: "لم يتعين موعد هجوم المصريين على إسرائيل.. على الأكثر بعد بضعة أيام وعلى الأقل ساعات.. قف.. لا يتردد وضع الخطط للهجوم على إسرائيل في الوقت الحاضر.. قف.. رمزي".

التمس فرانسوا بعد مضي أسبوع مقابلة رئيس الوزراء الفرنسي وأعاد عليه كل اعتراضاته على دور فرنسا في تسليح المصريين وتدريبهم.. التي أثارها في اجتماع اللجنة الوزارية.. ولدهشته وجد رئيس الوزراء يميل إلى الموافقة على جداله من حيث المبدأ.. ووعده أنه سينظر فعلاً إن كانت الوزارة توافق على نصيحته.. وكذلك القيادة العليا.. أو على الأقل تأجيل ساعة الصفر لآخر دقيقة في المناقشات حتى يتسنى إصدار قرارات جديدة.

وخرج فرانسوا بعد مقابلته لرئيس الوزارة وهو يشعر بأنه حقق صفقة تكتيكية ناجحة بمفرده.. ولكنه كان يشعر إن هذا العلاج لن يستمر أثره طويلاً.. إذ مرت الأيام ولم يحدث شيء يغير أذهان اللجنة الوزارية فالتمس مقابلة أخرى مع رئيس الوزراء.. وعلم أن عليه أن يتوجه إلى محل إقامة الرئيس الرسمي وهناك استقبله السكرتير الخاص للرئيس ـ ديجول ـ وأنبأه أن الرئيس يأسف لأن أعمالاً خاصة عاجلة منعته أن يفي بوعده له.. وقال له على أي حال.. أمره الرئيس بأن يبلغه هذه الرسالة: "لقد أقررنا رأينا ولكن لا داعي لأن تهتم كثيراً!!".

وفي هذه الفترة كانت هناك رواية صغيرة تمثل فصولها وراء المسرح.. حيث جاءت إلى الوحدة رسالة تهنئة لاسلكية من تل أبيب تشكرها على المعلومات التي تلقتها.. وتطلب تقريرًا شاملاً يرسل إلى لندن حيث يسلم إلى أحد الرسل.. ولما كان هجوم مصر على إسرائيل قد يعلن في أية ساعة.. فقد قرر وجدي أنه في حاجة إلى وجود رجاله جميعًا في باريس لتغطية التطورات الهامة.. وهذا معناه البحث عن شخص آخر لحمل الأفلام الدقيقة إلى لندن.. فاضطربت في نفسه عوامل الغضب والحقد ورأى أنه يستطيع معاقبة كلوزن على فقد حافظته وأمره أن يرغم زوجته "آنا" التي تمقت الصهيونية.. على القيام بالرحلة.. ومن باب الاحتياط أخبر أوديت فوكوليتش بأن ترافقها.

وفي ذات يوم التقى بكلوزن في فناء السفارة المصرية وألقى إليه بتعليماته.. فشعر كلوزن بالضعف عندما فكر في أثر ذلك على زوجته.. ولكنه أدرك أنه لابد من أن يطيع أوامر وجدي.. ولما جاء المساء أخبر "آنا" بما جرى وأن عليها أن تقوم بالرحلة.. ولا يدري أحد ماذا حدث بينهما في تلك الليلة.. ولكن "آنا" رافقت "أوديت" في رحلتها.. ثم ظهر كلوزن في باريس وهو يبدو حزينًا ولكن خاليًا من الأوهام التي كانت تنتابه وتساوره.. وطاب للباقين منظره هذا.. إذ كانوا لا يزالون يشعرون بالألم من جراء إهماله.

وعادت كل من "آنا" و"أوديت" إلى باريس تبلغان عن إتمام مهمتهما.. ثم أخذ أفراد الحلقة يساورهم القلق حول الهجوم المصري المتوقع وطول تأخيره.. وجاءت رسالة تل أبيب تطلب من الجواسيس مراجعة معلوماتهم.. إذ لم تكن هناك أية دلالة على تحركات القوات.. فأخذ وجدي يلعن الشكوك التي بدأت تساور القوم في تل أبيب.. ولكنه لم يرتب أبدًا في تقارير فرانسوا أو في الدلائل التي جمعها الباقون تأييدًا لها.. إذ كان يثق في رجاله ورفاقه ثقة مطلقة.

ولقد ساعد في تأكيد الشكوك حول قيام حرب أن الصحف المصرية أعلنت عن السماح لعدد كبير من ضباط الجيش المصري بأداء فريضة الحج وخرج عدد من الوزراء والدبلوماسيين في رحلات دبلوماسية إلى عواصم عالمية.. وبدأ الجنود على الجبهة المصرية يمارسون حياة اللهو واللعب وكأن الأمر لا يعنيهم.. لكن ما كاد يوم 6 أكتوبر 1973م ينتصف وبلغت الساعة الثانية وخمس دقائق حتى انطلقت أسراب الطائرات تدك مواقع إسرائيل الحربية في أرض سيناء المحتلة.

obeikandl.com

# الفصل العاشر

ومع تصاعد الأحداث بلغت حلقة التجسس وعلى رأسها وجدي درجة من الجدارة والكفاية.. كانت فخورة بماضيها.. مطمئنة إلى مستقبلها.. واثقة بحاضرتها.. وفي هذه الظروف كان من السهل ملاحظة أمارات السخط تبدو على وجوه أفراد الحلقة إذا ما عاد كلوزن إلى تعكير صفو هدوئهم.. ولكن في هذه المرة لم يكن موضعًا للوم أو تعنيف.. إذ كان من عادة الجواسيس طيلة إقامتهم في فرنسا أن يتبادلوا الاتصالات مع تل أبيب باللاسلكي في المناسبات الهامة وإرسال تقارير عن الأحداث السابقة والأحداث المتوقعة واللاحقة مع التنبؤات عن المستقبل ويرفق بهذا بيان بحسابات الفرقة موقعًا عليه من الأعضاء.

وفي هذا الوقت جمع كلوزن أجزاء اللاسلكي في منزل فوكوليتش لينقله إلى منزله حيث يقوم بإعداد رسالة إلى تل أبيب.. ولم يكن يتوقع شيئًا من المتاعب وهو يشق طريقه في سيارته الأجرة وكان مشغول البال دائمًا بمشكلة زوجته التي دأبت على تأنيبه من وقت لآخر.. وفجأة توقف التاكسي حيث قفز إليه أحد رجال الشرطة وجلس بجوار كلوزن.. ورفع الحقيبة الصغيرة التي كانت تحتوي على جهاز اللاسلكي ـ وكانت موضوعة بينهما على المقعد ـ وألقاها في أرض السيارة.. ثم بدأ يوجه له الأسئلة: ما اسمك؟ أين كنت؟ إلى أين أنت ذاهب؟ ما هي مهنتك؟ وما هو عنوانك؟

وفي جهد شديد مذهل غير مألوف في رجل رعديد يهاب أي شيء.. أجاب كلوزن على الأسئلة بكل هدوء.. واتبع ذلك بأن أبرز له بطاقة عمله ورخصة قيادة السيارة.. وهنا زمجر المخبر وهو يعيد الحقيبة إلى مكانها على المقعد.. وغادر التاكسي وهو يشير إلى السائق بلهجة جافة أن يواصل السير.. ووصل كلوزن إلى منزله يرتعد خوفًا وفزعًا حتى إن وجدي ظل عدة ساعات يهدئ من روعه قبل أن يشرع في إعداد رسالة إلى تل أبيب.

وكان هذا من سوء الطالع ولو أن احتكاكه بالشرطة لم يكن من صنع يده.. ولكن بقية أفراد الحلقة اعتبروا كلوزن كالراكب السيئ الحظ الذي كان يتورط في كثير من المآزق.. وبالرغم من ثقة المجموعة في اطمئنانهم على أنفسهم.. لم يكن هناك ما يوحي بحسن الطالع في الأيام المقبلة.

ولقد أصبح فرانسوا ذا قوة وبأس في اليابان حين ذاع الجدال وشاع حول كتابه الأخير عن "إسرائيل تواجه العاصفة" وإنه لا يكاد يدخل في نطاق العقل أن هذا الرجل الضئيل ـ بحكمته وفطنته ـ وبالرغم من نشاطه المحدود، يستطيع أن يكتب للصحف بقلم سيال لا ينضب معينه، وأن يكون مستشارًا للجنة الوزارية في الشئون الخارجية.. وأن يعمل جاسوسًا لتل أبيب يكشف الغطاء عن المعلومات السرية.. ويعيش دائمًا حياة مزدوجة.. ثم يجد متسعًا من الوقت لتأليف الكتب.. ومع ذلك فإن هذا العمل الجديد وما يحتويه من مجادلات ضد الحرب على إسرائيل كان استنكارًا واضحًا للنزعة العسكرية، كما أثار انتقادًا مرًا في كثير من الأوساط العالمية ولقي تأييدًا في غيرها.. وبرز فرانسوا كخبير في شئون إنجلترا بلا منازع، وهي محور ارتكاز لجاسوس يدين بالولاء لرؤسائه داخل تل أبيب.

ولم يسبق أن عمل جواسيس لتل أبيب على قاعدة نظامية أو لأي فترة طويلة في باريس.. فقد نزل أفراد وحدة وجدي باريس ليقيموا صرح نشاطهم من أساسه.. وفي تلك السنوات القليلة تمكنوا من التسلل إلى كل سفارة أجنبية وإلى الوزارة الفرنسية.. ولم تفشل مطلقًا رسائلهم اللاسلكية إلى تل أبيب.. ومع ذلك لم تكن الحلقة في مأمن من المهاجمة. وسارت في أعمالها بمقتضى قواعد خفضت من الخطر.. ولكنها تركت كل فرد منهم يسير على خيط رفيع دائمًا عرضه للاكتشاف.. وكل منهم يأمل ألا ينزلق الآخر فتحدث الكارثة.. فإذا كان كلوزن قد انهار.. وإذا كان وجدي قد أمعن في مجونه.. وإذا كانت هناك وحدة لكشف اللاسلكي تتبع إشاراتهم.. إذن لانكشف الستار الرقيق الذي يكمنون وراءه.

لقد كان لعبور المصريين قناة السويس صدى مدو في الوزارات الأجنبية في جميع أنحاء العالم.. وكان المصريون يتطلعون إلى انتصار سريع لكسر حالة الجمود ثم التقدم ببطء بعد تحسين دفاعاتهم، وقد تم تنفيذ جزء كبير من الخطة غير أن حادثة الثغرة في الدفرسوار أشاعت نوعًا من القلق وأبطأت تقدم القوات من أجل الجيش الثالث المحاصر في الدفرسوار.

أما وجدي فقد أثيرت مشاعره وملأ الفخار جوانحه لاتساع آفاق الآمال أمام فرقته لاختيار فرانسوا سكرتيرًا أول للوزارة الفرنسية وهو منصب يتناول شئون المستشار الإداري الخاص لرئيس الوزراء.. وأعد رسالة بالشفرة وسلمها كلوزن لإرسالها لتل أبيب.. وقليل من الناس ـ مهما ظنوا أنهم من المقربين إليه ـ شاهدوه يبدى محبة خالصة لأحد زملائه من قبل.. حيث كانت منه لفتة عاطفية أن طلب إلى مينو أن يعد لفرانسوا صورة نصفية وكان من الجرأة بحيث ذيلها بإمضائه ثم أخذها معه إلى حفل عشاء أعده مينو.. وبعد انتهاء الطعام ألقى بضع كلمات حول الروابط الوثيقة وبلوغ الغايات.. ثم أهدى الصورة إلى فرانسوا الذي أعرب عن تواضعه وشكره.. وفي نفس الوقت لم يلجأ إلى الخمر عضو آخر من أعضاء الفرقة بل كان يمارس نشاطًا مماثلاً.. فقد اكتسب فوكوليتش شهرة واسعة لإرساله أنباء عن الشرق الأوسط والتحق بوكالات الأنباء الرسمية العربية، وبذلك دعم موقفه مع البعثة الدبلوماسية المحايدة بينما اتخذ لنفسه ستارًا بوصفه في مركز شبه دبلوماسي في السفارة المصرية.

بهذه الحركة التدريجية تسربت الحلقة إلى الأوساط العليا من اجتماعية ورسمية، وازداد تدفق المعلومات مما دعا لتوفير الوقت اللازم لتقدير قيمتها وبما يعنيه ذلك من ازدياد نشاط حملة الرسائل والإرسال اللاسلكي، وكان مينو يدلى بمعظم المعلومات بشأن القوات المسلحة إذ كان على دراية مذهلة بتحركات الفرق ومناورات القوات وتشكيل أسراب الطائرات الجديدة وبرامج التدريب واستدعاء الفرق الاحتياطية.

وكانت اتصالاته تتسلل إليه من أفراد البحارة والوافدين من العائلات المصرية والعربية.. وتوالت الأيام حيث أدلى مينو بالجزء الأكبر من المعلومات بمعدل ثلاثين لفافة من الأفلام الدقيقة شهريًا أرسلت إلى تل أبيب بطريق حملة الرسائل.. وفي الوقت نفسه أرسل كلوزن حوالي ألف كلمة شهريًا باللاسلكي. وقد كانت هذه حركة عسيرة وعبئًا ثقيلاً على حلقة التجسس حتى في تلك الظروف المواتية التي تحققت لهم في باريس.. فاحتاج وجدي إلى زيادة الرسل لمواجهة التدفق الكبير من المعلومات.. وتبين له أن "آنا" و"أوديت" قد أثبتتا جدراتهما في القيام بمثل هذا العمل بنجاح فطلب إليهما القيام بمثل تلك الخدمات لأنهما تنجحان في ذلك دون إثاره اشتباه أحد في كثرة ترددهما على لندن.

قامت كل من المرأتين بوصل لفافات الأفلام بأربطة جواربهن ونجحت هذه الحيلة.. حتى كان ذات يوم حين عادت "آنا" وأصرت على مقابلة وجدي.. فقد علمت في هذه الرحلة أن مكان اتصالها في فندق "جراند هوتيل" وهناك في وقت معين تتصل بإحدى الغرف عن طريق تليفون الاستقبال.. فيرد عليها أحد الأشخاص قائلاً: "هل اشتريت تذكرة لي على الطائرة المسافرة إلى إفريقيا" وعليها أن تجيب "نعم" ثم تصعد إلى الغرفة حيث تسلم الأفلام وتعود في الحال.. وسار كل شيء على ما يرام حتى إذا دقت على باب الغرفة أجابها رجل وفتح لها الباب ثم أشار إليها بالدخول.. وأغلق الباب وسألها عن اللفافة التي تحملها.. وكانت "آنا" تضيق ذرعًا بمهمة حمل الرسائل.. ولكنها خشيت ما قد يحدث لها ولزوجها إذا رفضت.. وثار شعورها بالكراهية للصهيونية عندما تنبهت إلى أنها لكي تصل إلى لفافة الرسائل لا بد أن تخلع جزءًا من ملابسها في غرفة ضيقة محكمة أمام رجل غريب. واتضح أنه لا يشاركها كثيرًا في شعورها بالخجل عندما أوضحت له ما سوف تفعله وطلبت منه أن يدير ظهره إليها..

وكانت ملابسها مناسبة جذابة وتستطيع الانحناء بسهولة ثم تبادلت معه بعض ألفاظ عندما أراد أن يغريها على أن تستمر في استخراج الأفلام ولا تهتم بشأنه.. وأخيرًا أدار لها ظهره بينما انهمكت في فك اللفافة من حزامها.

وبينما كانت تحاول ذلك رمقها الرجل بنظرة من فوق كتفيه واغتبط بما رأى.. فشعرت بالحرج واستشاطت غضبًا وأسرعت باستخراج لفافة الأفلام وألقت بها على الفراش ثم همت بالخروج فورًا.. ونشب بينها وبين الرجل صراع عنيف لعدة دقائق.. ولم يتخل عنها إلا بعد أن وجد أن المظهر الخارجي الخلاب يختفي تحته مجموعة من العظام والعضلات الجميلة.. وشعر الرجل بالفشل والخيبة وأخذ يلتقط أنفاسه بصعوبة ثم ألقى إلى المرأة التي اختل نظام ثيابها بربطة أنيقة أخذتها وأسرعت بالفرار.. وكانت تحتوي على مائة ألف دولار لتضعها في خزانة كلوزن مرسلة إليه من تل أبيب.

وعندما عادت إلى باريس كانت مصممة على إبلاغ وجدي بما حدث لها وترفض القيام بأي رحلة من هذا الموضوع.. وحضر وجدي مشهدًا عاطفيًا عندما استدعاه كلوزن لسماع قصة زوجته.. وتذرع كلوزن بالشجاعة مؤيدًا زوجته وأخبر رئيسه بأن سوف ينفصل عن الفرقة إذا أرغمت زوجته على القيام برحلة أخرى فلم يستطع وجدي أن يوفق بين الشعور بالغضب أو يلتزم الهدوء.. وأخيرًا التمس حلاً وسطًا بأن أكد لآنا إنها لن تقابل ذكورًا من حملة الرسائل في غرفة خاصة بعد ذلك.. فاقتنع كلوزن بينما شعرت آنا بالغضب والخجل..

وبعد أن خرج وجدي تذكر أن هذه هي المرة الثانية التي تمرد فيها كلوزن ضد سلطة الموساد وكذلك زوجته.. وقد يثبت كلوزن ذلك التحدي العنيد.. أضعف ما فيه من النواحي في يوم ما، وأسر وجدي هذا في نفسه ولكن لم ينسه أبدًا.

وكانت آخر مقابلة مع سارة التي كانت لا تزال تقيم في الشقة الفاخرة التي

أعدها لها فوكوليتش.. وكانت هذه الشقة قد أدخلت في نطاق عمليات الوحدة باعتبارها إحدى محطات اللاسلكي التي تنقل من منزل إلى آخر من منازل أفراد الغرفة.. وأما أديت زوجته فقد بقيت في المسكن الذي اتخذه فوكوليتش عند مجيئها إلى باريس أول مرة.. وبطبيعة الحال كانت تشعر بالاستياء من نزواته الغرامية.. ولكنها ظلت تواصل خدماتها للوحدة وتأمل عبثًا في أن زوجها سوف يسأم حياته مع عشيقته.

وفي ذات يوم جاء وجدي لزيارة سارة في مسكنها.. وكان في مهمة بالقرب من منزلها.. بينما كان فوكوليتش مدعوًا في مؤتمر صحفي في السفارة المصرية وتطورت الأمور بين وجدي وسارة إلى نوع من الصداقة ما لبثت أن تغلبت عليها العاطفة القديمة وأخذا يدبران الخطط للاجتماع في الخفاء كسابق عهدهما.

ولكن هذه المرة لم يسعدهما الحظ في إخفاء آثارهما.. فقد جاء فوكوليتش إلى المنزل مرتين بناء على موعد سابق ولم يجد سارة هناك. ولما سألها أقنعته بأسباب غيابها عن المنزل.. ولكن لما تكرر سهرها في الخارج بانتظام.. بدأت تساوره الشكوك في تصرفاتها.. وحاول أن يقتفي أثرها ولكنه فشل.. وأخيرًا اتخذ السبيل إلى حيث يستطيع أن يحتفظ بحبها له.. وهو أن يتزوجها.. وفي قرار حاسم انفصل رسميًا عن زوجته أديت وفي نزوة عابرة من الهوى نقل سارة إلى منزله وأرسل أديت إلى عش الغرام الذي كان سببًا في انهيار زواجهما، وبعد هذا الانقلاب المنزلي قررت سارة أن تقطع علاقتها بوجدي. وتركز اهتمامها مع الرجل الذي ترغب الزواج منه.. وذلك لأنها.. رغم تصرفاتها.. كان حبها منصرفًا إلى فوكوليتش.

لم تكن سارة تعلم السبب في مجيء أصدقاء فوكوليتش إلى منزله.. حيث يبقون إلى ساعات متأخرة من الليل يعبثون بجهاز اللاسلكي.. وكانت تعلم أن كلوزن من هواة اللاسلكي المغرمين به.. ولذلك لم تعترض على تركه أدواته في المنزل

مرة بعد الأخرى.. ومما لا شك فيه أنها لم يطرأ على بالها مطلقًا أن أصدقاء عشقها كانوا في الواقع زملاء في خدمة الموساد.. وفي المحاكمات التي تمت على أثر اكتشاف أمرهم فيما بعد.. اتضح أن سارة بريئة من أي نشاط يتعلق بالجاسوسية.

وفيما يتعلق بحادث الثغرة في الدفرسوار حاول وجدي أن يستفيد بصدى هذا الأمر ولم يكن يكتفي بدرجاته العالية التي حصل عليها من مدرسة الجاسوسية بل حاول أن يستفيد من خبرته الواسعة بتاريخ المنطقة وجغرافيتها.. وكأنه لم يقتنع بأن شبكته انتشرت واتسع نطاقها.. وأدرك أنه قد جاء الوقت ليكون له مندوب شخصي في هذا المكان أو قريبًا منه.. يستطيع أن يدلى بمعلومات دقيقة عن تحركات القوات المصرية وعن متوسط معدل الإمدادات وعن أحدث أنواع الأسلحة والمعدات كما يستطيع رسم صورة لما أحدثته الثغرة من رد فعل بين الأهالي.

وتذكر وجدي أنه أيام أقامته في مصر كان يعرف صحفيًا ماكرًا يعمل عميلاً للموساد ويتحرك في منطقة الإسماعيلية ويدعى شاهر.. وأكدت استعلامات كل من فرانسوا ومينو أن هذا الرجل يعمل مندوبًا لإحدى الصحف التي تصدر من قبرص.

وذات يوم أنبأ وجدي فرقته أنه سوف يتغيب في رحلة لحمل الرسائل قد تستغرق أسبوعًا أو أكثر، ولم يكن يدري سوى فرانسوا ومينو ما يكمن وراء رغبة وجدي المفاجئة في استخدام قبرص مكانا لاجتماع حملة الرسائل.

obeikandl.com

# الفصل الحادي عشر

وصل وجدي إلى فندقه في قبرص ومعه حقيبة ملابسه وحقيبة أخرى صغيرة وخمس عشرة لفافة من الأفلام الدقيقة ملفوفة حول وسطه ودخل غرفته وأغلق بابها ثم خلع ملابسه وفك لفافة الأفلام ووضعها في الحقيبة الصغيرة بعد أن أفرغ محتوياتها من الأوراق المهملة.. وبعد ساعة ظهر في قاعة الاستقبال ومعه الحقيبة الصغيرة وفي فمه "بايب" لم يشعل بعد.. ثم وقف في منتصف ردهة المدخل لكي تكون رؤيته واضحة.. وأخذ يعبث في جيوبه باحثًا عن الثقاب وإذا به يرى رجلاً بيده سيجار لم يشعله.. فأشعل وجدي البايب وأخذ ينفث دخانه وفي ثوان أخرج الرجل الآخر ولاّعة من جيبه وأشعل سيجارة وأوسع الخطر خلال الأبواب المتأرجحة إلى الشارع المزدحم وتبعه وجدي.

واتخذا سبيلهما.. أحدهما خلف الآخر حتى وصلا إلى بستان حيث دخل الرجل الغريب وفي فمه السيجار وجلس على مقعد منعزل.. وجلس وجدي بجواره ووضع الحقيبة بينهما.. واستمرا كذلك مدة عشر دقائق يستمتعان بالتدخين.. ثم ألقى الغريب السيجار.. ودون أن يلتفت إلى وجدي أخذ الحقيبة وانطلق في طريقه.. وتريث وجدي لبضع دقائق قبل أن يلقي نظرة على ساعته ويسير في الاتجاه المضاد وكان الطريق خاليًا من المارة.. وهي ضرورة احتياطية عندما يجتمع حامل الرسائل برئيس الجواسيس وعلى هذه الأفلام كانت خطة وجدي المفصلة لتوسيع نطاق حلقته كي تصل لأقرب نقطة للثغرة.

واتصل وجدي في اليوم التالي بشاهر وتناولا الغداء في غرفته بالفندق.. وانتهى الاجتماع بعد الظهر حين غادرها شاهر وهو الجاسوس الوحيد في الفرقة الذي يتناول أجرًا.. وبعد وقت قليل ظهر هذا الرجل في الإسماعيلية حيث أقرب نقطة للثغرة ليتلقى أية معلومات يزود بها وجدي، وكون عن طريق علاقاته

بأشخاص يعملون بالمنطقة شبكة يرصد منها معلومات مختلفة، وكان قد عين عنصر اتصال بين المدنيين والاتحاد الاشتراكي لحل مشاكل الجماهير الموجودة في الإسماعيلية.. وكان يتاح له الاتصال بعدد من الجنود والضباط الذين يترددون على المنطقة.

ولم يعد أمام فرقة وجدي ما يقلق بال أفرادها حول شئون الثغرة فقد أثبت شاهر أنه جاسوس كفء.. بإرساله سيلاً من المعلومات عن الجيش الثالث المحاصر بفعل الثغرة.. وتحركات الفرق والإمدادات.

وكان من بين مساعدي شاهر شخص يدعى كمال.. وكان يشغل وظيفة هامة في قطاع النقل العام داخل هذه المنطقة.

فقد كان يحتل منصب رئيس إدارة التفتيش ويشرف على النقل بأنواعه وله علاقة بإدارة مخابرات الجيش وكان يمكنه تقديم البيانات عن مقادير الطعام والإمدادات التي تنقلها المركبات والمدافع والقوات.. وكان مركز كمال يتيح له تزويد شاهر بمعلومات كثيرة الذي كان يرسلها بدوره إلى وجدي.. وإن كان كمال لا يعلم أن هذه المعلومات تصل إلى جهة أخرى غير شاهر كصحفي وطني.. وكان هناك مساعدون آخرون من أهالي المنطقة ممن كانوا يسافرون للخارج ويأتون بطريقة أو بأخرى مع فرانسوا ومينو في باريس وتكونت منهم مصادر للمعلومات تابعة لهما.. وكان وجدي قد أذن لكل من فرانسوا ومينو باستخدام هؤلاء الأفراد دون أن يتعرفوا على شخصيته أو شخصية كلوزن أو فوكوليتش أو يعرفوا شيئًا عن طبيعة نشاط المجموعة والصلة بين أفرادها وعمن قام بتأسيسها.

وبينما كانت بعثة وجدي في غير حاجة لمن يساعدها في تحقيق نجاحها في اكتشاف الأسرار الحربية كان الأفراد المساعدون من خارج الحلقة يقدمون مساعدة كبيرة، وكان فرانسوا ومينو يقومان بمراجعة وتصفية المعلومات المقدمة إليهما ثم

يقوم وجدي بتقدير قيمتها عن طريق أحاديثه مع خبراء السفارة المصرية.. وقد اتخذ وجدي لفرقته سياجًا محكمًا من الأمن.. وأخذ يستجوب فرانسوا ومينو عن شخصيات المساعدين في الحلقات التابعة لهما ليتأكد من عدم وجود عملاء، وأمر بعدم إضافة مجندين جدد.

obeikandl.com

obeikandl.com

# الفصل الثاني عشر

كان مينو هو الذي جاء بهذه الأنباء السيئة، ففي ذات مساء بينما كان يجلس وجدي وكلوزن وفوكوليتش سمعوا أحدهم يتحدث مع مينو على مقربة منهم في بار يتردد عليه الأجانب من العرب.. وكان الحديث يتناول ما يتوقع من تحركات في الجيش المصري لضرب الثغرة وفك حصار الجيش الثالث المحاصر.. وأن هناك استعدادات تجري لإنجاز هذا الأمر، ولاذ أفراد الوحدة بالصمت واستشعروا كيف يمكن أن تضيع فرص النجاح السابقة بعد أن أكدوا في مراسلاتهم أن الجو في صالح إسرائيل.

وفي اليوم التالي طلب وجدي من فرانسوا أن يحاول التثبت من المعلومات التي جاء بها مينو.. ومرت الأيام وفشل فرانسوا في العثور على شيء له علاقة ولو بعيدة بتحركات القوات المصرية حول هذا الأمر.. إذ كان نفوذه مقصورًا على الميادين السياسية.. فأخذ وجدي يعالج عوامل الغضب التي استولت على مشاعره.. حتى أنبأ مينو عن محادثة أخرى جرت هذه المرة مع أحد المصادر الموثقة الذي أكد لمينو أن بعض أصدقائه العسكريين قد تسلموا أوامر بالاستعداد لذلك إذا لزم الأمر.

وهذا دعا وجدي إلى الاقتناع بشيء مفاده أن ذلك الحديث يمكن أن يكون إثباتًا لما جاءهم من قبل.. فأعد جهاز اللاسلكي حتى إذا قام كلوزن باستدعاء محطة الاستقبال أملى عليه وجدي رسالة بالشفرة أن المصريين يفكرون في ضرب الثغرة لفك حصار الجيش الثالث وأن هناك تعزيزات من أجل هذا الأمر.. وختمها بتوقيع رمزي.

وفي ليال متوالية في الأسبوع التالي بعث كلوزن بعدة رسائل مختصرة عبر الأثير يبين فيها تفصيلات فرق التعزيز ومصادر المعلومات والجهود التي بذلت

لإثبات صحتها على وجه التحقيق.. وقد وصلت جملة الرسائل إلى حوالي خمسمائة كلمة جرت دقاتها على الأثير واضحة في محادثات بين كلوزن وزملائه من رجال اللاسلكي في تل أبيب في خلال ستة أيام.. وتلك كانت أحد الأخطاء الكبرى النادرة التي ارتكبها وجدي نتيجة لسيطرة المخاوف والأخطار.

وفي نفس الأسبوع تيقظ رجال مكافحة الجواسيس التابعين للسفارة المصرية في باريس وانتبهوا إلى أن هناك اتصالات لاسلكية غير رسمية من أماكن قريبة من باريس وكان هناك جهاز أبحاث لاسلكية أعدته ألمانيا يمكن التقاط الرسائل السرية على مدى بعيد.. وحرصت أجهزة السفارة المصرية على الاستعانة بهذا الجهاز المتقدم، وعلى ذلك كان قائد وحدة الكشف اللاسلكي بالسفارة المصرية في حيرة من أمره وهو يرسل تقريره إلى رئيسه بعد أول إرسال قام به كلوزن حول النشاط العسكري في منطقة الثغرة.

وذهل رئيس مكتب مكافحة الجاسوسية من تلك الرسائل حتى إنه كاد يميل إلى أنها محاولة رخيصة لخداعه والسخرية منه.. كما اعترف بذلك فيما بعد.. ولم تكن هناك جدوى من وصول التقرير إليه في الصباح في ساعة مبكرة ولكن عندما بدأت وحداته في التقاط الرسائل الواحدة تلو الأخرى أصدر تعليماته أن التقارير عن اعتراض الرسائل اللاسلكية يجب أن تقدم إليه شخصيًا ليلاً أو نهارًا.

وفي أول مرة دهش عامل الكشف السري عندما تأكد أن الرسالة الهزيلة التي التقطها غير قانونية حتى إنه فقدها ماعدا بضعة أرقام من الشفرة أطلع عليها رئيسه واستمع إلى تقرير القائد.. ثم أصدر أمرًا بإعداد مراقبة ليلية ونهارية إضافية بصفة دائمة على طول الموجة التي يستخدمها كلوزن وبعد ذلك أوى الرئيس إلى فراشه.. وربما كانت لهذه التعليمات آثارها لولا الاحتياطات التي اتخذها وجدي بإصدار التوجيهات العملية التي بمقتضاها غير كلوزن طول

موجاته كل مائتين وخمسين كلمة.. ومعنى هذا أن وحدات الكشف عن الجاسوسية تمكنت من اعتراض جزء من الرسائل في مدى الأسبوع قبل أن تفلت منها في غمرة تحويل الموجات.. وكان هذا كافيًا لإقناع رئيس مكتب مكافحة الجاسوسية بأنه يتعامل مع رجل جرئ يشتغل باللاسلكي وتدل رسائله المستمرة على أنه لا يقيم وزنًا لاحتمال أي اعتراض لإشاراته.

وكانت الرسائل القصيرة التي يلتقطها رجال مكافحة الجاسوسية من المصريين ترسل إلى الخبراء بأمر رئيسهم فيتقدمون بالشروع فورًا في حل رموز الشفرة.. ولكن سرعان ما حبطت جهود الخبراء بسبب ما اعتاده وجدي من تغيير رموز الشفرة بعد كل إرسال مهما كان قصيرًا.. ومع ذلك فإنه بسبب رد الفعل لدى رجال السفارة المصرية في باريس ورغم ما فيه من غموض والتباس.. فقد أتاح وجدي لأول مرة منذ وصوله إلى باريس لجهاز مكافحة الجاسوسية بالسفارة فرصة العثور على محطة لاسلكية سرية يمكن عن طريقها اقتفاء أثره.. وفي ذلك الوقت كان آخر شيء جال بخاطر رئيس مكتب مكافحة الجاسوسية هو تكوين حلقة منظمة قوية من الجواسيس.. بينما كان وجدي غافلاً عن أن نظام الأمن حوله قد أصيب بشيء طفيف من التصدع لأول مرة.

حدث بعد ذلك أن توجهت أديت دي فوكوليتش إلى لندن لمقابلة رسول من قبل شاهر في إحدى ضواحي لندن.. وعادت تقرر أن هناك جهودًا دبلوماسية تبذل لحل مشكلة الثغرة وأن الحل العسكري استبعد حاليًا وإن كانت الجهود الشعبية في مقاومة تقدم قوات العدو التي نفذت من الثغرة مازالت قائمة.. وهذا يعني أنه لم تكن هناك حاجة مطلقًا لذلك الإرسال اللاسلكي العاصف الذي كان يوحي بشدة خطورة الموقف.

وذات يوم أعلن عن نقل السفير المصري بالسفارة المصرية من باريس إلى منصب جديد بسفارة مصر في لندن وخلفه في منصبه بباريس **"مراد"** أحد

أصدقاء وجدي القدامى، وقوبل نبأ التعيين ببالغ السرور والارتياح بين حلقة التجسس في باريس فقد أصبح أحد أصدقاء وجدي في باريس سفيرًا وبيده أهم الشئون السرية في الدولة وأول من يعلم مقدمًا معلومات عن الجيش المصري واعتبروا هذا من حسن طالعهم.

وسرعان ما أصبح من الواضح أن وجدي.. الصحفي المصري له النفوذ الأكبر في السفارة بعد أن تولى صديقه مراد منصب السفير.. ولم يحدث وجدي ضجة في ممارسة هذا النفوذ.. بل أخذ يتقدم ببطء وبدأ ذلك عندما جاء إلى السفارة في السابعة صباحًا ليتناول طعام الإفطار مع السيد مراد وزوجته لأول مرة.. وكان وجدي محبوبًا لدى مدام مراد بك وعن طريق حبها هذا أصبح مراد يقدره ويعتبره موضع ثقته ومستشارًا له.. كما أصبح اشتراكه معهما في طعام الإفطار عادة متبعة.. فكان يصحو مبكرًا.. وبعد أن يلقى نظرة فاحصة على الجرائد الصباحية ينطلق إلى وكالة الأنباء الخارجية الفرنسية حيث يلتقط الأنباء التي وردت أثناء الليل ثم يتخذ سبيله إلى السفارة حيث يطلع على نسخة مما تدقه وكالات الأنباء العالمية وفي السابعة يقابل مراد بك كالمعتاد وعلى مائدة الإفطار يقدم للسفير تقريرًا واضحًا عن الأحداث التي جرت منذ اليوم السابق ويمكن أن يعد هذا نوعًا من توقد الذهن وحدة الذكاء من ناحية الصحفي القدير الذي يعمل لحساب تل أبيب.. حتى تمكن من السيطرة على مشاعر الرجل الوحيد الذي استطاع أن يطلق له حرية التسلل إلى السفارة والحصول على الكثير من أسرارها.

وإني إذا ما نظرت إلى الوراء يروعني أن أفكر في تلك المستندات السرية التي لم يكن مصرحًا للسفير أن يطلعني عليها أو يظهرها للسكرتير الأول.. ومع ذلك قد تكون وصلت إلى تل أبيب عن طريق رجل وضع في غير موضعه.. والذي كان السفير يعتقد أنه يستطيع الاعتماد عليه بصورة مطلقة.

وقد كان لوجدي كل مبرر للثقة فيه.. فبالرغم من شعورنا الشخصي نحوه فإن جميع الموظفين بالسفارة.. وأنا من بينهم.. كانوا يعتقدون أن حقيقة أمره تنطبق على ما كان يتظاهر به.

ومما زاد هيبته ودعّمها أن جاء خطاب بعنوانه على السفارة وعليه الرمز الخاص بالاتحاد الاشتراكي العربي من مصر.. فلما قرأه أعلن أن المكتب الصحفي بالاتحاد الاشتراكي يعرض عليه منصب الرئيس العام للصحفيين المصريين في أوروبا. وهذا ترك قليلاً من الشك في أن وجدي كان له أصدقاء من ذوي النفوذ في مصر في الاتحاد الاشتراكي المصري.

ولم يكن وراء ذلك كثرة عدد الصحفيين المصريين في باريس.. فمعظم المصريين المقيمين بفرنسا إما موظفون في السفارة وهم مستغرقون في مجرى الحياة الدبلوماسية أو من الطلبة أو رجال أعمال، وعدد قليل منهم يعمل بمهن مختلفة.. ولكن وجدي رفض هذا المنصب بناء على أسباب أخرى رآها معقولة: فهذا المنصب قد يؤثر كثيرًا على عمله كمراسل لجريدة مصرية بالإضافة إلى أشغاله بالعمل ليلاً ونهارًا فضلاً عن سفره إلى أماكن عديدة. وفي هذه الحالة لن يجد الحركة نفعًا لأنه سيكون مشغولاً عنها ولن يمكنه من إدارتها.

وقد ارتفع رصيده عندما امتنع عن قبول هذا العرض الذي قدم إليه.. وإن كان يخشى لو قبل هذا المنصب أن يتورط في أحقاد وسياسات تستعدي عليه من ينبش وراءه ويسعى لكشف سجله والكشف عن علاقاته بالموساد.. وكما حقق النجاح وحالفه التوفيق بسهولة مذهلة في كل من مهنته القانونية كصحفي ومهمته السرية في ميدان الجاسوسية فقد تحمل ذهنه عبئًا ثقيلاً يزيد عن طاقته مما أسفر عن تدهور في صحته تدهورًا أدى إلى انزعاج صديقه مراد بك وأصدقائه الجواسيس.

obeikandl.com

# الفصل الثالث عشر

كان من مهام عملي كسكرتير في سفارة مصر في باريس أن أتولى رئاسة البروتوكول.. حيث كنت مسئولاً عن تنظيم دقيق للحفلات الرسمية وحفلات الاستقبال. ولم تكن هذه المهمة تشغل بالي كثيرًا حتى وصلت إحدى الأميرات بعد تقلد مراد بك لمنصب السفير بقليل.. وكانت إحدى الأميرات الروس الباقيات والتي ولدت في سان بطرسبرج القديمة وكانت تمت بصلة القرابة الوثيقة لآخر قياصرة الروس وإحدى الباقيات من أسرة عاشت بعد الثورة.. ولما كانت تعيش في مصر في ذلك الوقت.. فقد أصبحت مواطنة مصرية وكانت السفارة المصرية في باريس مسئولة عنها عند زيارتها أو إقامتها بباريس.

وكان يساورنا شيء من القلق حول ما قد يتخذه الشيوعيون المحليون من إجراءات.. ولكن اطمأن خاطرنا عندما وجدنا أنها في حراسة أحد ضباط المخابرات الحربية المشهورين بالصرامة.. وكانت كلما وجدت في منطقة أجنبية كان هذا الضابط دائمًا في صحبتها متنكرًا في صورة رسول دبلوماسي رسمي وكنا نشعر باطمئنان تام إذ كان يعمل مع الشرطة الفرنسية.

وكانت زيارة الأميرة لباريس سببًا في تمثيل مشهد مدهش في السفارة المصرية.. ولو كنت حرًا لما ترددت في إبلاغ السفير مما يؤدي إلى كشف الغطاء عما يفعله وجدي في الخفاء.

فقد حدث ذات ليلة في حفلة عشاء رسمية في السفارة أن كانت الأميرة حاضرة وكان وجدي من بين المدعوين وكان مقعده بجوار ضابط المخابرات الحربية القائم بحراستها.. وبينما كان الضيوف يصطفون في مجموعات حول صالة الرقص لاحظت أن وجدي كان يتحدث مع الأميرة بلهجة جدية في أحد أركان

الصالة.. وكان يبدو على وجهها شيء من الاستياء.. وقررت أن أتدخل لأضع حدًا للمحادثة لولا أني دعيت للرد على مكالمة تليفونية.. وعند عودتي كدت أصطدم بالأميرة في مدخل الصالة وهي في طريقها لتصعد السلم إلى غرفتها.. ولاحظت أن الدموع تنهمر على خديها.. وذهلت عندما وضعت يدها على جبهتها ودلت هيئتها على أنها قد أثيرت مشاعرها ولا ترغب في أي أسئلة توجه إليها.

ومازلت أحدق النظر إليها وهي تسير حتى توقفت ثم استدارت وعادت إليّ وهي تقول ثائرة "يا للهول! كيف يجرؤ على أن يذكر أمورًا...".

ثم انطلقتْ بعد أن أخذت عليّ عهدًا بالاّ أذكر شيئًا عما رأيت أو عما جرى على لسانها.. وطلبت مني الأميرة أن أقدم اعتذارها للسفير وزوجته بأنها كانت تشعر بالصّداع.. وفي صالة الرقص أبلغتُ السفير بأن الأميرة لجأت إلى مخدعها على أثر شعورها بصداع خفيف بسبب إرهاق ألم بها.. ثم جلتُ بنظري في أرجاء الصالة.

ركزتُ نظري على وجدي فإذا به يذرع الصالة جيئة وذهابًا. وبدأ كأنه يستشيط غضبًا.. ولما كنتُ أدرك شهرته بتصرفاته مع النساء ظننت أنه كان موضع لوم على تصرفات خاطئة بدرت منه.. وإني أعلم اليوم أن سلوكه هذا كان لأسباب تختلف تمام الاختلاف. فقد اشتهر وجدي بسوء الأدب عندما كان يظن أن الوقاحة قد تؤدي إلى إحراج ضحية تعيسة الحظ، وكان من المعروف أن الأميرة لا تستطيع أن تحتمل شيئًا يذكر عن ماضي أسرتها وعن الشيوعية باعتبارها من أفراد الأسرة المالكة وتضمر كراهية شديدة للحكم السوفيتي.. ويبدو أن وجدي ـ وهو يدرك شعورها هذا ـ كان يقصد إثارتها بإشارته إلى سيئات أسرتها.. ومن المحتمل أنه كان يدعى بأنه يبرر الحكم الشيوعي، ويكاد من المحتمل أيضًا أنه حاول إغراءها بذكر ألوان الظلم المنسوبة إلى أسرتها وأنهم

مسئولون عن ارتكابها.. واقتنعت بأن هذا هو السبب في بكائها.. كما كان السبب في أن وجدي بدأ عابس الوجه مقطب الجبين على أثر شعوره بتأنيب الضمير لاسترساله في الحديث إلى مدى بعيد.

هذا.. وإني أدرك الآن إذا كنتُ أبلغت عن الحادث رسميًا لكانت الأميرة في جانبي.. ولن أنسى أبدًا أني أضعت فرصة.. عن غير قصد.. لكي أكشف الستار عن مجموعة الجواسيس التي لا تباري في جدارتها وجرأتها.. ولكن وجدي بدأ كأن الحظ يلازمه حتى في نزواته التي تؤدي بأي شخص آخر أقل حظًا منه إلى موارد الهلاك.

وبمناسبة زفافي أقمت حفل استقبال في أفنية السفارة حيث كان وجدي بجسمه النحيل وقامته الممتدة.. ولأول مرة يرتدي حلة قشيبة ويبدو حسن الهندام.. وحدث أن التقى بقادم جديد (ظهر) في مجتمع باريس.. فتاة من أمريكا الجنوبية على جانب من الجمال في الثامنة عشرة من عمرها.. ولم أر في لقائه بها شيئًا يوحي بالشر حتى هممت بالخروج أنا وزوجتي بعد توديع الحاضرين.. فلاحظت أن وجدي قد اصطحب الفتاة وانسحبا معًا خلال الزحام وكانت الفتاة تضحك ملء شدقيها.

وخرجت مع زوجتي في هذا الوقت وعلمت ببقية القصة من بعض الأصدقاء في اليوم التالي.. حيث لاحت في الأفق قصة فضيحة جديدة.. فقد شوهد وجدي مع الفتاة بعد ذلك في مطعم معروف بجودة الطعام وروعة الموسيقى وبأنه ملتقى الأحباب.. وبدا أنهما تناولا قدرًا كبيرًا من الخمر ثم غادرا باريس إلى إحدى الضواحي في سيارة أجرة قاصدين فندقًا معروفًا بسوء السمعة بعيدًا عن الأنظار.. وبعد منتصف الليل ساد أهل الفتاة شعور بالضجر وبدأت الاتصالات التليفونية مع جميع الأماكن التي تتردد عليها عسى أن تكون هناك.. ولم يعثر عليها الأصدقاء ولا رئيس الفندق في المطاعم والنوادي الليلية، كما اتصلوا بمن

يعرفونهم ولم يكونوا حاضرين حفل الاستقبال.. وعادت الفتاة إلى منزلها في صباح اليوم التالي.. ولا أستطيع أن أذكر ما حدث بين أفراد الأسرة ولكن سرعان ما شاع في أنحاء باريس أنها قضت ليلتها مع وجدي.

وبعد أسبوع غادرت الفتاة باريس عائدة إلى بلادها وبرفقتها والداها ولم يذكر وجدي شيئًا عما حدث بل استمر في مجونه مع أصدقائه يتناول طعامه وشرابه في الأماكن التي يتردد عليها حتى انتهى اللغو والهمسات فجأة كما بدأت.. وظلت حياته البوهيمية في سلام كما كانت.

في هذا الوقت ساد نوع من الهدوء الخادع.. إذ كانت حلقة وجدي قانعة بإرسال معلومات تحتوي على معلومات عسكرية عن قوة الفرق العربية والجبهة المصرية على وجه الخصوص ومدى التطورات المتوقعة، خاصة بعد أن تردد أن أحد القواد الكبار انفعل بما حدث بخصوص الثغرة على الجبهة المصرية فاعتدى على القائد المتسبب في الثغرة وأقام له محاكمة عسكرية وأعدم رميًا بالرصاص، وكان أن تردد أن هذا القائد الكبير اقترح بعد ذلك على القيادة العليا أن يقوم بدك الثغرة بما فيها من قوات مصرية وإسرائيلية.

لكن هذا الاقتراح لم يلقَ استجابة من الرئيس السادات ورفض رفضًا باتًا أن يقتل أبناءه، واتخذ قرارًا بعزل هذا القائد الكبير صاحب الاقتراح وعين سفيرًا في لندن.

كما قام أحد اللواءات بالتنكر في ثياب بدو سيناء وامتطى حمارًا تصحبه إحدى البدويات وتسلل معها إلى الأماكن التي تنتشر بها القوات الإسرائيلية وقام بتصويرها خفية.. ووصلت هذه الصور إلى قيادته العسكرية فاستفادت منها في مهاجمة القوات الإسرائيلية في حرب عصابات واقتحام فدائي ساعد كثيرًا في استنزاف قوة الثغرة وفتح طرق الإمداد للقوات المحاصرة.

وقد وجد وجدي في الجاسوسية العسكرية المحضة أمرًا سهلاً يسيرًا في تناوله.. خاصة أن مينو ساعده كثيرًا في الحصول على كم من المعلومات الدقيقة من صديق قديم انتقل من وظيفة سكرتير شخصي لأحد الجنرالات إلى وظيفة حساسة تمثل أحد المراكز الرسمية في وزارة الدفاع الفرنسية.. وكان وجدي يعجب كيف استطاع مينو أن يزيد من تدفق معلوماته العسكرية.. وتولته الدهشة عندما أمضى مينو بمفرده اتفاقًا في أثناء حديثه معه.. ومن الواضح أنه اعتبر أن هذا الأمر ليس من الأهمية بحيث يجب إطلاع رئيسه عليه.. ثم أشار وجدي في رسالته اللاسلكية التالية إلى تل أبيب إلى أن جميع المعلومات العسكرية في المستقبل يجب أن تقبل مع شيء من التحفظ.

كان بعض هذه المعلومات يرسل بطريق اللاّسلكي ولكن الجماعة واصلت إرسال أكثرها بطريقة حمل الرسائل.. فقامت "آنا" برحلتين متتاليتين.. وفي الرحلة الأولى كانت ترتدي عقدًا من الزهور وتقف بجانب منضدة المحاسبة في سوبر ماركت الشمس في إحدى ضواحي لندن وتضع تحت إبطها لفافة وإذا برجل يزين صدره بقرنفلة حمراء يمر بجانبها مرة بعد الأخرى كما لو كان يبحث عن شيء يشتريه.. وبعد أن أتم دورة كاملة عاد مسرعًا فى اتجاهها.. بينما خطت إلى الأمام مسرعة معترضة طريقه.. وأسفر الصدام بينهما عن سقوط لفافتها وأخرى مشابهة لها كان يحملها.. وبعد أن راح يعتذر لها متمتمًا ببضع كلمات عن خشونته انحنى فوق الأرض والتقط اللفافتين وسلم أحدهما للمرأة.. ثم انصرف بعد أن اشترى بعض الأشياء.. تاركًا "آنا" ومعها اللفافة التي كانت معه ودسّ اللفافة الأخرى تحت إبطه.

بعد قليل أنهت "آنا" تسوقها وانصرفت خارجة ثم توجهت إلى أحد المحلات العامة وبينما هي تتجول في أنحائه اتجهت إلى "التواليت" الخاص بالسيدات لتصلح من هندامها وعندما أغلقت باب التواليت فتحت اللفافة

وأخرجت منها خمسين ألف دولار أودعتها في حقيبتها وخرجت من التواليت لتكمل جولتها الشرائية ثم انطلقت خارجة حتى وصلت إلى بنك معين على مسافة شارعين وهي تتجول سيرًا على الأقدام لمشاهدة المعروضات والملابس النسائية التي تزدحم بها الفاترينات.. وعندما وصلت إلى البنك اتجهت من فورها إلى موظف على أحد الشبابيك حيث أودعت المبلغ لحساب كلوزن الخاص بمهنته القانونية وهو يحوله بعد ذلك إلى باريس.. ثم عادت "آنا" بعد إنجاز مهمتها وكانت المهمة الثانية بعد شهر عندما عادت إلى لندن وهي تحمل عشر خرطوشات من الأفلام الدقيقة داخل صدرها البارز.. وكان أول شيء فعلته عندما توقفت عند أحد المحلات الخاصة بالأزياء وأخذت تتجول بين الأقسام المختلفة ثم اختارت جاكيت واتجهت به إلى حجرة صغيرة لأجراء البروفة وما أن أغلقت الباب خلفها حتى أخرجت الأفلام ووضعتها في حقيبة يدها. ثم أصلحت من هيئتها أمام المرآة وحاولت أن تجرب الجاكيت ولكنها لم تكمل المحاولة وخرجت لتعيده إلى البائعة معتذرة لها بأنه ضيق عليها بعض الشيء ووقتها لا يسمح بتجربة غيره وسوف تعود إليها في وقت آخر.

وما كادت تخرج من المحل حتى استقلت تاكسي إلى شارع معين به مكتبة تعرض أحدث الكتب.. وهبطت من التاكسي ودخلت إلى المكتبة وهناك بين الممرات المزدحمة بالكتب اختارت مكانًا هادئًا بين ثلاثة أرفف من الكتب حيث تبادلت إشارات التعارف مع رجل من المغرمين بقراءة الكتب وسلمت إليه الأفلام فوضعها في جيبه على الفور وسلمها ثلاثين ألف دولار في لفافة وضعتها في حقيبة يدها بدلاً من الأفلام.

وفي هذا الوقت أعلن وجدي أنه قد تسلم دعوة من السفارة المصرية لزيارة المناطق التي أضيرت بالحرب خاصة بعد أن توقف إطلاق النار وبدأت الترتيبات لفك الاشتباك. ووجدها فرصة لزيارة أهله بعد أن كان يكتفي بمراسلتهم وإرسال نقود لهم من بعيد، وكانت مراسلاته غير مباشرة حتى لا ينكشف أمره.. وعندما

أقلته الطائرة إلى القاهرة ثم انتقل مع الصحفيين الأجانب المدعوين لتغطية الموقف، وقضى فترة أسبوعين يتجول بين أنحاء مصر والتقى بأهله وزار أخوته وأقربائه وأصدقائه، وكانت المخابرات المصرية قد وضعته تحت عينيها ولم تشعره بذلك وابتكرت فكرة الدعوة إلى أرض الوطن ليبدو كل شيء طبيعيًا، وعندما عاد إلى باريس وبدأ يعاود نشاطه ظلت عيون المخابرات المصرية تتبعه بدون أن يشعر.. وكانت علاقات وجدي المتشعبة إلى كافة السفارات قد جعلت منه مصدر معلومات لدول كثيرة، ولم يكن يعمل لحساب إسرائيل فقط بل تداخلت الخطوط والخيوط فراح يلقي بالطعم إلى دول كثيرة كإنجلترا وفرنسا وألمانيا، ولم يكن ذلك خافيًا على المخابرات المصرية التي حرصت على أن تلقي في طريقه ببعض أفراد منها فيمدونه ببعض المعلومات ويحصلون منه على معلومات أخرى.. وراحت وحدة وجدي تعمل في إطار جديد بعيد عن المعلومات العسكرية.

وكثيرًا ما كان وجدي وفوكوليتش وكلوزن يدعون للمشاركة في الحفلات السنوية ويتبارون مع المدعوين في شرب الخمر ومصاحبة النساء.. وكانت لوجدي منزلة كبيرة لدى الدبلوماسيين الذين يدعونه إلى حفلاتهم.. ففي نهاية كل حفل كان وجدي يظل متيقظًا بينما زملاؤه قد استلقوا جميعًا متمددين على أرض الغرفة.

وها هو قد دعي إلى المجون والعبث في حفلة رأس هذه السنة التي استمرت حتى تسلل نور الصباح خلال جو الغرفة المعبأ بدخان السجائر وغيرها.. وقد لاحظ كلوزن وفوكوليتش.. وكانا قد امتنعا عن الشرب من قبل.. أن أحد الخدم وضع بطاقة عليها سجل بعدد المشروبات على المنضدة.. وكان أكبر عدد من الزجاجات موضوعًا بجانب بطاقة وجدي.. وشرب الجميع نخب الفائز.

وبعد هذه القصة أدركت مصدر ما كان يتمتع به وجدي من علاقات كثيرة ونفوذ كبيرة في الدوائر الدبلوماسية.. إذ كانوا يعتبرونه من وجهة نظرهم.. رجلاً جديرًا بالاحترام.. وفي مقابل ذلك يفعلون من أجله أي شيء في حدود المعقول.

obeikandl.com

# الفصل الرابع عشر

كانت باريس بعد عودة وجدي إليها تغص بحفلات وسهرات يرقص فيها الدبلوماسيون وزوجاتهم في مراقص الدولة والسفارات.. وكانت الفرصة متاحة لوجدي لكي يوسع من دائرة علاقاته ويوثق من اتصالاته بالسفارات الأجنبية الأخرى وكانت تجربة كبيرة للدبلوماسية الدولية ووقت اختبار للعلاقات الشخصية.. ورغم أن بعض الأجواء السياسية كانت توحي ببعض القلق والشك والحيرة إلا أن وجدي لم تؤثر فيه تلك العوامل وأصبح مدركًا لأبعاد ما يدور حوله من مناورات دبلوماسية.

وكانت الفرصة متاحة من خلال هذا المناخ السائد في باريس لكي تتابع المخابرات المصرية تحركات وجدي وتحاول أن تضعه تحت السيطرة وتسعى جاهدة لاستمالته.. وكانت خبراته بالشرق الأوسط وما يدور فيه من أحداث لها دور في سير العمليات الدبلوماسية الرامية إلى دفع عجلة الأحداث نحو الحل بعد أن تفجر الموقف المتجمد لسنوات طويلة.. كان هذا يساعد على تلاقي الخيوط حول وجدي بما يفيد أطرافًا عديدة.

وخلال هذه الفترة دعيتُ إلى حفل صاخب في منزل وجدي حيث يشترك أصدقاؤه من كافة الجنسيات في إعداد الحفل كمضيفين لقضاء أوقات اللهو المحبوبة لديهم وحيث يقيمون مباريات في احتساء الخمر.. حتى إذا ما انتهى الحفل كان بعضهم يتأرجحون في سيرهم من تأثير الشراب وكان لابد من مساعدتهم في ركوب سياراتهم بينما كان وجدي رابط الجأش وإن لم يكن واعيًا وكان في منتهى الأدب.. وعند خروجنا أعلن وجدي أنه متوجه إلى إحدى الضواحي لاستكمال سهرته في بيوت اللهو والمتعة.. فصاح أربعة من الضيوف يعربون عن رغبتهم في مرافقته.. وكانوا فوكوليتش وفرانسوا ومينو وكلوزن

وآخر ما وقع نظري عليهم لهم أنهم استقلوا سيارة كلوس.. ولو كنت مكثتُ بعض الوقت لرأيتهم يطوفون بسيارتهم في طريق أو اثنين ليعودوا بعد قليل راجعين إلى المنزل الخشبي الخاص بوجدي وهناك أسدلوا الستائر وجلسوا بين الأنقاض لعقد جلسة رسمية لحلقة التجسس.

وطبقًا لما أفشاه وجدي فيما بعد كانت هذه الجلسة لوضع الوحدة رسميًا على أهبة الاستعداد للاستفادة من مستجدات الشئون العالمية على الساحة، وأصر على أنهم يجب أن يعتبروا أنفسهم جنودًا في صفوف الموساد، وظلت التعليمات الملقاة على عاتقهم كما هي ولكنه أكد حاجتهم إلى شدة التمسك بإجراءات احتياطية.

وفي الواقع كان حديثًا عابرًا يرمى إلى الانغماس في علاقات متداخلة للاستفادة من الأجواء السياسية الجديدة واستنباط الأحداث مما يتضح لهم في أفق السياسة العالمية.

وبينما كانت الأمور تسير في مجراها الطبيعي بالنسبة لوجدي إلا أنه انتبه إلى أن أعمال الجاسوسية المضادة بدأت تنشط وبدأت المخابرات المصرية توزع رجالها الذين يتحركون في ملابس عادية حول وجدي ووحدته وهم يرصدون اتصالاتهم بأجهزة حديثة لتتفوق على أجهزة الموساد وتستطيع التقاط شفراتهم وبالتالي يمكنهم تفسيرها.. في نفس الوقت كانت حلقة وجدي تعاني شيئًا من المتاعب داخلها إذ كاد وجدي نفسه يعرض الوحدة إلى اكتشاف أمرها، بسبب إمعانه وشغفه بسرعة القيادة.. فقد حدث أن كلوزن.. باعتباره وكيلاً للتصدير والاستيراد.. تمكن من الحصول على درّاجة بخارية ألمانية من طراز حديث.. وأعجب بها وجدي غاية الإعجاب لدرجة أنه أغضب كلوزن بإلحاحه في شرائها منه.. وفي أول يوم اشتراها منه أخذ يطوف بها في ضواحي باريس دون مراعاة لقواعد المرور مما أزعج المواطنين.. وفجأة اختفت مظاهر المرح وساد السكوت

لمدة ثانية عندما مر بالسفارة المصرية في لمح البصر.. وبعد ذلك سمع صوت سقوطه عندما حاول في جرأة أن يصعد بدراجته البخارية أحد المرتفعات فسقط هابطا إلى الخلف وانقلب من فوق الدراجة.

وتصادف مرور طبيب بالقرب من الحادث فهرول لإسعاف وجدي الذي أخذ يئن من آلام بعد أن استخرجه المارة من حطام الدراجة وجاءت سيارة الإسعاف حيث حملته وانطلقت به إلى مستشفى لعلاج الأجانب.. ومن هناك اتصل بكلوزن الذي هرول إلى المستشفى. فقد كان يعلم أن وجدي يحمل في جيب سرواله تقارير لم تكتب بالشفرة بعد.

وكان في نيته أن يرسلها باللاسلكي هذه الليلة.. إذ كانت تحتوي على تفصيلات مهمة لمراكز القوات المصرية وقائمة بالأسلحة التي ستصل إلى مصر قريبًا وسيتم تدريب القوات عليها.. وكانت التقارير مكتوبة باللغة الإنجليزية بما يكفي لو كشفت لإعدامهم جميعًا بلا شك.

ولكن وجدي كان واعيًا لهذا الأمر تمامًا.. وبرغم أصابته البالغة أخذ يجاهد ضد الإغماء عند وضع الضمادات ونقله إلى المستشفى حيث انتظر وصول كلوزن إليه ولكن وجود الممرضات معه في الحجرة كان يقلقه بعض الشيء بعد وصول كلوزن.. وما كادت تسنح لهما فرصة بخروج الممرضات لقضاء بعض شئونهن حتى حاول وجدي أن يشير إلى كلوزن وهو يحرك ذراعه بصعوبة بسبب ثقل الأربطة المعلقة به.. مشيرًا إلى جيب سرواله.. فأسرع كلوزن إلى ملابس وجدي الملطخة بالدم والتي كانت ملقاة على أرض الغرفة واستخرج منها التقارير وجلس يتنفس الصعداء بعد أن اطمأن قلبه.

بعد خمس دقائق دخل إلى حجرته أحد ضباط الشرطة لختم متعلقات وجدي الشخصية بالشمع الأحمر حتى لا يعبث بها أحد.. وهي العادة المتبعة عقب كل حادث خطير.. فبدأ بعمل قائمة بمحتويات كل جيبه.. وهنا أصيب كلوزن بصدمة

أخرى.. إذ عثر الضابط على بعض دولارات أمريكية كانت في جيب معطفه.. ومن غير المعتاد أن يحمل صحفي مصري مثل هذه العملة.. ولحسن الحظ اتضح أن الضابط لم يهتم بهذا.. بل راجع النقود وختم الأوراق المالية مع بقية المتعلقات.

وغادر كلوزن المستشفى مسرورًا.. ولكنه ظل عدة أيام يشعر بالقلق إذ خشي أن تظن الشرطة أنه أمر غريب لوجوده بجانبه بدلاً من أحد موظفي السفارة أو زميل له من الصحفيين من نادي المراسلين الأجانب.

وفي الليلة التالية جمع كلوزن أفراد الوحدة وأخبرهم بتفاصيل الحادث.. وقال إن وجدي سيبقى دون عمل لبضعة أسابيع.. وكان اجتماع الجواسيس في منزل مينو حيث كان جهاز اللاسلكي مخبأ في انتظار الإرسال التالي.. ولم يكن هناك من ينوب عن وجدي أثناء تغيبه.. إذ لم يذكر لهم ذلك.. فقرروا الاتصال بتل أبيب لتلقى التعليمات في هذا الصدر.

وتحت ستار إحدى الليالي في وقت متأخر بعد انتهاء حفلة صاخبة ثم الاتصال مع مينشن.. فصدرت إليهم الأوامر بالانتظار وجاء لهم رد الموساد في الصباح وكان ردًا جافًا خاليًا من العاطفة يشير إلى تجاهل الحادث بعبارة مختصرة دون البحث في مدى خطورته.. ثم طلب من الوحدة وقد أصبحت لا قائد لها.. أن يعدوا تقريرًا في مدى أسبوع عن العلاقات الفرنسية العربية والمصرية على وجه الخصوص وقياس الضغط الدبلوماسي في الأوساط العالمية، وكان وجدي وحده هو الذي يدرك ماضي المعلومات السياسية والدبلوماسية ليشكل تقريرًا من هذا النوع.. وكان في استطاعة فرانسوا وفوكوليتش أن يعدّا فيما بينهما ملخصًا مرضيًا، ولكن لم يرغب أي منهما في التوقيع باسمه على تفسير للأحداث قد يكون خاطئًا فقرروا جميعًا الانتظار حتى يخرج وجدي من المستشفى.

وهذا يبين أن أفراد الفرقة جميعًا كانوا يعتمدون اعتمادًا تامًا على وجدي مهما كانوا قادرين أو لامعين.

فأبلغوا وجدي بما جرى وتطلعوا إليه ليكون وقاية لهم ضد سخط الموساد إذا حدثت أي أخطاء.

وشعر كلوزن أثناء أسبوع الانتظار بأن أحدًا يقتفي أثره مما كان مبعث قلق ومضايقة له.. إذ لاحظ أنه كلما غادر منزله في الصباح وجد سيارة مشحونة بالرجال تقف بالقرب من منزله.. ثم أدرك بعد ذلك أنه على بعد بضع ياردات من منزله كان يوجد مبنى القسم التجاري التابع للسفارة السوفيتية.. وقال لنفسه إن الروس تحت رقابة دقيقة من أولئك الشرطة بملابسهم العادية. ولكن برغم ذلك مازال يشعر بعدم الارتياح.

وعندما انقضى الأسبوع توجه فوكوليتش إلى المستشفى الذي يرقد فيه وجدي تحت العلاج.. حيث وجده يسير نحو الشفاء في سرعة ملحوظة.. ولكنه مازال ضعيفًا بسبب ما نزف من الدم.. فقدم إلى رئيسه ملخصًا بأوامر الجنرال أهارون وسبب عدم طاعة الوحدة لها.. وكان فوكوليتش يعتزم أن يستمر في حديثه معه ليقدم له كلمة موجزة عن سير العلاقات الدبلوماسية بين الدول العربية وفرنسا والدول الغربية الأخرى. ولكن منعه من الاسترسال تدفق الممرضات المستمر على غرفة وجدي لتبادل اللهو والحديث مع مريضهن المحبوب.. وكان وجدي يغازلهن جميعًا رغم ما يشعر به من الآلام.

وبعد عدة أيام وقبل انقضاء المدة الكافية للعلاج قرر وجدي مغادرة المستشفى.. فدعا إلى جانبه الأطباء والممرضات وأصر على عودته إلى المنزل بحجة أن صحيفته في القاهرة تطلب أنباء سريعة حول التطورات الدبلوماسية العالمية وردود الفعل في الأوساط الدبلوماسية فيما يختص بوقف الحرب على جبهة القناة واتجاه النية إلى فتح القناة للملاحة العالمية.. ومع إصابته في ظهره ورأسه

ويديه وذراعيه الملفوفة بالضمادات.. تمكن من إغراء موظفي المستشفى بالسماح له بمغادرتها.. وعاد بذلك لاستئناف حياته المزدوجة بنشاطه القديم.. وبعد انقضاء ليلتين كان جهاز الإرسال يعمل في غرفة نوم وجدي.. إذ كان كلوزن يرسل تقريرًا عن تأثير أحداث الشرق الأوسط على السياسة العالمية.. وكان التقرير يرسل على فترات إرسال واستقبال كل ساعتين طول الليل.

وأكد هذا التقرير إجماع الآراء السياسية والعسكرية في الغرب على أهمية استقرار الوضع في الشرق الأوسط وعودة القناة إلى العمل لصالح الملاحة البحرية العالمية، وتأثير ذلك على الاقتصاد الأوربي والمصالح الغربية في المنطقة. وكانت الوحدة قد قامت بجمع الكثير من المواد والمعلومات في جميع الميادين.. خاصة الجهود التي تجري لفك الاشتباك والمنافسة العالمية لتطهير القناة من آثار الحرب وانتشال السفن الغارقة وإعادة الملاحة في أقرب فرصة، والاتجاه إلى تنمية المنطقة اقتصاديًا وتوسيع نطاق التجارة العالمية خاصة البترول.. وكانت مشكلة وجدي تنحصر في كيفية إرسال عشرات من خرطوشات الأفلام الدقيقة إلى لندن في الوقت المناسب.. وكان حل المشكلة في السفارة المصرية.

ففي ذات يوم استدعاه السفير عزت وطلب إليه أن يعمل كحامل رسمي لرسائل السفارة ويقوم بجولة حول أثينا في اليونان وروما بإيطاليا.. وقبل وجدي هذه المهمة.. وبعد يومين استقل طائرة إلى أثينا.. وكانت برفقته حقيبة خاصة بها ما يقرب من مائة من الأفلام وعلى الحقيبة طابع النسر المصري مع حصانة ضد الفحص الجمركي.. وقبل سفره أخذ هذه الحقيبة المحتوية على كل شيء وتوجه إلى السفارة المصرية حيث استعار الخاتم الرسمي مدة تكفي لصب الشمع الساخن على القفل ثم ضغط الخاتم الرسمي عليه.. وكان كلوزن مشغولاً خلال هذه الليالي بالاتصال بتل أبيب لإعداد حملة الرسائل لمقابلة رئيسه في كل من أثينا وروما.

وعندما وصل وجدي إلى أثينا توجه مباشرة إلى فندقه حيث ظل في انتظار مكالمة تليفونية حتى إذا تم الاتصال سمع صوت رجل يقول: "لقد أنبأني ماكس أن أتوقع وصولك اليوم.. فمتى نستطيع أن نتقابل؟".

فأجاب وجدي: "مسز ماكس أعطتني رسالة لزوجتك.. لماذا لا تجيء على الفور؟.. وفي استطاعتنا أن نتحدث ريثما أغير ملابسي ثم نتوجه إلى القنصلية سويًّا".

وكان حامل الرسائل الإسرائيلي قد أعطى إشارة الاتصال "ماكس" ورد عليه وجدي بالإشارة المقابلة "مسز ماكس".. وفي بضع دقائق ساعد وجدي في إزالة آثار الخاتم المصري ووضع بدلاً منه خاتم إسرائيل الرسمي.. إذ كان الرسول الإسرائيلي مسافرًا تحت حصانة دبلوماسية شأنه في ذلك شأن وجدي.. وعند خروجه كانت معه الحقيبة المحتوية على كل شيء وبها مجلد بنشاط الجاسوسية قد تم نقله في أمان.

وعندما غادر وجدي أثينا في اليوم التالي متجهًا إلى روما اتجه بمجرد وصوله إلى إحدى الحانات ليقابل هناك الرسول الثاني.. ودون أن يلاحظهما أحد دس في جيب وجدي رزمة من أوراق البنكنوت ثم أخذ سبيله إلى بنك روما حيث أودع المبلغ في حساب مفتوح باسم كلوزن الخاص بشركته ليحوله بعد ذلك إلى باريس.

وعند عودته إلى باريس دعي إلى حفل كوكتيل قبل تناول الغداء في السفارة المصرية.. وكان يقف بالقرب من مجموعة من الملحقين الدبلوماسيين.. وكانوا يناقشون فيما بينهم أمورًا تتعلق بكفاية المعدات الخاصة بالاكتشاف اللاسلكي.. فتصلبت أعضاؤه واقترب منهم.. وسمع الملاحظة الأخيرة التي انتهت بها مناقشتهم والتي وجهت ذهنه بسرعة نحو المستقبل: "حسنا سوف نعلم في

القريب العاجل.. لقد وصلت في هذا الأسبوع أفضل الوحدات اللاسلكية المعترضة".. وعلم وجدي في الحال لماذا طلبت هذه الأجهزة الحديثة. ومن الذي طلبها؟.

obeikandl.com

# الفصل الخامس عشر

حدث أن وقع كلوزن في حيرة لا يدري ماذا يصنع.. فقد وجد أنه إذا فشل في إنقاذ عمله في التصدير والاستيراد فسيبقى في دفاتر حساباته المبالغ الخاصة بحلقة التجسس ليس إلا.. وكان كلوزن فنيًا ممتازًا في أعمال اللاسلكي ولكنه لم يكن من رجال الأعمال.. وأصبح فيض الطلبات المناسب الذي كان يتعامل به يتناقص شيئًا فشيئًا حتى كاد يتلاشى.. ولم يستطع التفكير في وسيلة تعيد المياه إلى مجاريها.. وعلى ذلك قرر أن يوضح لوجدي أنه من المستحيل مواصلة إخفاء الحسابات الخاصة بالوحدة إلى مدى أكثر.. وأن ستاره الذي يكمن خلفه أصبح مهددًا.

وظل وجدي قلقًا بشأن شركة كلوزن وشركاه عدة أيام؛ وذلك لأن عامل اللاسلكي لا يستطيع أن يباشر عمله في الحلقة دون ستار يخفيه، ولما كان معروفًا بأنه من رجال الأعمال فلا بد من اتخاذ شكل آخر لعمله مما يعد مجازفة أخرى.

وذات يوم دعا فرانسوا ومينو إلى اجتماع لوضع خطة تستدعى مساعدتهما إذا قدر لها النجاح.. وتقرر أن تنتهي شركة كلوزن وشركاه ويصبح كلوزن مؤسسًا لشركة كلوزن.. وهي شركة معدة بمطابع وآلات ألمانية لإنتاج مطبوعات الحكومة وخرائط البحرية والتصميمات المعمارية والأدوات الدقيقة.. وكان على فرانسوا ومينو أن يعلنا في الدوائر الرسمية أن الفنيين الألمان بوسائلهم الفنية أصبحوا في متناول الناس في باريس.. ثم قاما بمساعدة وجدي في وضع التفصيلات قبل أن يتسلم كلوزن مصنعًا فرنسيًا للإنتاج مزودًا بالمال.. يأتيه من ألمانيا بطريقة خفية.. وحضر بعض كبار الخبراء من ألمانيا إلى فرنسا للإشراف على العمال المحليين، حتى إذا حل الربيع كانت شركة كلوزن قد قامت بتركيب آلاتها واستئجار الأيدي العاملة واستعدت للعمل.. وكانت المهمة من جميع

نواحيها تزيد على طاقة كلوزن الذي كان يقضي وقته ناعسًا في مكتبه الضخم أو مهرولاً إلى وجدي يبثه مخاوفه من حيث المستقبل.. فما كان من وجدي إلا أن تخلى عن هذه التكهنات التي تنبئ بالشر.. وشكر الله على توفيقه في استئجار مدير عام من الدرجة الأولى للإشراف على الشركة الجديدة.

وقام فرانسوا ومينو وبعض أصدقاء كلوزن من رجال الصناعة بمساندة شركة كلوزن بحيث تستطيع أن تقف على أقدامها.. وعندما خرجت أول مطبوعات الحكومة من المطابع وبدأت آلات الإنتاج في العمل انهالت الطلبات على الشركة وتكدست في أدراجها.. وكثير منها من السفارات الأجنبية التي اغتبطت بأنه أصبح في الإمكان الحصول على عمل دقيق ينتجه الألمان في باريس.

اغتبط وجدي بالطريقة التي تطورت بها الأحداث فقد حوَّل كلوزن إلى رجل محترم من رجال الأعمال.. يستطيع أن يتجول في أغنى الدوائر الصناعية في فرنسا بمطلق الحرية.. كما تمكن من إيجاد وسيلة أكثر سلامة لإخفاء حسابات حلقة التجسس مع احتفاظه بعامل اللاّسلكي اللاّمع.. ولكن ما زاد على كل هذه المكاسب هو التحول الخيالي في الحظ الذي جعل كلوزن من أهم عملاء الحلقة وموضع تقدير كبير.. إذ أصبح بين يديه الآن مطبوعات الحكومة والسفارات الأجنبية عن الآلات والأجهزة الصناعية والأسلحة الحربية والمستلزمات المتعلقة بالطائرات المقاتلة وقاذفات القنابل وحركة السفن والتجارة.. وكانت صور من هذه المطبوعات ترسل إلى تل أبيب.

وكان كل هذا كثيرًا لكي يهضمه كلوزن بعقليته المحدودة.. إذ كان متشبثًا بعامل واحد يستطيع أن يراه ويفهمه وهو رصيده في البنك ومغازلة النساء.. وراح يعيش حياة رجال الأعمال فانتقل إلى فيلا فاخرة في إحدى ضواحي باريس الممتازة وامتلك سيارة جديدة وراح يدخن السيجار.. وكان وجدي يراقب ذلك التحول باهتمام عظيم ومثير.. إذ كان لا يزال يستخدم سيارة قديمة متهالكة

ويدخن غليونه القديم.. ثم إن هذه الثروة التي هبطت على كلوزن حديثًا وما تلاها من سلوكه المستحدث كان أمرًا يغضب الجهاز السّري المجند من قبل الموساد لمراقبتهم.. ولكن وجدي لاذ بالصمت.. لأنه كلما استمتع كلوزن بماله وتصرف كأي رجل من رجال الصناعة كان ذلك أفضل بالنسبة لمهمته السرية. وفضلاً عن ذلك فقد أصبح وجدي مغرمًا به كما يغرم الإنجليزي المحترم بكلبه المحبوب.

وحدث أن تلقت الوحدة بعد ذلك لطمة بخروج فرانسوا من منصبه نتيجة بعض الخلافات السياسية في الوزارة.. مما أحدث أزمة وزارية أقيل على أثرها فرانسوا من منصبه في الحكومة الفرنسية.. وقد كان لفرانسوا علاقات وصلات بأقوى رجال السياسة بحيث كان له دور كبير في خدمة أهداف الحلقة.. فضلاً عن حيازة المستندات الرسمية في يده.. ورغم ذلك كان وجدي راضيًا على وجه العموم لأن ظروفًا خارجة عن إرادتهم وبعيدة عن متناولهم غالبًا هي التي كانت ترغمهم على تغيير اتجاههم.. وعلى ذلك يكون الشيء المهم هو التأكد من الاتجاه بصورة عامة وذلك أفضل من معرفة ما قيل أو حدث بالضبط أو معرفة القرارات التي اتخذت.. وكانت المعلومات الوحيدة الهامة والتي كانوا يحرصون عليها هي معرفة الوقت المحدد بالضبط لأي تحركات في اتجاه تل أبيب سواء كانت تحركات دبلوماسية أو عسكرية.. وكان فرانسوا يقول: إن نشاطي يتميز بنقص تام في اتخاذي وسيلة معينة، وكان نجاحي ينحصر في مقدار شعوري وتفكيري في المهمة التي أقوم بها.. فأنا رجل اجتماعي بطبيعتي أحب الناس وأستطيع أن أعقد صداقات مع غالبية القوم.. وزيادة على ذلك أميل إلى العطف على من حولي، ولي صلات وثيقة بأفراد في دائرة أصدقائي وفي خارجها.. وكانت مصادر معلوماتي هي أولئك الأصدقاء.

ثم إني لم أتطلع مطلقًا إلى معلومات مفصلة ـ وإن كان يسلّم بالاهتمام

بالمشاكل التي كان وجدي يظنها أكثر استعجالاً من غيرها ـ وكنت دائمًا أكوّن لنفسي رأيـًا خاصة في الموضوع الذي أعالجه بأن أرسم في ذهني صورة واضحة تبين الاتجاه العام على أساس مختلف التقارير والشائعات ولم ألجأ أبدًا إلى أسئلة رئيسية مفصلة.

وبينما كان كلوزن يزدهر بألوان الخير والرخاء ويتسلل فرانسوا إلى الدوائر الحكومية الفرنسية العليا مرة أخرى.. كان وجدي يجابه أزمة منزلية.. حيث عادت فتاة أمريكا الجنوبية ـ دون سابق إنذار ـ إلى باريس قادمة من سان فرانسيسكو وهي الفتاة التي سبق أن قابلها في لندن وأصبحت عشيقته.. وجاءت إلى منزله تطالب باسترداد مركزها الأول.. وكان وجدي ـ فيما يختص بالنساء ـ متناقضًا قلما يعود إلى سابق عهده.. إذ بمجرد وصول الفتاة إلى منزله جمع متاعها ووضعه في سيارته ثم أخذ سبيله إلى أحد الفنادق.. وظلا يجددان عهد الغرام لبضعة أسابيع حتى جاء يوم وضع فيه وجدي حدًا لقصة حبه.. وكانت الفتاة قد قطعت آلاف الأميال لتراه.. فكان جزاؤها معاملة خشنة ثائرة ووداعًا مقتضبًا لا يليق.. ولم يمض على بقائها في باريس سوى ستة أسابيع حتى غادرتها إلى إيطاليا.. وقد قرأت بعد ذلك بقليل نبأ قصيرًا يفيد بأن الفتاة حاولت الانتحار في أحد فنادق روما.. ولم تظهر في باريس مرة أخرى ثم إن وجدي لم يذكر لي شيئًا مطلقًا عن هذا الحادث.. ولا أذكر أن محاولة الانتحار كان لها أي أثر في نفسه فقد تجاهلها ببساطة.. هذا وقد جابه وجدي مشاكل أخرى عاجلة شغلت باله.. فهو على يقين من أن المخابرات الفرنسية المضادة قد عثرت على جهازه اللاسلكي.. ولم يكن هذا مفاجأة له.. فقد كان كلوزن يواصل رسائله إلى تل أبيب طوال سنوات كما كان يبلغ عن أي حوادث تشير إلى أن هناك مراقبة على الأجانب قد يكون لها علاقة بجهاز إرسال الغرفة وقد حدث ذلك مرارًا.

ففي ذات مرة عاد كلوزن إلى منزله في غير موعده فوجد زوجته "آنا" تحاول إغراء رجل فرنسي رثّ الهيئة على ألا يخلع الباب المؤدي إلى الغرفة حيث كان جهاز الإرسال والإستقبال مخبأ فيها.. وعندما أمره كلوزن بالخروج من المنزل ضحك في وجهه، وقال إنه سباك أرسل لإصلاح أنابيب الماء في هذا المسكن.. فشعر كلوزن بالأسف ولكنه لم يدرك معنى لما قالته "آنا" للرجل فأخذ يتوجس ضيفه من هذه الناحية أكثر من أي وقت مضى.

ثم حدث بعد ذلك أن كلوزن ـ بعد ظهر أحد الأيام ـ كان يعد رسالة في غرفة النوم في منزل فوكوليتش وإذا بطرق عنيف على الباب الخارجي أزعجهم سماعه.. واتضح أن الطارق كهربائي من المجلس البلدي يطلب من فوكوليتش أن يقفل التيار الرئيسي بينما يقوم العامل ببعض إصلاحات بجوار منزله.. فأخفى كلوزن الجهاز وأخذ ينتظر في رعب حيث كان يظن أن هذه عملية تفتيش للمنزل.

ثم جاءت بعد ذلك حادثتان الواحدة تلو الأخرى.. فبينما كان كلوزن يستخدم جهازه في شقة أوديت فوكوليتش في ذات مساء.. وإذا برجل يظهر فجأة أمام النافذة ويلقي بمقعد مما يستخدم في البناء داخل الغرفة.. وكاد الوقت لا يتسع لكلوزن لكي يدير ظهره إلى النافذة ليخفي ما بداخلها ويعبئ جهازه.. ثم تحول إليها فوجد الرجل قد اختفى.. إذ كان عاملاً أرسل لإصلاح سقف المنزل.

وكان المأزق التالي في منزل كلوزن نفسه.. فبينما كان في الطابق الأعلى يعد رسالة لإرسالها باللاسلكي وإذا به يسمع زوجته ترحب بشخص في الردهة في الطابق الأسفل.. فأسرع بتعبئة الجهاز وأغلق الباب وهرول يهبط السلم ليرى من القادم.. وخفق قلبه بشدة عندما رأي أنه مفتش في الشرطة السرية الفرنسية وتبين له أن الضابط قد جاء لحديث ودي عابر.

أما هذا الحادث الأخير فقد كاد أن يحطم أعصاب كلوزن.. فقد جاء الحادث حينما كان يقود سيارته في طريقه إلى المدينة قادمًا من منزل فوكوليتش.. وكان هذا يجلس ومعه حقيبة بها جهاز الراديو.. وإذا بأحد رجال الشرطة يوقف السيارة ويسألهما عن الجهة التي يقصدان إليها.

فبدأ كلوزن يرتجف ولكن فوكوليتش الرابط الجأش أجاب بأنهما في طريقهما لتناول الطعام في مطعم شهير في المدينة.. فأومأ الشرطي برأسه موافقًا ثم أبدى ملاحظة قائلاً: "مصابيح السيارة مطفأة ويجب إنارتها". ثم انصرف إلى حال سبيله.

ولما كانت هذه الأحداث تبلغ إلى وجدي أسبوعيًا تقريبًا قرر أن يمارس نشاطه طبقًا لخطة مثالية.. وكانت خطة بسيطة ومناسبة بشرط أن يكون الفرنسيون لم يصلوا بعد إلى خبراء في كشف وحدات الإرسال السرية.. وعندما بدأ في وضع خطته موضع التنفيذ كانت إدارة المخابرات المصرية تطلع قيادتها على تقارير بكافة تحركات وجدي ومجموعته بعد أن صدرت لهم تعليمات ليتبينوا ما إذا كانت الدول التي يعملون بها تعرف مقدمًا شيئًا عن سياسة مصر أم لا.

كان ذلك في أحد أيام فصل الربيع عندما رست السفينة القادمة من مرسيليا إلى ميناء ليفربول بإنجلترا.. وهبط الركاب في مدى نصف ساعة أو يزيد قليلاً.. حيث انتشروا في الميناء قاصدين أعمالهم.. ومن أحد الأرصفة استقل أحدهم سيارة أجرة وتحت إبطه مظروف أحمر.. وكان وجدي هو ذلك الراكب.. حتى إذا توقفت السيارة أمام باب أحد المحلات المعروفة هبط منها وحاسب السائق ودخل إلى المحل ووقف إلى جوار منضدة عليها بعض الهدايا مدعيًا أنه مهتم بشراء شيء منها.. وكانت من المجوهرات الثمينة.. وأثناء وقوفه اصطدم به رجل مر بجواره فنظر إليه وجدي مبتسمًا في وجهه فوجده يفيض بسيل من الاعتذارات عما بدر منه.. ثم عاد إلى مجوهراته يعيد النظر إليها.. وفجأة ترك وجدي المجوهرات على

المنضدة وانطلق خلال الزحام ليلحق بالرجل الغريب ومازالت اللفافة الحمراء تحت إبطه بينما كان الآخر يحمل لفافة بيضاء.

وفي الطريق تحول الرجل ودخل أحد الفنادق وتبعه وجدي فوجده يجلس في الحانة ومعه لفافته البيضاء.. فاتخذ مقعدًا بجواره ووضع لفافته الحمراء بجانب اللفافة الأخرى.. وكانت اللفافتان من حجم وشكل واحد.. ثم طلب وجدي قدحًا من الخمر.. وبدأت الحانة تخلو شيئًا فشيئًا.. حتى إذا استدار الساقي لبعض شأنه في البار.. وقف وجدي والتقط اللفافة البيضاء وأسرع خارجًا نحو الطريق.. واختفى بين الجماهير.. فالتفت الرجل الغريب ساخرًا نحو الباب الذي خرج منه وجدي مسرعًا وعاد إلى قدحه حيث انتهى منه ودفع الحساب وخرج هو أيضًا.

وقد سبق لحامل الرسائل القادم من تل أبيب أن اتصل بوجدي من قبل.. ولكن كانت هذه أول مرة يرى فيها رئيس الجواسيس يغادره بمثل هذه السرعة.. فبعد أن دفع حسابه في الحانة التقط اللفافة الحمراء وخرج ليبدأ رحلته الطويلة عائدًا إلى تل أبيب ومعه صور من مطبوعات الحكومة وبها أحدث التصميمات المضادة للغواصات وعشرون لفافة من الأفلام الدقيقة تحتوي على تقارير وإحصاءات جمعها أفراد الحلقة خلال الشهر الماضي.. وأحدث وسائل التجسس.. حتى إذا عاد وجدي إلى غرفته بالفندق واستقر به المقام على مقعده القريب من الشرفة فتح اللفافة البيضاء على منضدة أمامه واستخرج منها عشرين ألفًا من الدولارات الأمريكية وضعها في جيبه وعشرة أشرطة من الأفلام الخام الجديدة لاستخدامها في مهامه، حيث قررت الفرقة استحضار أفلام جديدة من تل أبيب إذ وجدت نفسها استهلكت مقادير كبيرة مشتراة من باريس مما يلفت النظر ويثير الشكوك حولهم خاصة من الشرطة العسكرية.

واستلقى وجدي على فراشه وأخذ يفكر في عمل اليوم.. وما لبث أن انقلب الهدوء الذي كان يشعر به إلى أعصاب ثائرة.. إذ خطر بباله أنه من الغباء أن

يستخدم وسيلة قديمة من السهل التعرف عليها كحيلة للاتصال باستبدال الطرود في إحدى الحانات! وهو معروف حق المعرفة لشرطة لندن أيام أن كان فيها من قبل.. ومع ذلك لم يكن في الوقت متسع لابتكار طريقة جديدة أكثر مناسبة وإتقانًا. ومرت عدة ساعات نام فيها نومًا قليلاً متقطعًا.. ثم تغلب أخيرًا على مخاوفه.. وعاد إلى باريس بعد يومين بعد أن توصل إلى حل مشكلة إخفاء راديو كلوزن.

وبعد مضى أسبوع على عودته إلى باريس استأجر وجدي منزلاً خشبيًا في ضاحية منعزلة على شاطئ البحر وعلى مسافة ساعة بالسيارة من باريس.. وكان هذا المكان عبارة عن خليج يستخدمه الصيادون كمرسى لقواربهم الشراعية.. ثم تعرف مينو برجل قد يكون على استعداد لاستبدال مهنة الصيد التي لا تدر عليه أرباحًا مجزية بعمل مربح آخر.. بأن يؤجر قاربه ويظل به يقوده.. وفي نهاية أول أسبوع له في المنزل الخشبي اكتشف وجدي شيئًا بعد بحث طويل بأن يبعد هذا الصياد عن طريقه.. فعرض عليه مبلغًا يعادل عشرة آلاف دولار نظير استخدام سفينته لأغراضه الخاصة دون مناقشة أو جدال.. فإذا كان الصياد قد ساوره الشك حول هجر مهنته التقليدية التي يعيش منها.. فقد تبددت شكوكه الآن.

وفي اليوم التالي استقل كلوزن سيارته إلى المنزل الخشبي (الشاليه) ومعه جهاز اللاسلكي بجواره على المقعد.. ثم أسرع بوضعه على سطح القارب وظل كلوزن ووجدي يعملان في غرفة السفينة دون أن يسمحا حتى لقائدها بالدخول.. وانتهيا إلى إقامة مكان سري خاص على سطح المركب أخفيا فيه جهاز اللاّسلكي.. ويفتح سقف المكان بمفتاح خفي يستخدم بالضغط عليه أعدّه كلوزن ذلك الفتى العبقري.. كما أعدّ مفتاحًا آخر بجانب مكان جهاز اللاّسلكي.. ويتصل بكمية من المتفجرات تكفي لنسف الجهاز والسفينة.. وجميع الموجودين

على سطحها.. ولا يستخدم هذا المفتاح إلا إذا كان الجهاز مهددًا باكتشاف أمره.. وبطبيعة الحال لم يكن قائد السفينة يعلم شيئًا عن الجهاز أو المتفجرات.. وهكذا أصبح القارب كاملاً بمعداته.. وكانت خطة وجدي هي السير بالقارب في الليالي القمرية في رحلات "لصيد السمك" حيث يستطيع كلوزن أن يبعث برسائله.. كما يستطيع وجدي أن يصحب معه بعضًا من الأصدقاء لقضاء أمسيات في اللهو والتسلية وهم لا يدرون شيئًا عما يجرى داخل الكبينة.

ولأول مرة على مدى سنتين أو ثلاث لم يعد كلوزن يخشى شيئًا أو يساوره الخوف الذي كان يلازمه حول سيارات الكشف التي قد تحيط بمنزله الذي يستخدمه كمحطة للإرسال والاستقبال اللاسلكي.. فهو يستطيع الآن أن يعد رسائله من الكابينة بينما يكون وجدي على سطح المركب يقوم بتكريم أعضاء من وزارة الخارجية الفرنسية.. وأفراد من السفارات الأجنبية.

في هذا الوقت كان وجدي قد عاد إلى غطرسته وغروره القديم خالي الذهن ناعم البال.. يتناول طعامه بانتظام مع السفير مراد.. وأصبحت العلاقة بين هذين الرجلين وثيقة العرى لدرجة أن التقارير العادية التي أرسلها الملحقون إلى باريس لم تكن سوى حاشية للتقرير العام الذي يكتبه وجدي موقعًا عليه من السفير الذي أصبح يعتمد عليه كمصدر لأنباء الفرنسيين وما يجري في الدوائر السياسية والعسكرية العليا وتفسير للأحداث الجارية.

وحدث أن صدرت الأوامر بنقلي إلى وظيفة جديدة في السفارة المصرية بلندن كسكرتير ثان.. ولا أستطيع القول بأني حزنت لهذا الفراق.. ولكني شعرت بالأسف.. إذ لم أرى وجدي يلعب دوره حتى النهاية.. وعلى رصيف الميناء وجدت بضعة أصدقاء جاءوا لتوديعي وزوجتي. ومن الغريب أني وجدت وجدي من بينهم.. ولو أنه ليس من أصدقائي الأخصاء.. كان هادئًا عندما صافحني مودعًا.. ولكن عندما تحركت الباخرة لوح لي بيده وصاح "حظ سعيد.. ستكون في حاجة إليه في البلاد التي ستقصدها".

وآخر ما انطبع في ذاكرتي منه هو شخص طويل القامة بكسوته المعروفة المغضنة ظل واقفًا على الرصيف لا يتحرك حتى غادرنا الميناء.

كانت الجهود الدبلوماسية تسير بدرجة استعداد قصوى.. بل تصل إلى درجة الاشتعال في بعض الأوقات.. ليمكن سحب فتيل الحرب حتى لا تعود الحرب إلى الاشتعال مرة أخرى بين العرب وإسرائيل.. وكانت هناك نقطة أخرى خاصة بقطع البترول العربي أثناء حرب 1973م.. مما أدى لمعاناة شديدة في كافة العواصم العالمية خاصة الغربية والأمريكية، اتجهت في معظمها إلى ترشيد استهلاكها من المشتقات البترولية.. وكان يتم توزيعها بالبطاقة المخصصة لذلك.. وراح بعضها يبحث عن حلول بديلة.

ونشطت الحركة الدبلوماسية العربية من أجل الوصول لأحسن الشروط لتطهير قناة السويس وفتحها للملاحة العالمية.. وأراد الإسرائيليون أن ينتفعوا من هذا الوضع إلى مدى كبير.. فبذلوا جهودهم في الحصول على معلومات تمهد لهم هذا السبيل.. وملأت تقارير وحدة وجدي ملفات مخابراتهم.. وكانت فرصة لوجدي لتنمية اتصالاته لخدمة أطراف أخرى إنجليزية وفرنسية وأمريكية.. فعمل بين كافة الأطراف كجاسوس مزدوج وهو يوهم الآخرين بأن اتصالاته للحصول على معلومات تخص كلاً منهم على حدة.

كانت المخابرات المصرية قد اتجهت بأجهزتها المنتشرة في العواصم العالمية لحصار وجدي ووحدته.. وبدأت المعلومات تتجمع عن العمليات التي تدور بين فرنسا وإنجلترا.. وبجانب كل عملية وضعت أسماء أولئك الأشخاص الذين كانوا يعلمون شيئًا عنها سواء بصورة رسمية أو عن طريق الأصدقاء الذين لم تسجل أسماؤهم.

ومن بين هؤلاء كانت أسماء وجدي الصحفي الذي كانت رسائله الصحفية تنطوي على معلومات داخلية.. وفوكوليتش الصحفي الذي كان على علاقة

بالهيئات التنفيذية ووكالة الأنباء الفرنسية التي تشرف عليها الحكومة.. وفرانسوا الصحفي الفرنسي المحترم والمؤلف والمستشار السياسي.. وكانت هذه الأسماء مطلوبة للفحص حتى ولو لم تثر شبهات حولها.. وذلك شأنها كشأن بقية الأسماء.

أما وجدي فلم يكن يدري شيئًا عن قوائم الأسماء المعدة للفحص.. ولو علم بها لكان من المحتمل أن يوقف جميع أعماله الجاسوسية ويستغني عن أفراد مجموعته؛ وذلك لأنه من مبادئ العملاء إذا وضع اسم الجاسوس تحت أنظار الجاسوسية المضادة فما عليه إلاّ الرحيل.. ولكن بدلاً من ذلك أقام وجدي حفلة توحي بمطلق الثقة والاطمئنان وكأن الأمر لا يخصه.

ففي وقت مبكر من مساء أحد الأيام نزلت سفينة صغيرة للصيد في البحر كنزهة بحرية حول الشاطئ القريب من الضاحية المنعزلة وعلى سطحها صفت الموائد.. وقام اثنان من الخدم بتقديم المشروبات.. بينما تناول الضيوف طعامهم من المقصف المليء بالمأكولات الباردة.. وكان البحر هادئًا تنعكس على صفحته أشعة القمر الباهتة.. وقد تدلت من جانبي القارب شبكتان للصيد تسبحان بجواره.. بينما الحاضرون يتراهنون فيما بينهم على عدد الأسماك التي سوف يصطادونها.. وكان من بين الضيوف دبلوماسيون وضباط جيش وعدد من الصحفيين بالإضافة لفرانسوا وكلوزن.

وبدا أن الأسماك لم تكن لها رغبة في مشاركة الحاضرين مرحهم وسرورهم.. والسبب الذي أقيم من أجله الحفل أصبح في زوايا النسيان.. وهنا تحسس كلوزن ورقة مطوية في جيبه وشعر أن الوقت قد حان لينزل إلى قاع السفينة.. فتسلل من بين الحاضرين دون أن يلاحظه أحد.. وهبط إلى مخبئه وأغلق الباب وراءه.. وفي بضع دقائق اتصل بتل أبيب.. وبدأ في إرسال رسالته اللاسلكية التي شملت معلومات سياسية وعسكرية واقتصادية.. وبعد نصف ساعة ظهر فوق سطح

السفينة دون أن يلاحظ غيابه أحد.. ثم أرسل وجدي إشارة إلى قائد السفينة بالعودة إلى مرساها وبذلك انتهت العملية.

لم يعد كلوزن متحمسًا للقيام بأعمال الجاسوسية.. إذ إن شركة كلوزن اتسع نطاقها في سرعة ملحوظة.. وأصبحت تحقق أرباحًا طائلة.. وبدت كأنها سوف تستمر على هذا المنوال لعدة سنوات مقبلة.. وكانت تبدو من الظاهر أنها فكرة خيالية عابرة لها حظ ضئيل من النجاح.. ولكنها تحولت في الواقع إلى أحد الأعمال الرائعة التي قام بها وجدي.. وعلى ذلك بدأ كلوزن يقل اهتمامه بتل أبيب الصهيونية شيئًا فشيئًا. واتجهت عنايته إلى رصيده في البنك.. ثم لاحظ وجدي هذا التغيير وأبدى اهتمامًا كبيرًا بملابس مسز "آنا" ومجوهراتها الغالية الثمن.. وطلب من كلوزن بيانًا شاملاً بإيرادات شركة كلوزن. واعتمادات التجسس التي يكمن وراءها.. فقدم هذا بيانًا مختصرًا عن جميع ثروته دون أن يستشير أحدًا.. وكانت الأرقام موضع دهشة لوجدي.. وهو المفروض أن يكون ملمًا بكل ما يتعلق بشركة كلوزن.

ودون تردد أمر كلوزن بتوفير الاعتمادات اللازمة للوحدة بكامل أفرادها.. وقال وجدي إن هذه الأموال التي اكتسبها كلوزن جاءته عن طريق عمله من أجل الصهيونية.. فقد ساهمت تل أبيب في رأس المال الذي أقيمت به الشركة وأصبح لها مصنع لمنتجاتها.. ثم عنف كلوزن لسماحه لزوجته باستخدام أي مبلغ في شراء أشياء باهظة الثمن كالمعاطف المصنوعة من الفراء والفرو الأحمر والأبيض ووافقه على وجهة نظره من حيث الظهور بمظهر أصحاب المصانع الأثرياء.. ولكن كلوزن كان قد اشتط في تصرفاته إلى مدى بعيد.. ثم إن كلوزن الذي أصبح لا يستشير أحدًا.. احتج على ذلك في قرارة نفسه.. ولكنه لم يجد الشجاعة الكافية للوقوف في وجه رئيسه.. وكانت المهمة التي زادته كدرًا وغمًّا هي أن يعود إلى البحر ويبعث برسالة إلى تل أبيب يقول فيها بما أن الأموال

أصبحت متوافرة في باريس فليس هناك داع لإرسال نقود أخرى من جهاز الموساد.. وكان كلوزن لا يعتبر أن أرباح شركته هي ممتلكات مشتركة بينها وبين المجموعة.. ونسى تمامًا أنه إنما هو رجل مفرد في الشركة وأن المجهود الحقيقي يقوم به المديرون والفنيين الألمان الذين كانوا يعتقدون أنهم يشرفون على حركة العمل وإخراج المطبوعات الحكومية الفرنسية.

ولم يضيع وجدي وقتًا طويلاً في شعوره بالقلق حول تصرفات كلوزن.. فقد كانت أمامه مشكلة أخرى.. إذ وصل إلى باريس أحد ضباط المخابرات المصرية الموثوق بهم لدى الحكومة المصرية ليعمل ضابطًا للأمن في السفارة المصرية.. وكان هذا الضابط هو الرائد عاصم الذي كان يقظ الحواس.. وإن كان يتظاهر بالرقة والأدب والذكاء الخارق.. أما وجدي فقد عجب لأن حضوره إلى باريس يدل على أن القاهرة قد تيقظت لما يقوم به من نشاط في باريس.. ولم تكن به حاجة لأن يهتم كثيرًا.. إذ إن عاصمًا أرسل إلى باريس لأنه غير محبوب في أماكن كثيرة.. وكانت الصداقة بين السفير ووجدي وثيقة العري بحيث عين وجدي في منصب شبه رسمي يتمتع بالحصانة الدبلوماسية كرئيس لإدارة الاستعلامات بالسفارة وله مكتب بها.. فاتصل ضابط المخابرات بقيادته وطلب من الخارجية المصرية أن يستمر وجدي في عمله كمراسل لجريدته من باريس بالرغم من وظيفته الرسمية الجديدة.

ولم يكن أحد يدري لم انحصرت الشبهات التي كانت تحوم حول قائمة الأسماء التي تعرضت للفحص ممن يعملون في السفارة في اثنين هما الضابط عاصم والصحفي وجدي.. ولو كان السفير بيده كافة المعلومات السياسية والدبلوماسية فقد استنبط رجال المخابرات الفرنسية أن السفير مراد لا بد أنه يضع ثقته في مستشاريه الاثنين عاصم ووجدي.. وبالمثل كان اسم فرانسوا مدرجًا بصورة بارزة في قائمة الفرنسيين الذين يحتمل أن يكونوا على علاقة بالأسرار.

وهكذا أصبح رجال المخابرات الفرنسية أمام أمرين يجرى التأكد من البحث فيهما بين الفرنسيين والمصريين.. فقرروا أولاً متابعة المصريين حتى لا يتهموا مواطنيهم بالخيانة.. ثم يتجه بعد ذلك إلى الفرنسيين مع مراعاة عدم الإفصاح عن شكوكهم أثناء البحث والتقصي.

واستمرت جهود رجال المخابرات الفرنسية في التحري وجمع المعلومات عن الأفراد الذين تحوم حولهم الشكوك.. ولكن كانت الخيوط تنتهي إلى لا شيء.. وبدأت التوقعات تتجه إلى السفارة المصرية.. وتكاد تنحصر في وجدي وعاصم.

فقام قائد مجموعة المخابرات الفرنسية بزيارة خاطفة للسفير مراد.. وحرص أن يكون اللقاء به منفردًا.. وبعد أن تناولا معًا أقداحًا من الشاي والقهوة طلب ضابط المخابرات من السفير بعد أن أوضح له الأمر الذي جاء من أجله أن يتعاون معه في كشف غموض القضية.

وعندما سأله السفير عن أسماء الموظفين المشتبه في أمرهم.. لم يستطع أن يصرح بأسماء معينة.. وكان لذلك أثر كبير على السفير الذي وجد نفسه في موقف لا يحسد عليه.. فقد أخذ يبحث فيمن حوله من الموظفين عمن يكون مخطئًا حقًا.. وفي موقفه هذا من الصعب أن يوجه إليه اللوم لوضعه ثقته في الرجلين اللذين يشعر أنهما جديران بالثقة المطلقة وهما: عاصم ووجدي.

وأصبح السفير مراد في حالة من القلق.. فلم يقبل أن يصدق أن أحدًا من موظفي السفارة يخون بلاده أو يغدر به ـ وهو رئيسهم ـ ولم يتصور أن أحد الدبلوماسيين المصريين يكون جاسوسًا. ولصالح من ينتهجون التجسس ـ هل هي بريطانيا أم أمريكا..أم إيطاليا أو حتى إسرائيل.. ثم أزال الاحتمال الأخير من ذهنه باعتباره ضربًا من الخيال.. فإذا كانت هناك حلقة للتجسس في باريس.. فمن واجب الفرنسيين أن يحصروا بحثهم بين أبناء وطنهم. ويوجد بين هؤلاء كثيرون من مواليد أمريكا الذين أعادتهم إدارة المخابرات الأمريكية إلى وطنهم الأم.

وكان السفير وحده هو الذي يعلم بالأسرار التي كانت تزوده بها الوزارة الفرنسية والقيادة العليا عن طريق ضابط الاتصال الفرنسي. وبطبيعة الحال كان الرائد عاصم ووجدي يشاركانه في معرفة بعض تلك الأسرار.. فقد كانا فوق الشبهات.. وكان عاصم قد انتقل من دراسته في الكلية الحربية إلى مدرسة التدريب الشاق التابعة لجهاز المخابرات المصرية وتخرج فيها يحمل درجات الشرف في الغلظة وذكاء العقل والقلب.. وعلى أية حال فإن كان وجدي الخبير في الشئون الخارجية وصديقه الشخصي الذي كان يكتب التقارير وينسبها إلى السفير.. قد نال مثل هذا الثناء من القاهرة.. فقد كان السفير يعتمد عليه أكثر من عاصم.. وكانت تقاريره الصحفية تقرأ في مصر على نطاق واسع.. وجاء من القاهرة أن وجدي له أصدقاء في مناصب عليا.. وهؤلاء الأصدقاء على أهمية مراكزهم لا يؤيدون رجلاً من الخونة أو حتى أي رجل يحتمل أن يصبح خائنًا.. وعلى ذلك كان من الطبيعي أن يخبر السفير مراد كلاً من عاصم رئيس إدارة الأمن ووجدي بما أنبأه به ضابط المخابرات الفرنسية.

وعندما علم وجدي بالأمر شعر أن لسانه قد ألجم.. إذ لم يتصور كيف تمكن رئيس المخابرات المضادة أن يضيق بحال بحثه حتى حصره في السفارة المصرية.. وكان ذلك كافيًا لأن يعود أي جاسوس عاقل إلى بلاده بأسرع ما يمكن.

وقرر عاصم أن يطلب من القاهرة إجراء فحص دقيق لماضي كل موظف في السفارة المصرية.. وكان هذا طلبًا روتينيًا لا يدل على السبب الحقيقي الذي يكمن وراءه.. وطبيعي أنه لم يشمل السفير ووجدي.. وكان وراء هذا الاستثناء رجال المخابرات المصرية الذين كانوا يتابعون تحركات وجدي وبدأوا الاتصال به عن طريق حملة الرسائل لتغطيته في مقابل العمل لصالح المخابرات المصرية.

وبعد قليل وصل تحذير آخر إلى رئاسة المخابرات الفرنسية المضادة إذ أخذ جهاز الإرسال اللاسلكي السري في العمل.. واستدعى رئيس المخابرات المضادة

من فراشه.. وكان يتوقع مثل هذا النداء مرة كل أسبوع على الأقل.. وجاءته أنباء عن وحدات الكشف الجديدة بأنها تمكنت من التقاط الرسائل حتى نقطة على مسافة ساعة بالسيارة في الطريق المؤدي إلى البحر.. وعلم أن سيارات الحراسة تقترب من تلك المنطقة وتتوقع أن الجهاز مخبأ في أحد اللوريات أو السيارات.. واتضح لرئيس المخابرات أن هذا هو السبب في أن وحدات الكشف وجدت أن الرسائل تأتي من جهات مختلفة.. وقضى بقية ليلته في مقر الرئاسة ينتظر أن يأتيه نبأ نجاح الوحدات في مهمتها.. ولكن لم يحدث شيء من ذلك.. وكانت سيارات الشرطة تحمل فرقًا وتطوف بالضواحي القريبة من البحر تزعج الناس بأبواقها.. ولكن لم تصل إلى رئيس المخابرات المضادة سوى تقارير عن فئة من المسافرين الأبرياء أوقفت مركباتهما وأجرى فحصها دون نتيجة ما.. ولاحظ أن سائق إحدى السيارات كان أحد رجال الصناعة الألماني الثري.. وكلوزن الذي قضى ليلته في شاليه وجدي على شاطئ البحر وكان معه في السيارة الملحق الصحفي المصري.

بعد ذلك تنهد الكولونيل رئيس المخابرات الفرنسية وعاد إلى فراشه إذ كان على موعد مع الرائد عاصم وقت الظهر.

وكان عاصم يواظب على زيارة رئيس المخابرات الفرنسية المضادة، وأبلغه أن السفير أخبره بشأن تحقيقات الجاسوسية المضادة. وعهد إليه برئاسة المباحث داخل السفارة المصرية.. واغتبط الكولونيل الفرنسي بذلك لأنه كان يتوقع أن السفير مراد سوف يتخذ هذه الخطوة.. بعد ذلك أخبره عاصم كيف شرع في إجراءات أبحاثه.. وأشار إلى أنه من الأفضل لكل منهما أن تكون هذه المهمة مقصورة على جهودهما.. لأن الاكتشاف الناجح معناه الشرف الحقيقي للضباط الذين يلقون القبض على الجواسيس.. فقدر الكولونيل الفرنسي هذه النقطة حق قدرها.. إذ كان ينتظر هذه الفرصة لكي يسترد شيئًا من هيبته التي فقدها من

جراء غموض هذه القضية.. وأومأ برأسه موافقًا.. ثم أشار إلى أن رجليه أحدهما في السفارة المصرية والآخر ألماني ـ وجدي وكلوزن ـ كانا في ذلك الطريق في ساعة غير مألوفة.. وهنا ابتسم عاصم وقال إنه هو نفسه كان مدعوًا في الشاليه في الليلة السابقة ولكنه لم يتمكن من الحضور.. وإنه كان هناك ثلاثة آخرون يظن إنهم فرانسوا.. وهو صديق حميم لوجدي.. وفرنسي آخر هو الرسّام مينو والصحفي بوكالة الأنباء ـ فوكوليتش ـ فاقترح الكولونيل الفرنسي على عاصم أن يقدمه رسميًا لوجدي في يوم من الأيام.. ووافق عاصم ولكن لسبب ما لم يخبر الكولونيل بأن وجدي يعلم باشتباهه في وجود حلقة للتجسس.. وفي الواقع كان هذا إغفالاً غامض المعنى إلا إذا كان عاصم لم ير حاجة لتوريط وجدي في تحقيقاته الرسمية.

وفي الليلة السابقة كان وجدي يحاول جمع أفراد فرقته لإعادة تنظيمها على ضوء التحقيقات الرسمية التي تقوم بها المخابرات الفرنسية المضادة.. وكانت فرصته الوحيدة أن يقيم حفلة يدعو إليها عملاءه مع بعض القوم ممن لا صلة لهم بالأمر.. وأخبر المجموعة بنشاط الكولونيل الفرنسي ولكنه قلل من شأن الأخطار التي قد تنجم عن ذلك.. فقد كان على يقين من أن رجال المكافحة كانوا أقرب ما يكون لاكتشاف جهاز اللاّسلكي.. ولكن ليس لديهم أية فكرة عن شخصية الجاسوس أو الجواسيس ولمصلحة من يقومون بنشاطهم.. وأجرى بعض تعديلات في خط سيرهم المعتاد بأن أوقف رحلات حاملي الرسائل إلى لندن.. لأن الظروف الدولية كانت تجعل هذه الرحلات نوعًا من المخاطرة.. وكان الفرنسيون يشددون في فحص المسافرين وأمتعتهم.. فبدلاً من حملة الرسائل يمكن استخدام اللاسلكي في نقل مواد أكثر.. ثم إن تل أبيب تستطيع أن تتفق مع الدبلوماسيين القادمين إلى فرنسا لكي يلتقطوا مواد في أفلام دقيقة ومطبوعات حكومية في الحال.. فضلاً عن أنها تستطيع استخدام الملحق العسكري في السفارة الإسرائيلية ليكون صندوقًا للبريد.. وبعد أن انفض

الاجتماع أخذ كلوزن إلى سطح السفينة وأعطاه التعليمات لنقل رسائل إلى تل أبيب ينبئهم بهذه التطورات.. وكانت هذه الرسالة هي التي اعترضت سيرها وحدات الكشف وأدت إلى أرق الكولونيل الفرنسي في تلك الليلة.

بعد هذا الاجتماع بقليل أصيب كلوزن بالمرض.. وظل بضعة أيام في فراشه يشغل نفسه ويعد رسمًا بيانيًا بعدد الرسائل اللاسلكية التي بعث بها خلال السنوات الست الماضية.. وظن أن ذلك يعطي بعض فكرة عن خدماته لكل من وجدي وتل أبيب.. وربما كان يأمل ـ عندما يحين الوقت لكي ينسلخ عن الجاسوسية ـ أن استقالته سوف تكون موضع عطف نظرًا لسجله السابق.

وفي ذات مساء كان مشغولاً بعمله هذا عندما وصل طبيبه في موعد لم يكن يتوقعه.. وكان الطبيب ألمانيًا يدعى "وورتز" فقام بفحصه ثم ألقى نظره على الرسم البياني باهتمام وقال: "يجب عليك ألا تعمل وأنت مريض.. إذ يجب أن تخلد إلى الراحة.. وأنتم رجال الصناعة كلكم سواء.. تظنون أن مصانعكم ستغلق أبوابها إذا تغيبتم عنها".

ثم ألقى الرسم على أحد المقاعد وغادر المكان.. فلاحظ كلوزن أن درجة حرارته قد ارتفعت فجأة.

ولم تطل فترة مرضه.. فلما عاد إلى الظهور في النادي الألماني وجد مظروفًا باسمه وبداخله تعليمات لكي يلتقط ربطة من مكتبه ويتوجه بها إلى أحد المسارح حيث يدخله بتذكرتين كانتا من ضمن محتويات الربطة.. وفي تلك الليلة جلس مستر ومسز كلوزن في مقاعد المسرح الأولمبي حتى إذا خفتت الأنوار سلم إلى جاره لفافة تحتوي على ثمانية وثلاثين من الأفلام الدقيقة.. بينما استلم منه أخرى تحتوي على سبعين ألفًا من الدولارات.. وكانت الترتيبات قد اتخذت مع الملحق العسكري في السفارة الإسرائيلية على أن يجلس في المقعد الذي يحمل الرقم الأعلى المجاور لكلوزن.. بمعنى إنه إذا كانت تذكرتا كلوزن تحملان رقمي 29،

30 تجلس "آنا" في رقم 29 بينما يجلس زوجها في رقم 30 والملحق العسكري في رقم 31، وكانت هذه أول مرة اتصلت الفرقة بالموظفين الإسرائيليين في باريس وآخر مبلغ وصل إليها.. ثم إن مكتب الموساد اغتبط برسالة وجدي حيث يقول إن الحلقة تستطيع أن تمول نفسها من مؤسسة كلوزن.. إذ إن حلقات التجسس القائمة بذاتها هي حلم يداعب كثيرًا من الأمم.. بعد ذلك اتصلت الحلقة عدة مرات بهذا الدبلوماسي الإسرائيلي خلال الأشهر القليلة التالية وأصبح معروفًا بالاسم الحركي "كوين".

في هذا الوقت تمكن أحد أفراد الفرقة ـ على الأقل ـ من تسوية شئونه المنزلية.. وكان فوكوليتش الذي تمكن من إغراء زوجته "أوديت" على أن تطلقه قد تزوج من عشيقته "سارة" واستقرت هذه في منزله زوجة محبة وفية.. ومن بين شروط "أوديت" للموافقة على الطلاق أن يسمح لها بقطع علاقتها بالحلقة الجاسوسية وتصبح حرة في تصرفاتها.. وليس من شك أنها كانت تعلم بفرقة وجدي.. وعن طيب خاطر كانت تساعدها.. وعن طريق الفرقة كانت تساعد إسرائيل ثم إنها ترغب في الرحيل.. لا لعدم ارتياحها للصهيونية، بل لأنها لم تتحمل أن تعيش في بلد مع امرأة أخرى بجانب زوجها السابق.. وقبل أن يسمح لها بمغادرة باريس أمر وجدي بنقل رغبتها إلى تل أبيب لكي تصدر تعليماتها في هذا الشأن.. وجاءه الرد بأن يستخدم حكمته ويتصرف كما يشاء.. وكان هذا يدل على أن الموساد كان على استعداد لتأييد أي قرار لوجدي يصدره في الحال.. كما ألقى المسئولية على كاهله.

وليس في سلوك وجدي في حياته ما يوحي بأنه لم يكن سوى رجل غليظ القلب.. فلا بد أن "أوديت" أعطته ضمانًا محكمًا لكي تغريه أن يخلي سبيلها.. ومن الواضح أنها كانت تعلم بنشاط الحلقة كأي فرد منها.. ولسبب مجهول تقرر أن يصرف لها استحقاقاتها ويسمح لها بمغادرة باريس.. ثم تقابل كلوزن ذات يوم

مع "كوين" في السفارة الإسرائيلية وتسلم منه خمسة آلاف من الدولارات الأمريكية قيمة استحقاقات "أوديت".. وتوجه إلى منزل فوكوليتش حيث كانت تنتظر نقودها بناء على ترتيب سابق.. ولا بد أنها كانت تشعر بالضيق والمرارة لانتظارها في منزل كانت تديره في وقت ما.. وازداد قلقها عندما وصل كلوزن واصطحبه فوكوليتش إلى غرفة أخرى.. وبلغ إلى سمعها حديث بصوت مرتفع.. وليس هناك سجل للموضوع الذي ثار من أجله الجدال.. ولكن المؤكد أن فوكوليتش شعر بخطئه في حق زوجته وأنبه ضميره حول مستقبلها فأخذ يحتج على أن مبلغ الخمسة آلاف دولار لا يكفي لامرأة لكي تعيش بقية حياتها.. وعلى أية حال ثار كلوزن وأخذ المبلغ معه وغادر الغرفة.. ورأت أوديت أنها كما قضت اليوم في "منزل المرأة الأخرى" فما عليها الآن إلا تقضي ليلتها كذلك.

في اليوم التالي جاء وجدي بتسوية مقبولة نوعًا.. إذ أغرى السفارة الإسرائيلية على التخلي عن خمسين ألف دولار وأضاف إليها عشرة آلاف دولار ـ على أن يعوضها من شركة كلوزن ـ مضافًا إليها الخمسة آلاف دولار التي حصلت عليها في اليوم السابق.. وبعد يومين غادرت أوديت فرنسا إلى أستراليا ومعها خمسة وستون ألف دولار في حقيبة يدها.. وهي عبارة عن مكافأتها عن القيام برحلات خطيرة لنقل الرسائل بين باريس ولندن.. وودعها زوجها السابق دون أن يعطيها دولارًا واحدًا من ماله الخاص.

في نفس الليلة دعا وجدي مينو إلى كتابة مسودة لتقرير باللغة الإنجليزية عن تفصيلات شاملة خاصة بالتحركات الدبلوماسية لإنجاز مفاوضات السلام.. وكانت في الواقع أهم ضربة ألقوها في ذلك الوقت.

ووصل التقرير إلى وجدي في منزله في صباح اليوم التالي حيث ظل بقية يومه ينتظر على مضض فرصة للاجتماع بالسفير مراد على انفراد.. ولما كان يمتاز بتوخي الدقة في عمله رأى أنه رغم حصول فرانسوا على المعلومات من

مصدرين رئيسيين متتاليين فإن السفير المصري قد يقوم بمراجعة نهائية للأنباء ويكون في ذلك مرضاة لتل أبيب.. ثم إن إسرائيل كانت في انتظار معلومات من وجدي لكي يمدها بما يثبت ذلك.. وحانت الفرصة لوجدي للاجتماع بالسفير المصري بعد الظهر حيث دعاه السفير لتناول العشاء معه.. فاتصل بالنادي الألماني وترك رسالة لكلوزن بأن يكون على أهبة الاستعداد لأن يبعث برسالة لاسلكية طارئة.

وفي أثناء طعام العشاء في تلك الليلة أثار وجدي موضوع العلاقات بين إسرائيل ومصر.. وأعرب عن رغبته في معرفة أن كانت الشائعات حول قرب انتهاء توقيع اتفاق السلام بين مصر وإسرائيل لها أساس من الصحة.. فأبدى السفير ثقة تامة في وجدي.. وأفضى إليه بمعلومات كافية لإقناع الجاسوس بأن فرانسوا كان صادقًا فيما ذكره وأن المصريين يعتزمون القيام بجولة سياسية ودبلوماسية ضد إسرائيل.. ولما كان الرجل يعتقد أنه يتعامل مع أحد المصريين المخلصين فقد تصرف كأي سفير آخر في مثل تلك الظروف.

وفي أحد أيام الصيف الأولى غادرت سفينة الصيد الصغيرة مرساها واتخذت سبيلها في البحر.. وكانت حفلة الصيد التي أقامها وجدي منذ مدة طويلة على نفس السفينة قد تكللت بالنجاح ولذلك أعاد إقامتها.. وفي هذه المرة لم يكن الضيوف كلهم من البارزين.. ولكنهم كانوا نخبة أضفت على الحفل جوًا من المرح والتسلية.. كما كان المساء هادئًا تخللته بعض الرياح عندما خاضت بهم السفينة عباب الماء إلى مسافة أبعد مما اعتادوا عليه.. فأوضح لهم وجدي السبب في ذلك بأن قائد السفينة قد ضاق ذرعًا بالصيد بالقرب من الشاطئ.. وأنه ترك للرجل العجوز حرية التصرف في تلك الليلة كما أوضح لهم أن الكابينة مغلقة لإجراء بعض إصلاحات بها وأنه لا يرغب أن يلطخ ملابسهم بالطلاء الجديد وما يتخلف عنه من قاذورات.

وخلف أبواب الكبينة المغلقة كان هناك رجل اعتذر عن عدم اشتراكه في الحفلة بسبب شعوره بالتعب وميله للنوم مبكرًا ثم أخذ يعد جهازه اللاسلكي للإرسال.

وفي ذلك المساء لو زار أحد كلوزن في منزله لقابلته زوجته "آنا" وأصرت على رفضها أن تزعج زوجها أو توقظه من أول نوم هادئ له منذ أسابيع.. بينما كان راقدًا على أرض سيارة وجدي من الخلف حيث سارت به إلى السفينة في مستهل المساء.. حتى إذا جاءت أول سيارة تحمل ثلاثين من الضيوف كان كلوزن داخل الكابينة وعلى بابها المغلق إشارة تدل على "الطلاء الجديد". وهناك أدار مفتاح الجهاز بأصابعه الغليظة الماهرة.. وعلى بعد شاسع أجاب العامل المنوط في محطة تل أبيب.. بوصول إشارة النداء التي دلت كلوزن على أن يبدأ في الإرسال.. وبينما كان العامل في محطة تل أبيب يتسلم الرسالة من باريس.. كان هناك فني آخر ينقلها عبر الهواء إلى قيادة الموساد.

وفي رئاسة المخابرات الفرنسية المضادة كان الكولونيل الفرنسي قائدها يستشيط غضبًا.. إذ إن المخابرات علمت أن وحدات الكشف قد اعترضت إشارات مرسلة من منطقة قدرت مسافتها بعشرين ميلاً فوق سطح الماء.. فاتصل بالقيادة البحرية الفرنسية وطلب منها قائمة بالسفن في تلك المنطقة وجاءه الرد قصيرًا حاسمًا: "لا توجد سفن" ولم يكن هذا يدعو للدهشة لأن فرنسا لم تكن في حالة حرب وبالتالي لم يكن للقيادة البحرية إشراف على قوارب الصيد وسفن النزهة في ذلك الحين.. وعلى بعد عشرين ميلاً في البحر أرسل وجدي تعليماته إلى قائد السفينة بالعودة إلى مرساها.

بعد ذلك بوقت قصير كان كلوزن وزوجته "آنا" يجلسان في مسرح فخم ليلة افتتاح أوبرا شهيرة.. وكان "كوين" موظف بالسفارة الإسرائيلية يجلس إلى جانب كلوزن حيث تم تبادل ثلاثين لفافة من الأفلام أثناء التمثيل.. وبعد انتهاء

العرض توجه آل كلوزن إلى المنزل بعد أن أتم اتصالاً شخصيًا للوحدة في باريس بالعالم الخارجي.. فلم يبق هناك رحلات سرية لحاملي الرسائل والمواعيد كما لن يكون هناك تبادل الإشارات المعقدة مع رجال غامضين.. أو نساء مجهولات.

وكان الكولونيل الفرنسي قائد المخابرات الفرنسية المضادة قد أعاد النظر في قائمة المشتبه فيهم.. وشطب عدة أسماء من بينها اسم مينو وفي أعلى القائمة ظلت بقية الأسماء: وجدي وكلوزن وفرانسوا وفوكوليتش.. ولما كان الكولونيل على علاقة ودية مع الثلاثة الآخرين.. فقد رأى أن الوقت حان للاجتماع بوجدي فاتصل تليفونيًا بالرائد المصري بالسفارة المصرية.

وفي وقت متأخر في مساء يوم صيفي دخل وجدي إلى ملهى ليلي بعيدًا عن الأنظار يغريه شباب من الباحثين عن اللهو واللعب ولكنه يعد من الأوساط المحترمة.

وكان وجدي يحكي ما حدث قائلاً: دخلت إلى المكان وأنا أبدو كالمعتاد ببدلتي الزرقاء القديمة وبالقميص ذي الثنايا.. فرأيت السكون مخيمًا على عارضي الأزياء ونسائهم وأظن أنهم لا بد قد تعرفوا على شخصيتي وأدركوا أني لم أكن سوى وجدي.. فمن يتوقع أن يراني في ملابس كاملة حسنة الهندام؟ وبعد ذلك رأيت الرائد المصري يجلس مع أحد الضباط الفرنسيين.. وقبل أن أشترك معهما ألقيت على الرجل نظرة خاصة.. وعلى ما كان يتعاطاه من مشروب.. وذلك لأن الرائد قد حذرني أنه قد أعد هذا المساء للاجتماع بالكولونيل الفرنسي.. وهو الرجل الذي تساوره الشكوك حول أعمالي.. ولو أني ـ بطبيعة الحال ـ لم أكن أدري إلى أي حد وصلت استعلاماته عن نشاطي.. وعندما اشتركت معهما وجدت أنه مغرم بالشراب ويهتم بالنساء.. واتخذ من شهرتي عذرًا لكي يسألني أين أعثر على فتياتي المحبوبات.. ثم أخبرني أن فتاة من أجمل بنات جنسها في باريس ستقوم بالرقص في هذا الملهى.. وكانت هذه تعد أنباء بالنسبة إليّ لأني

كنت أفضل الأماكن التي تقل في مظهرها الرسمي مثل البارات.. ثم خفضت الأنوار وظهرت الفتاة.. وكان الكولونيل الفرنسي قد أعد مشاعري لاستقبال فتاة ذات جاذبية طاغية.. ولكنها كانت تخفي وجهها خلف قناع وكان قوامها عوضًا عن القناع الذي ترتديه إذ كان أبدع ما رأيته في حياتي.

وبعد انتهاء العرض غمر مشاعري نوع من حب الاستطلاع فأمطرت الكولونيل بسيل من الأسئلة عنها وأخبرني بأنها ابنة أحد أثرياء باريس ولأنها ليست ـ قطعًا ـ من نوع الفتيات اللاتي يصلحن لأمثالي.. وانطبع في ذاكرتي أن أنظر في هذا الموضوع إذ ربما كان الكولونيل مخطئا.

وعند انتهاء الحفل كان الكولونيل مقتنعًا راضيًا.. فقد عثر على نقطة الضعف لدىّ وجدي وهى حلقة ضعيفة في سلسلة الاشتباهات يمكن كسرها إذا اتضح أنها في غير محلها.. كما كان الكولونيل يدرك أن شكوكه ليست كافية.. إذ كان ينقصها الدليل.. فاستدعى الراقصة ـ وكان اسمها لومي ـ في اليوم التالي وذكّرها بتراثها القديم وواجبها نحو الوطن.. وكانت في رئاسة المخابرات المضادة في مكتب الكولونيل ثم لم تكن الراقصة في حاجة إلى من يذكّرها بذلك؛ فهي فنانة تسعد الناس ولكنها تحب وطنها قبل كل شيء.. ووافقت على القيام بأية مهمة توكل إليها.

وأعرب الكولونيل عن خطته أمامها وقال: إن وجدي ـ في رأيه ـ جاسوس مشتبه في أمره وهو إما أمريكي أو إسرائيلي.. ولم يبد أسبابًا لهذا الاعتقاد.. وإن وجدي مغرم بالنساء ومغرم جدًا بمن يتحداه ويسعى لمقاومته.. وقد رأت "لومي" وهى تؤدي رقصاتها ورغب في أن يتعرف عليها.. فما عليها إلا أن تكون خجولة ثم تتظاهر شيئًا فشيئًا بأنها خضعت لمشيئته وينبغي أن تتصل بمكافحة الجاسوسية إذا ما ظهر لها أي شيء يدعو إلى الشك ويرتبط بوجدي أو بأحد من معارفه.

وفي الأسابيع الثلاثة التالية كان وجدي يذهب كل ليلة إلى نفس الملهى ويجلس إلى نفس المنضدة ليرى لومي.. وفي كل ليلة يرسل لها باقات الزهور مع بطاقة يطلب إليها بل يرجوها أن تتناول معه العشاء أو الغداء أو بعض المشروبات في مواعيد معينة.. وكانت لومي تعيد إليه زهوره وتمزق بطاقته.. ولم يسبق لوجدي أن عاملته امرأة بهذه الصورة.. فضاق ذرعًا بعجزه عن الاستيلاء على الراقصة.. وكانت لومي ترقص في كل ليلة كما لو كانت ترقص له وحده.. ومع ذلك لم يستطع ولو مرة واحدة من رؤية وجهها المختفي خلف القناع.. وفي ذات ليلة رقصت لومي فلاحظت أن منضدة وجدي خالية.. فراعها أن تكون قد ذهبت في برودها حدًا بعيدًا.. وأسرعت إلى غرفة ملابسها لتتصل بالكولونيل بطريق التليفون حتى إذا أغلقت الباب شاهدت وجدي جالسًا على أريكة بجانب منضدة الملابس.. ولاذ كل منهما بالصمت وما هي إلا بضع لحظات حتى رفعت ذراعيها وأخذت تزيح قناعها في بطء ظاهر.. وفي اللحظة التالية مال وجدي عليها وحظي بقبلة منها.. وكما لو كان قد تم الاتفاق بينهما منذ ساعات أخبرها بأنه قد أعد العشاء في النادي الملحق به الملهى ولحقت به بعد أن بدلت ملابسها.

وقد حقق الكولونيل رئيس المخابرات الفرنسية المضادة بعض امانيه بما تذرع به من الصبر.. فقد حضر إليه رجل فرنسي طاعن في السن وذكر له قصة توحي بالخيانة العظمى.. وقال إن ابنته كانت على علاقة ودية مع رجل يدعى ريتسو كان موضع اشتباه لمدة طويلة أن يكون صهيونيًا يعمل في الخفاء.. وفي ذات ليلة في منزل الرجل العجوز أشار ريتسو إلي تغيرات كبرى سوف تحدث ووراءها نشاط بعض الأفراد الذين ينتمون إلى تنظيم سري.. عند ذاك أمر الكولونيل بوضع رقابة دائمة على ريتسو وطلب أن يعرف كل شيء عما يفعله وعن أصدقائه وعلاقاته واتصالاته.. وفي بضعة أسابيع تبين أن ثلاثة من أصدقاء

ريتسو المقربين إليه يجتمعون في أغلب الأوقات مع مينو الرسام.. فكان ذلك بمثابة صدمة للكولونيل لأنه كان قد شطب اسم مينو من قائمة المشتبه في أمرهم فأعاده إلى القائمة كما كان.

وكان هذا أسوأ نوع من سوء الطالع الذي صادف وحدة وجدي؛ إذ كانت القاعدة تنص على عدم الارتباط بالصهيونيين سواء كانوا معروفين أو مشتبهًا في أمرهم.. وقد سار أفراد الفرقة بصورة قاطعة على هذا المبدأ.. كما أن فرانسوا ومينو سارا في نطاق هذه القاعدة على قدر الإمكان في الحلقات التابعة لهما.. ولكن مساعديهم ـ وهم جواسيس غير مدربين ـ اختلطوا بأي صهيوني التقوا به.. وعلى ذلك استخدم ثلاثة من صغار معاوني مينو.. ذلك الرجل ريتسو كمصدر للمعلومات.. وكان هذا الإهمال سببًا في لفت نظر المخابرات المضادة، وكانت النتيجة الاشتباه في عضو واحد على الأقل من أفراد فرقة وجدي. وأصبح مينو تحت رقابة الجاسوسية المضادة أينما ذهب.

لم يكن وجدي قادرًا على جمع المعلومات بصورة عاجلة، وكانت الحكومة المصرية لا تزال تتابع جهدها مع الدول المحبة للسلام.. وفي هذه الفترة ركز فرانسوا بالتعاون مع مينو على جمع المعلومات الخاصة بالتحركات الدبلوماسية والصفقات السياسية التي تمثل أوراق اللعب على مائدة المفاوضات.. وفي هذا الوقت انصرف كل من كلوزن ووجدي إلى صيد الأسماك بصورة مطلقة.. يهرولان كل مساء إلى السفينة لإرسال مجموعة من الرسائل اللاسلكية عبر آلاف الأميال من البر والبحر.. وكل رسالة كانت تحتوي على أسرار حيوية جمعت من أفواه بعض الموظفين عن غير قصد، أو من صور فوتوغرافية لمستندات متنوعة من مكاتب السفارات المختلفة.. وقام بطبعها فوكوليتش الذي بدأ فجأة في رسم صورة بريئة تعليلاً لبقائه ساعات طويلة في غرفة مظلمة.. أما المطبوعات الحكومية التي كان يأتي بها كلوزن فقد صرف النظر عنها بسبب وقف الاتصال عن طريق حملة الرسائل.

وكان وجدي أثناء تحركاته بين السفارات وأعضاء السلك الدبلوماسي يوطد علاقاته وصلاته بمختلف الأطراف.. وكانت المخابرات المصرية تتابعه بدقة عن طريق مندوبيها.. وتتعامل معه كطعم في حالات كثيرة وتستفيد من ورائه في أحيان أخرى.

وقد حدث ذات ليلة أن استقبل وجدي في منزله إحدى صديقاته المقربات.. ذلك المنزل الذي مازال مثالاً للقذارة وعدم النظام حيث كان الغبار يغطي المقاعد الكسيحة.. والمناضد ملطخة بالأوساخ وكذا أرفف الكتب القديمة المستهلكة والتماثيل الصغيرة المحفور معظمها من البرونز ومجموعة من أوعية الزينة الغالية من الآثار القديمة.. وكانت هذه الصديقة تدعى "برجت".. وإذ بوجدي يفضي إليها بحيلة خيالية حيث أبلغها أن أحد الضباط الفرنسيين يرغب في مقابلتها وأن عليها أن تذهب إلى منزله.. وهناك تحاول ـ عن طريق علاقتها ـ أن تكتشف ماذا يعلم هذا الرجل عن وجدي.. فصدمت المرأة في أول الأمر عندما فطنت إلى المهمة الملقاة على عاتقها، ثم انفجرت تحتج على ذلك غاضبة.. وأخيرًا استسلمت للبكاء.. وكان وجدي قد التزم بهذه المحاولة اليائسة ليكون على يقين مما يعرفه عنه الكولونيل الفرنسي على وجه التحقيق. فأخذ طول الوقت يحدثها عن مقدار مساعدتها له إذا أوقعت رئيس المخابرات الفرنسية المضادة في شرك غرامها.. وفي أثناء حديثه كانت تحدقه بنظرة جديدة واتهمته بأنه يحاول استخدام حبها لمصلحته الشخصية.. وتلا ذلك مناقشات حادة أشار وجدي خلالها ـ مصادفة ـ إلى موضوع الجاسوسية.. وفي الحال اتهمته برجت بأنه جاسوس.. فصاح وجدي غاضبًا يقول إنها على حق في ظنها وإنه يفخر بالعمل من أجل بلاده.. وفي هدوء وهي تتوجس خائفة من الإجابة سألته: أي بلاد تقصد؟.

فحملق وجدي في وجهها وفاه بكلمة واحدة: "إسرائيل".. ولست أدري إن كان قد ورط نفسه إلى هذا الحد خلال ذلك المشهد العنيف الذي لم يعد يعيره

أدنى اهتمام.. أو أنه شعر بالأمان لعلمه بأن المرأة سوف تلزم جانب الهدوء خوفًا من الفضيحة. فكانت برجت هي المنظر السابق لظهور الوجه الثالث لوجدي.. قال لها وجدي وهو يحاورها بصوت عال: "أتظنين أني اهتم مثقال ذرة بما سوف يحدث بعد ذلك.. إنه سيان عندي من يكسب الحرب أو من يخسرها وليس هناك فرق عندي بين الحرب والسلام. وليس هناك أحد ـ كائنًا من كان ـ في أية أمة قام بمثل ما قمت به.. فكّري في الرجال من رتبة الفيلد مارشال والجنرال وهم منكبون على خطط عملياتهم يمعنون التفكير فيها ثم يصدرون أوامرهم إلى جيوشهم وهم في ميدان القتال.. ثم فكري في وجدي الرجل الذي قرر أين تقوم أعظم المعارك.. وعندما كانت السفن تغرق في أعماق البحار وتتساقط الطائرات من عليتها كنت أنا السبب في تحطيمها ودمارها.. وكذلك الأمر في وقت السلم.. فكل كسب يحققه طرف لصالحه يكون بالأساس بناء على معلومات حصلت أنا عليها واستفاد منها.. وعلى حين كانت أعظم المفاوضات تعقد ويستعرض فيها أوامر المناقشات والمباحثات وتتضرع العقول والإرادات.. كان رجل نحيف طويل القامة ترتفع أكتافه بعض الشيء.. وله وجه يتحرك كما لو كان قد صنع من المطاط. وله عينان نفاذتان يشع منهما نوع من المغناطيس.. يستضيف بعض القوم من أعظم ذوي الحيثيات في الدوائر الحكومية الفرنسية.. كان ذلك الرجل هو وجدي الذي يقيم حفلته الثالثة على سطح سفينة الصيد وقد نجحت حيلته هذه المرة تلو المرة.. فلا بد أن تنجح هذه المرة أيضًا..

وكانت هناك مذكرة سرية للوزارة الفرنسية توزع على مختلف المصالح الحكومية العليا.. وتحتوي على قرارات بالخطط المتغيرة والمختلفة في أساليب التفاوض والدبلوماسية، ومن أجل إرسال هذه المعلومات استدعى الرجال الذين تتراوح أعمارهم بين خمسة وعشرين وخمسة وثلاثين على وجه السرعة.. وكانت

الفرص القليلة التي أتيحت لوجدي كي يتحدث مع السفير مراد ـ وكان في موقف ضيق وحرج ـ في تلك الأيام.. ولكنه أيقن أن هذه الأنباء ليست حيلة من المخابرات المضادة.

وكما جرت العادة كان كلوزن في أسفل القارب مع جهازه بينما كان وجدي على السطح يمعن في تكريم ضيوفه حتى إذا دق كلوزن بأصابعه على جهاز اللاسلكي كانت الرسالة التي تبعث أملاً جديدًا في نفوس من استماتوا في المفاوضات والمناقشات قد تلقاها عامل اللاسلكي في تل أبيب.

وبينما كان قادة الموساد يعربون عن تقديرهم لدور وجدي الحاسم.. كان هو يجلس في الملهى الليلي بباريس في انتظار إحدى النساء.

كان وجدي يجلس إلى منضدته المعتادة في نادي فوجي حين خفضت الأنوار لتقوم لومي برقصتها الكلاسيكية.. وكان يشعر بنوع من القلق حول فرقته.. إذ كان يبدو له أن مينو قد اختفى منذ أسبوع تقريبًا ولم يعد يراه.. بينما فوكوليتش كان ملازمًا حدود السفارة اليوغسلافية كما لو كان يخشى أن يتجول بعيدًا عن منطقة حمايتها له.. وكان كلوزن مرغمًا على البقاء بجانب جهازه اللاسلكي فلم يبق سوى فرانسوا ووجدي يعدان الرسائل لتزويد اللاسلكي بالمعلومات بين باريس وتل أبيب.. ولم يكن وجدي في انتظار الراقصة في تلك الليلة إذ كان يجول بخاطره آخر إشارة حيوية تلك التي دلت على أن العرب سوف يلقون بثقلهم الاقتصادي من حيث المصالح المشتركة مع مختلف الدول.. في معترك السياسة.. ولغة المصالح تمتد كشبكة متقاطعة الخيوط تجمع دول الشرق والغرب.. وكان تحديد الزمان والمكان بالضبط هما الهدف التالي بالنسبة له ولفرانسوا المخلص.. فلما انتهى من شرابه طلب فاتورة الحساب.. وكانت مطوية بشكل غريب.. وكانت تلك إحدى وسائل الوحدة لنقل الرسائل التي اتفق عليها كل من فرانسوا ومينو باستخدام خدم الحانات ضمن حلقاتها الفرعية.. وألقى

وجدي نظرة على الفاتورة، ثم وضع بعض النقود على المنضدة بعد أن دسّ الورقة في جيبه.. وكانت الراقصة تراقب ما حدث.. فلما انتهت من رقصها اتصلت بالتليفون بالكولونيل الفرنسي الذي أمر الشرطة بفحص سريع كشف عن أن الخادم كان يتردد على مكاتب الصحفيين الفرنسيين.. وبنظرة سريعة في قائمة المشتبه فيهم تبين للكولونيل أن وجدي وفرانسوا من الأصدقاء المخلصين وسبق التقيا من سنوات وأن هذا الخادم في الحانة على صلة بكل منهما.. وهكذا بدأ الدليل يطل برأسه أخيرًا.

وبعد أن غادر وجدي النادي أخرج الفاتورة وحرقها في لهيب ولاعته.. وكانت الرسالة من مينو وبها أنباء لا تسر.. وهي أنه أصبح تحت المراقبة.. كما أن أعضاء آخرين من الفرقة تحت رقابة سرية.. فقرر وجدي أن المعلومات التي تتعلق بمصالح اقتصادية مقابل تمرير مساندات سياسية سوف تكون آخر ما يستطيع.

وفي اليوم التالي تناول الإفطار مع السفير كالمعتاد ثم كتب التقرير التالي للسفير على الآلة الكاتبة.. وتفضل فأضاف له كل ما عرفه عن الاجتماع الحاسم الذي عقدته الوزارة الإسرائيلية.. فقد كان يعتقد أنه مادام الخطر قد زال عن تل أبيب فلماذا لا يعلم المصريون بمقاصد إسرائيل الخفية.. ثم تناول الغداء مع كلوزن في النادي الألماني.. وأخبره أن يكون على استعداد على ظهر سفينة الصيد انتظارًا للطوارئ.. بعد ذلك حاول الاتصال بكل من فرانسوا وفوكوليتش ولكن دون جدوى.. إذ ظن فرانسوا أنه من الأفضل أن يبقى في مكتبه يزاول عمله كالمعتاد.. ومازال فوكوليتش ملازمًا للسفارة اليوغسلافية.

وذات ليلة كان وجدي يجلس إلى منضدته بجانب صالة الرقص في نادي فوجي.. وكان على موعد مع الراقصة لومي لكي تلحق به.. وبينما كانت تؤدي رقصاتها قرر أن يضع حدًا لهذا الانتظار وأن يصحبها معه إلى مسكنه في الشاليه.. وفي أثناء الظلمة الخفيفة توجه عدة أشخاص إلى المطعم وكانوا يحتكون

بمنضدة وجدي أثناء سيرهم.. وإذا بكرة من الورق تسقط على فضاء المنضدة فوضع يده عليها ليخفيها عن الأنظار ثم تطلع فرأى رجلاً يوليه ظهره وكان مينو ففض الكرة وبعد أن ألقى نظرة على الورقة طواها ووضعها في جيبه.. وكانت لومي تنظر نحو وجدي في اللحظة التي سقطت فيها الكرة على منضدته.. فبادرت بالاتجاه نحوه وهي ترقص حتى صارت قريبة منه بقصد أن يقع النور الكشاف على المنضدة أثناء قراءته الرسالة.. ثم عملت على تعجيل الموسيقى المصاحبة للرقص لكي تنتهي بأسرع من المألوف وتصل إلى التليفون قبل مجيء وجدي إلى غرفة ملابسها.. ولكنها تأخرت أكثر مما ينبغي فلما فتحت باب الحجرة كان هو أسرع منها فقد وجدته واقفًا وعلى ثغرة ابتسامة .. وقال إنه في هذه الليلة سوف تتغير خطتنا وتأتين معي إلى الشاليه لإعداد شيء من الطعام وشرب بعض النبيذ.. وكان هذا آخر تطور تتوقعه لومي ولكنها وافقت.. إذ لم تستطع أن تفكر في أي وسيلة أخرى تحول بينه وبين تمزيق الورقة التي معه.. وظنت أنه من المحتمل أن تعثر على أي تليفون لتحذر الكولونيل الفرنسي ثم تحاول الحصول على الورقة فيما بعد.. وفي نفس الوقت لم تجرؤ على ترك وجدي وحيدًا لئلاً يتمكن من تمزيق الورقة أو إحراقها أثناء غيابها.. وبهذه المشكلة التي احتلت ذهنها سمحت له بالبقاء في غرفتها أثناء تغييرها ملابسها وبعد ذلك غادرا النادي واستقلا سيارته القديمة.. وأسرع وجدي بسيارته خلال ضواحي المدينة حتى جاء إلى منطقة ريفية حيث أوقف السيارة واحتضن الراقصة بين ذراعية وأخذ يطارحها الغرام.. وبعد برهة اخرج سيجارة من علبة مطبقة الجوانب وحاول أن يشعلها.. وراقبته لومي وهو يشعل ولاعته على اعتقاد إنه سوف يحرق قصاصة الورق الحيوية في لهيبها.. ولكن الولاعة لم تشتعل.. فتميز وجدي غيظًا إذ استشعر إحساسًا غير طيب ويبتعد به عن التفاؤل فقد أخذته الظنون بأن نجمه إلى أفول.. مما كان منه إلا أن ألقى بالسجائر من النافذة وأعاد

الولاّعة إلى جيبه.. ثم أخرج لفة الورق الصغيرة.. ودون أن يلفظ بكلمة.. وبينما كانت الراقصة تنظر إلى الفضاء مزق الورقة قطعًا صغيرة وألقى بها وراء السجائر خارج السيارة.

وانطلق وجدي بسيارته بينما كانت لومي في حيرة من أمرها.. ماذا تصنع.. حتى إذا وصلا إلى كشك للتليفون طلبت منه أن يوقف السيارة ريثما تتصل بعائلتها لتنبئهم بألا يقلقوا عليها لغيابها حيث إنها ستعود إلى المنزل في اليوم التالي.. وكانت تتسم بمظاهر الهدوء والجد عندما استأنف الانطلاق بسيارته.. ومن المدهش أنه بعد تلك السنين من الجاسوسية التي أنهكت أعصابه لم تكن لديه حاسة سادسة تحذره من تلك الفتاة التي اتصلت بكولونيل المخابرات الفرنسية بسرعة مذهلة وأخبرته بالمكان على وجه التقريب الذي يمكن أن يعثر فيه على قصاصات الورقة الممزقة.

وفي الشاليه أرشدها وجدي إلى مكان الطعام وطلب منها أن تعده ريثما يتوجه لبعض شأنه.. ثم اتخذ سبيله عبر الشاطئ إلى قارب صغير حيث أخذ يجدف إلى سفينة الصيد. وكان كلوزن في انتظاره هناك.. فأخبره وجدي بما قر رأيه عليه.. وأملى عليه الرسالة.. ثم أوضح كلوزن ـ وكان في حالة اضطراب ـ كيف وصلت إليه تلك الرسالة.. لقد كان مينو الذي أصبح تحت مراقبة الجاسوسية المضادة ليلاً ونهارًا هو الذي ألقى الضربة الأخيرة.. ثم أملى على كلوزن رسالة ثانية يقول فيها إن الوحدة قد اكتشف أمرها على وجه التقريب.. وإنه أصدر تعليماته لكل فرد منها أن يؤدي عمله منفردًا خوفًا من الاعتقال.. وكان هذه هي النهاية ووداعًا إلى باريس.. وقد يتلاقون مرة أخرى في تل أبيب حيث يحتفلون بما حققوه من انتصارات.. وتصافح الجاسوسان اللذان اشتركا في العمل بإخلاص طيلة سنوات ثم تركه وجدي ليبعث برسائله ثم بعد ذلك يقوم بنسف السفينة.. وهبط كلوزن إلى كابينته.. ولكن بمجرد أن اختفي وجدي صعد ثانية

إلى السطح وأيقظ قائد السفينة الفرنسي.. وبعد أن تبادلا حديثًا وديًا أعطاه كلوزن شيئًا من المال.. ولم يطاوعه ضميره على نسف المركب وحذر الرجل أن يأخذها إلى مكان بعيد.. ويبقى هناك في منأى عن باريس.. وأنه إذا لم يفعل كما أمره فسوف يكون عرضه للمتاعب.. فأدرك الرجل مغزى كلامه.. وبينما كان كلوزن يقود سيارته متجهًا نحو باريس لكي يحزم حقائبه ومتاعه ويغادر فرنسا ومعه من المال بقدر ما يستطيع جمعه.. كانت السفينة تبحر بعد أن رفعت مرساها وبدأت تشق عباب البحر.

وتأخر كلوزن أكثر من اللازم.. إذ إن الكولونيل الفرنسي بعد أن تسلم المكالمة التليفونية قرر أن يبدأ في التنفيذ فقد حانت اللحظة الحاسمة.. وبدلاً من الانتحار الرسمي سوف يكون موضع تكريم ويتلقى التهاني.. فلما توقف كلوزن بسيارته خارج المنزل وجد رجال الشرطة في انتظاره.. وكان فوكوليتش قد سحب من فراشه.. وأما فرانسوا فقد كان جالسًا القرفصاء يرتدي أفخر الثياب عندما أقبل المخبرون لإلقاء القبض عليه.. وحاول مينو أن يطعن نفسه لينتحر عندما سمع طرقات رجال الشرطة على بابه.. ولكنهم أسرعوا به إلى المستشفى حيث أسعف بالعلاج.

وعندما طلعت الشمس بأشعتها الباهتة فجر اليوم التالي وكان الجو رطبًا باردًا استيقظ وجدي في حالة من القلق والاضطراب وأفرغ لنفسه قدحًا من الشراب وإذا بطرقات عنيفة على باب الشاليه. فلما فتح الباب دخل منه الكولونيل الفرنسي وبرفقته رجلان.. ودون أن ينبس بكلمة قدم إليه رئيس المخابرات المضادة ورقة وقد لصقت عليها أجزاء الرسالة الممزقة التي ألقى بها من سيارته في الليلة السابقة وكانت الرسالة محررة باللغة الإنجليزية.. وهنا رفع وجدي كأسه محييًا خصمه وشرب نخبه.. فأومأ الكولونيل برأسه تحية له.. ودون أن يلقي نظرة على المرأة التي غدرت به خرج وجدي إلى ضوء النهار محاطًا بالضباط الثلاثة.. وبالرغم من فشله وهزيمته كان يشعر بالانتصار إذ إن رسالته الحيوية الأخيرة قد أرسلت إلى تل أبيب.

وفي ظهر ذلك اليوم ـ اليوم الذي لم يكن يتوقعه أحد ـ جاءت إلى السفير مراد رسالة قصيرة موقعًا عليها من وزير الحربية بأن اثنين من المدنيين الأجانب أحدهما مصري والآخر ألماني ـ وجدي وكلوزن ـ قد اعتقلا بناء على اتهامهما بالجاسوسية.. وأرسلت مذكرة مماثلة عن فوكوليتش إلى السفارة اليوغسلافية.

وكان رد فعل الصدمة التي لحقت بالسفير مراد واللواء عاصم على أثر اعتقال وجدي شديدًا جعلهما يتصرفان في شيء من الذهول فقد مضى ما يقرب من ثلاثة أشهر قبل أن يدركا أنهما سوف يتورطان في الأمر الذي قد يؤدي إلى إعادتهما إلى القاهرة.. وبطريقة خاصة حاول السفير أن يغري وزارة الخارجية الفرنسية ووزارة الحربية على السماح له بمقابلة وجدي.. إذ كان يعتقد أنه إذا اتصل بصديقه فقد يستطيع تسوية الموضوع ويثبت أنه كان خطأ فاحشًا ليس إلا.. وكذلك حاول اللواء عاصم بنفس المحاولة مع الكولونيل الفرنسي.. ولكن كان نصيبهما الرفض بصورة رقيقة. وكغطاء لهما شخصيًا وبصورة رسمية أرسلا تقريرين إلى القاهرة يقللان من شأن علاقتهما بوجدي.. واتخذا نفس الشيء بالنسبة للحكومة الفرنسية.

كان أول من تصدع مينو.. ذلك الفرنسي ضعيف الإرادة المصاب بداء السل والذي كان على يقين من حيل الشرطة الفرنسية.. وقد انهار بعد أن أمضى شهرين معذب الذهن.. وبعد أن اضمحل جسمه بفعل المرض والجرح الذي نتج عن محاولته معاقبة نفسه به ثم مداعبة الحراس له بعصيهم الغليظة.. شرح الدور الذي قام به في حلقة وجدي واتهم الكثيرين من صغار مساعديه في الحلقة التابعة له.. وفي ثورة من الغيرة والحقد أمر الكولونيل بإلقاء القبض على كل شخص يدعى مينو وعلى جميع أصدقائهم وأقاربهم وفي وقت قصير كان هناك ما يزيد على مائة من المشتبه في أمرهم من أفراد الحلقة وراء القضبان.

ولم يستطع مينو أن يقول شيئًا يقنع به الكولونيل الفرنسي بأنه لم يكن يعرف غالبية هؤلاء الأفراد سيئي الحظ.. وقد ألقت الأسباب التي أبداها مينو الضوء على أسباب اعتناقه لمبادئ الصهيونية خاصة عندما هاجر إلى كاليفورنيا في ذروة الحماس للصهيونية ووجد كثيرًا من مواطنيه في لوس أنجلوس مطمئنين إلى مبادئ الصهيونية ويخططون للهجرة إلى إسرائيل.. ودفعه ذلك إلى دراسة الصهيونية والعمل من أجلها.. وكان انضمامه إلى وحدة وجدي من هذا السبيل. وأما كلوزن عضو الوحدة.. ذلك الرجل البدين الجاف المظهر فسرعان ما أذعن تحت ضغط الاستجواب وتحدث عن أول مقابلة له مع وجدي وأنها كانت في لندن وعن استدعائه للعمل مع وجدي في باريس كعامل فني لاسلكي.. وشرح كيف كان ينقل الجهاز من منزل إلى منزل بصورة دائمة ثم فكرة وجدي في ضرورة وضع المعدات اللاسلكية في سفينة صيد.. وعلى الفور أصدر الكولونيل الفرنسي أمرًا بمصادرة السفينة وقائدها وإحضارها إلى باريس.. ولكنه لم يقف لهما على أثر.

ومما زاد في دهشة من تولوا استجوابه إفصاحه عن عدد الرسائل التي قام بإرسالها.. وقد بلغت جملة ما أرسله وجدي في تلك الفترة ستين ألف كلمة.. وكان رجال الجاسوسية المضادة يصغون إلى هذه البيانات في شيء من الذهول.. فقد تمكنوا من اعتراض أجزاء بسيطة لا تدل على جملة ما أرسل.. وبدءوا ينظرون لأفراد الوحدة بعين الاحترام.. وقد صرح بأنه ظل مخلصًا بجانب وجدي سنوات عديدة يمارس الجاسوسية كفني لاسلكي في لندن أولاً ثم باريس ثانيًا.. وقد كان مستاء من غرور وجدي واستخدامه سلطته عليه وهو الرجل الفني الوحيد في الحلقة.. ولم يكن جاسوسًا بالمعنى المفهوم من حيث جمع المعلومات.. وقد اتهم وجدي بالجبن والاهتمام فقط بمصلحته واختلاس المال وتبذيره بإسراف.. وبوجه عام فقد اتّهم وجدي بسوء الخلق.. ومع ذلك لم يبد على وجدي

مظاهر الخوف في وقت ما.. وكان يواجه الخطر بصدر رحب وكان كريمًا في معاملته لأوديت زوجة فوكوليتش.

ومن الواضح يقينًا أن كلوزن كان أول فرد من الحلقة يتهم زملاءه الأربعة.. إذ كان مينو يتناول أفراد الحلقة التابعة له فقط. ورد فوكوليتش على مستجوبيه كضابط في الجيش رابط الجأش لا تلين له قناة وكزميل مخلص لرفاقه.. وقاسى ألوانًا من العذاب والوحشية والقسوة أثناء سجنه ولكنه رفض أن يذكر شيئًا مطلقًا عن نفسه أو عن أي أحد من زملائه.

وقد قال وجدي عن فوكوليتش فيما بعد: "جاء فوكوليتش إلى باريس للغرض العاجل بأن يكون عضوًا في مخابراتي.. وفي الوقت نفسه كان مراسلاً ـ مثلي ـ للصحف كستار لنشاطه الجاسوسي.. وعندما وجدت في مهمتي الصحفية شيئًا من التعب.. إذ كان عملي ينحصر في إطار المخابرات.. بذل فوكوليتش ما في وسعه لجمع المعلومات.. وأعاد على سمعي كل شيء يعرفه دون أي معنى للتفرقة تاركًا لي تقدير كل شيء".

أثار اعتقال فرانسوا جوًّا من الارتباك في محيط الحكومة الفرنسية.. لأن الوزراء جميعًا كانوا يعلمون بعلاقات فرانسوا بالحكومة ورجالها وطبيعة المستندات التي كان يتداولها.. وأخذ هذا يحث المخابرات الفرنسية المضادة وإدارة الشرطة على الانتهاء من أبحاثها للتخلص من وحدة وجدي وإزاحتها من وجه فرنسا التي أصبحت تشعر بالحرج وذلك في أقرب وقت ممكن.. ولكن الكولونيل الفرنسي وسلطات الشرطة لم يسبق أن صادفتهم مهمة شاقة كهذه.. ولذلك لم يكن التقدم في سير الإجراءات بالسرعة المطلوبة.. وتحدث كثير من صغار المعتقلين في شيء من الحرية.. بينما كان الكولونيل يحاول جمع أجزاء الصورة الواسعة المدى التي تبين أوجه النشاط في الوحدة.

بدأت المحاكمات في أواخر الربيع وكانت الشبهات قد أعيد بحثها وصلت إلى أربعين شخصًا.. أطلق سراح ثلاثة وعشرين منهم برأي الكولونيل الفرنسي.. إذ كان السبعة عشر الباقون هم الشخصيات الهامة في منظمة الجاسوسية الأجنبية الوحيدة التي نجحت في ممارسة نشاطها في فرنسا.

وكان مينو مريضًا جدًا لدرجة لم يستطع حضور المحاكمة.. إذ كان لا يستطيع الوقوف على قديمه بسبب إصابته بالجرح وما يعانيه من مرض السل ووضع في مستشفى سجن باريس معتقلاً لأجل غير مسمى. أما فوكوليتش فقد ظهر في قفص الاتهام بقامته المعتدلة يلوذ بالصمت. وأكد صحة اسمه ووظيفته ولكنه رفض الإجابة عن أية أسئلة أخرى.. ثم قدم المدعي العام قائمة بالاتهامات وتوسل إليه القضاة أن يدلي بكلمة دفاعًا عن نفسه.. ولكنه لم يفعل.. وتأجلت المحاكمة لمدة أسبوع تقريبًا حيث كان يزوره في زنزانته الحراس ليلاً ونهارًا يعربون عن رغبتهم في مساعدته لكي يتوب ويندم على ما صنعت يداه.. ولكنهم فشلوا.. وجيء به أمام المحكمة في اليوم السادس من جلسته حيث نطق بكلمتين "نعم" عندما ذكر له اسمه، و"نعم" تصديقًا على وظيفته القانونية في باريس.. ثم حكم عليه بالسجن مدى الحياة.

وتحدث كلوزن في حرية مطلقة.. فألصق التهمة بوجدي وفرانسوا وفوكوليتش ومينو.. ثم أدلى بتفصيلات رحلات زوجته ـ زوجة فوكوليتش ـ لنقل الرسائل.. وارتسمت على وجهه ابتسامة مشرقة عندما تحدث المدعي العام عما أبداه من روح التعاون وأوصى بطلب الرأفة.. وكان الحكم هو السجن مدى الحياة.

وكان أكبر عضد لفرانسوا في تجسسه هو أنه كان يعتبر أنه يشكل أسلوبًا لعالم ينال فيه الفرد الشرف بعد موته.. ولذلك لم يبال بالنتائج التي تترتب على اعتقاله.. وكان يعتقد أن أسوأ الأمور لن تكون سوى الموت.

وأخذ وجدي المسئولية الكاملة على عاتقه من حيث أعمال زملائه الجواسيس.. وفي جميع ما أدلى به لم يكن هناك ما يدل على إنه كان يفعل العكس أو يحاول أن يخفي شيئًا.. وعلى أية حال فقد كان الوجه الثالث لرئيس الجواسيس معبرًا عن وجدي الحقيقي.. وقف أمام المحكمة يسوده الغرور والاستياء من وجوده في مثل هذا المكان ويقول الذين حضروا محاكمته أنه كان يتوقع الاحترام وشيئًا كثيرًا من الإعجاب.. لأنه عمل لصالح كل الأطراف الذين تعامل معهم، وأعطاهم وأخذ منهم وأفادهم وأضر بهم في نفس الوقت دون أن يظهر لأحدهم أنه ضده في يوم من الأيام، حتى إنه استفاد من الغطاء الدبلوماسي كوقاية له لآخر وقت.. كما كان من دواعي إعجابه بنفسه وغروره إشرافه الشخصي على أفراد الحلقة وذكر واجبات كل فرد منهم في شيء من التفصيل قائلاً: "احتفظت بحقي في وضع الأفراد. كل منهم يقوم بمهمة خاصة.. حتى إذا تسلمت منهم التقارير قمت بتحرير تقرير شامل وأرسلته إلى تل أبيب.. ولم يكن سوى كلوزن يعلم بمحتويات التقرير لأنه بوصفه عامل اللاسلكي.. كان يعلم تفصيلات الشفرة".

وأجلت المحكمة النطق بالحكم في قضيتي وجدي وفرانسوا إلى أجل غير مسمى.. مما كان مناسبًا للكولونيل الفرنسي.. فقد كان عليه بعد إثبات إدانة الجواسيس أن يعمل على الوصول إلى جذور المتورطات السياسية والدولية التي سببتها وحدة وجدي.. إذ كان من الضروري الاعتراف بقيمة الجاسوسية المضادة.. وقد يصادفه مرة أخرى رجال من أمثال وجدي.

بعد انتهاء المحاكمات وافقت السلطات الفرنسية على التصريح للسفير المصري بمقابلة وجدي.. بناء على الطلب الذي سبق أن قدمه.. ولكنه ـ في ذلك الوقت ـ كان قد علم أن صديقه الحميم لم يكن إلاّ جاسوسًا.. وأسوأ من ذلك إنه تأكد أن وجدي قد استخرج منه أسرارًا أضرت بموقف مصر في بعض

الأحيان وإن كان لا ينكر إنه ـ أي وجدي ـ قد أفاده بتقارير كثيرة لعبت دورًا جيدًا في مساندة مصر ودعمها.. ثم حاول أن يقلل من شأن ارتباطه بالموضوع كله بإرسال تقريرات رسمية محكمة الصيغة إلى القاهرة التي وصلت إليها تقرير مفصل آخر بإمضاء موظف آخر في السفارة أرسله بالشفرة.. وكان هذا الموظف على ثقة من صداقة وجدي مع السفير مراد.. فجمع كل معلوماته عن هذا الأمر في ملف خاص ولم يترك شيئًا مطلقًا.

وصرح الفرنسيون لعدد من الصحفيين من أصدقاء وجدي لزيارته فكان يفخر أمامهم بأنه لن ينفذ فيه حكم الإعدام، وأعلن أنه قد أفاد أطرافًا عديدة ويتوقع أن يعمل بعضهم على الإفراج عنه وكان يعتقد أنه من الممكن أن يستبدل بأحد المعتقلين السياسيين.

وبعد مضي سنتين من اعتقال وجدي وفرانسوا حكم عليهما بالإعدام لكنهما استأنفا الحكم.. واختار وجدي أن يتكلم دفاعًا عن نفسه وعن فرانسوا.. وقد لخص وجدي مناقشته في أن تقرير الاتهام لم ينطو على تقرير كاف لأوجه نشاطنا أو طبيعة المعلومات التي حصلوا عليها.. إذ إن المعلومات التي أدلى بها فوكوليتش لم تكن سرية أو ذات أهمية.. ويمكن القول إن المعلومات التي حصل عليها مينو وفرانسوا كان معظمها يتعلق بالسياسة.. كما أن مصدر معلوماتي كان السفارة المصرية حيث كنت أحصل عليها رضى واختيارًا.. ولم ألجأ لاستخدام القوة أو وسائل الخداع.. فقد طلب مني السفير مراد أن أساعده في كتابة تقاريره.. وحصلت من مذكراته الشخصية على معلومات أعتبر أن الحكومة الفرنسية كانت تتوقع تسربها إلى الخارج بسبب اطلاع السفارة المصرية عليها.

وبالطبع كان هذا دفاعًا هزيلاً.. ولكنه ربما كان الاعتذار الوحيد الذي استطاع التعلل به.. وكان متناقضًا مع الأدلة السابقة التي أثبتت أنه استخدم الغش

والخداع.. ولم يذكر في الاتهامات الموجهة له أنه استخدم القوة في تحقيق مآربه.. بل ذكرت أنه في أغلب الأوقات كان يأخذ الكاميرا معه عند توجهه إلى السفارة المصرية كما كان يفعل ذلك فرانسوا في مكاتب الوزارة.

أصبحا بعد ذلك يشعران بالعذاب وتشتت أفكارهما إذ لم يعلنا بموعد تنفيذ الحكم.. ومرت الأيام وتلتها الأسابيع ثم الشهور ومازالا في أشد الآلام وهما في انتظار اليوم الذي يسمعان فيه جلجلة المفاتيح في باب الزنزانة.. ثم حاول الصحفيون المصريون زيارة وجدي.. ولكن طلباتهم قوبلت بالرفض.. فقدموا احتجاجاتهم إلى رئيس السجن الذي أجاب بأن السجين يدعى أنه مواطن إسرائيلي ووقع على بيان يثبت أنه تخلى عن حقوقه المدنية في مصر.. ونحن لا نسمح للدبلوماسيين المصريين بزيارة أحد رعايا إسرائيل.

وهناك قليل من الشك يدور حول أن شيئًا ما حدث داخل السجن مما حرض وجدي على تقديم هذا الادعاء.. وكان المصريون يظنون أنه من المحتمل أن وجدي كان يأمل في خداع منفذي الحكم بشأن عدم رغبة فرنسا في الإقدام على أية حركة قد تغضب إسرائيل.. أغرب من هذا الرعاية والعناية بالسجين وراء جدران السجن.. إذ أرسل له أيضًا ترزيًا لإعداد ملابس جديدة لوجدي فضلاً عن ملابس داخلية جديدة أيضًا وحذاء وجوارب جديدة.. بعد ذلك بأسابيع أخرى ظل السجن يسوده السكون.

في نفس الوقت رفضت استئنافات أخرى قدمها وجدي وزميله وأصبح كل منهما محكومًا عليه بالإعدام.. ولكن القضاة تلكئوا بعض الشيء لإتاحة الفرصة لتقديم إيضاحات بريئة عما اقترفت أيديهم.. وأرادوا ألا يتيحوا مجالاً للانتقاد فيما يتعلق بالأحكام التي أصدروها.

وأما فرانسوا فقد قضى طيلة أيامه الأخيرة اليائسة في تحرير خطابات إلى زوجته.. وكانت رسائل رقيقة عاطفية تتضمن ما يضمر من آراء سرية.. وتهدئة

لمشاعرها وما هي فيه من حزن وكرب.. وكانت محررة بأسلوب جميل.. ونشرت في كتاب نال رواجًا كبيرًا بعنوان "الحب يشبه النجم الهابط".

ذات صباح استيقظ فرانسوا واغتسل في حوض بدائي.. فقد مضى عليه في زنزانته هذه 1099 يومًا ولم يكن هناك سبب مختلف لكي يختلف اليوم المائة بعد الألف عما سبقه من أيام.. فقد جلس على الأرض وبدأ يكتب خطابه اليومي إلى زوجته حتى إذا أوشك على الانتهاء منه.. إذا به يسمع وقع أقدام في الردهة الخارجية وصوت مفاتيح تدور في قفل الزنزانة.. ثم فتح الباب ووقف حاكم السجن في مدخل الزنزانة وهو يحدق النظر في وجه فرانسوا.. فلم ينبس فرانسوا بكلمة وراح يغير ملابسه في عناية تامة ويستبدلها بالملابس المنزلية النظيفة التي أعدها لهذه اللحظة الرسمية ثم تبين نتيجة اليوم وطوى خطابه على المنضدة وكتب عليه عنوان زوجته.. وعندما حول وجهه نحو قائد السجن كان يبدو هادئًا مطمئنًا على استعداد لملاقاة الموت في سبيل رؤسائه الذين لم يسبق أن رأى وجوههم.. وسار بين صفين من الحراس في موكب بقيادة قائد السجن والقس عبر مساحة السجن إلى مبنى محكم حيث غرفة الإعدام تختفي وراء جدرانه العالية.. ثم فتح القِسُّ له بابًا حيث كنيسة ملحقة بالسجن واستقبله عالم أول درجات الآخرة وسأله عن وصيته ومن يريد أن يعلمه بنبأ موته.. وراح يباركه بوصاياه ودعواته وطالب المغفرة من الله.

ثم وقف وفرانسوا وأشار أنه على استعداد للمشنقة.. فقاده الحراس إلى باب يؤدي إلى غرفة كبيرة لا نوافذ فيها وحول المشنقة كان يقف قضاة المحكمة العليا ومحامي فرانسوا والجلاد والموظفون المكلفون بمشاهدة تنفيذ أحكام الإعدام.. ثم وقف القائد في المكان المعد له.. واقتاد الحراس فرانسوا على مربع مخطوط فوق الأرض تحت حبل المشنقة.. وأنزلت الأنشوطة فوق رأسه حيث أحكمها الجلاد حول عنقه.. فأخذ فرانسوا يتطلع إلى المربع تحت قدميه.. وبينما كان رأسه منحنيًا

كما لو كان يؤدي صلاة فتح غطاء المربع.. وهكذا أعلنت وفاة فرانسوا في الساعة التاسعة والنصف صباحًا.. ذلك الفرنسي اللامع الذي تحول إلى خائن وجاسوس.

أما وجدي فقد كان جالسًا فوق فراشه بين جدران السجن وراح يتعجب من تطور الأحداث بهذه السرعة ويعجب أكثر لوقوعه في أسر الخديعة مرتين.. مرة حين خدعته "لومي" وأوقعته في الفخ.. وكان الثمن نهاية نشاط الوحدة ونهاية حياته.. وكانت المرة السابقة عليها حين وصلته معلومات خادعة عن تحركات المصريين على قناة السويس وتحركاتهم الدبلوماسية حول العالم بما يوحي بانعدام نية الحرب.. وكان تصديقه لهذا الأمر وراء بث الاطمئنان في رسائله إلى تل أبيب.. وفجأة انقلبت المعايير وتحول الأمر من النقيض إلى النقيض واشتعل الموقف بدون مقدمات وفي وضح النهار.

لقد تذكر هذا الموقف الذي اجتمعت خيوطه في ذهنه الآن.. فقد ظن عندما بلغته تشكيلات القوات المسلحة المصرية في أوائل شهر أكتوبر أنها لا تعدو أن تكون المناورات السنوية المعروفة التي تقوم بها القوات المسلحة في مثل هذه الوقت من كل عام ـ ولكنها أسفرت عن خطة جهنمية.. إذ كانت تتحرك ثلاث كتائب في الصباح في اتجاه الشرق.. تعود منها في المساء كتيبة إلى الغرب بينما تبقى اثنتان خلف الساتر الرملي بالقرب من الممر المائي.. وفي الليل كان يتم تحريك المدافع الثقيلة والمعدات الثقيلة لكي يتم دفنها في الرمال أو إخفاؤها بوسائل أخرى.. وكانت هذه المناورات تدريبات على التعبئة الشاملة.

كما نشرت الصحف حينئذ معلومات توحي بالاسترخاء العسكري.. إذ نشرت الصحف إنه قد تقرر فتح الباب أمام الضباط الراغبين في أداء العمرة بمكة المكرمة في رمضان ثم نشر في الثالث من أكتوبر أنه تم تسريح 2000 من جنود الاحتياط.. وفي السادس من أكتوبر كان عدة وزراء خارج البلاد في مهمة

رسمية.. منهم وزير الاقتصاد الذي كان في لندن.. ووزير التجارة الذي كان في أسبانيا.. ووزير الإعلام وكان في ليبيا والقائم بأعمال وزارة الخارجية وكان في فيينا.. وقد سبق الهجوم الفعلي على جبهة قناة السويس عدد من المشاهد التي تبث الطمأنينة في نفوس الجنود المراقبين للجبهة من الجانب الإسرائيلي مما جعلهم يتثبتون من صحة ما أرسلته من بيانات ومعلومات.. لقد شاهدوا الجنود المصريين يمارسون أنشطة وقت الفراغ.. فبعضهم يصيدون السمك وبعضهم يمارسون السباحة وبعضهم يستلقون في استرخاء على حفاة الماء.. بينما بعض القادة أخذوا يتجولون فوق قمة الجبل الرملي يتفقدون الأرض التي سيقتحمونها بعد قليل ويلقون نظرة وهم يدخنون ويضحكون ويتناولون القهوة.. بينما الجندي الإسرائيلي في برج المراقبة على ارتفاع 60 قدمًا لا يعيرهم التفاتًا.. وبعد وقت قصير أطلق عليه أحد القناصة المصريين النار فأرداه قتيلاً.. وفي التوقيت المحدد اختفت ملامح الاسترخاء وبدأت هجمات الطيران المصرية. وقطع عليه حبل تأملاته وأخرج من عالمه عندما فتح عليه باب الزنزانة ودخل منه القائد الخاص بالسجن وبصحبته شيخ الجامع الإسلامي.. وبعد توجيه عدد من الأسئلة له عن الاسم والعمر والإقامة، ألقى عليه نص الحكم بأن وزير العدل يبلغه بأن حكم الإعدام سوف ينفذ فيه اليوم.. وهنا سرح وجدي مرة أخرى فقد كان يتوقع أنه سيأتيه حتمًا من ينقذه من الإعدام من بين السادة الذين خدمهم.. وأفاق على صوت القائد وهو يعرض عليه إنه سيتركه بعض الوقت ريثما وصيته أو خطابًا أخير أو يكتب شيئًا.. وكان جواب وجدي: "ولماذا ضياع الوقت؟".. ولو أنه لم يكن يبدو عليه أثر انفعالاً إلا أنه لابد كان يشعر بالغضب والخجل من معاملة رؤسائه في تل أبيب من حيث اعتباره كأي جاسوس عادي.. فقد كان على يقين ـ لآخر لحظة ـ إن الإسرائيليين سوف يطالبون به في مقابل جاسوس فرنسي آخر بطريق التبادل.. وعندئذ يمكن أن يتبادل مع مصر في مقابل جاسوس إسرائيلي آخر.. وكان يبدو كزائر أكثر منه

رجلاً محكومًا عليه بالإعدام وهو يسير في ردهة السجن.. وكان يرتدي كسوته المفصلة حديثًا وقميصًا أبيض لامعًا مع جوربه وحذائه الجديد.. ثم صحبه الشيخ الذي أخذ يعظه ويوصيه وطلب منه أن يتوضأ ويصلي ركعتين لله ويطلب منه المغفرة والعفو والصفح.. بعدها عرض عليه القائد بعض الطعام والشراب فرفض في أدب جم.. ثم قاده الجنود إلى باب جانبي دخل منه فرأى المشنقة لأول مرة.. فارتعد جسمه وتنفس الصعداء حيث رأى الحبل يتدلى من أعلى وكأنه حيوان خرافي يستعد للقبض على عنقه وقد فتح فاه.. بعد ذلك أشير إليه أن يقف على مربع فوق الأرض تحت الحبل مباشرة.. وقد أغمض عينيه وهو يتلو الشهادتين حسبما أوصاه الشيخ.. وبينما كانت الأنشوطة تضوع حول عنقه تطلع حوله ورأى موظفي المحكمة يقفون حوله في أماكنهم.. ولم يكن بينهم أحد من الدبلوماسيين الإسرائيليين.. وكما لو كان تذكر فجأة أنه على قيد خطوات بل خطوة من الموت وقد خذلته تل أبيب صاح قائلاً في مرارة: "ليذهب الجنس البشري إلى الجحيم". ثم جذبت الرافعة وفتح الغطاء تحت أقدامه.. وجاء في التقرير الرسمي: "إن الحياة المدهشة لرجل من أعظم الجواسيس نجاحًا قد انتهت نهاية شائنة في تمام الساعة العاشرة و36 دقيقة".

ومع مرور الوقت ترددت أنباء عن موت مينو وفوكوليتش في السجن.. بينما خرج كلوزن محطمًا لا يكاد يقوى على الحركة.. فاستقبلته زوجته التي كانت في سجن النساء وشملها العفو.. وفي غمرة السلام ترددت شائعة أن وجدي لا يزال على قيد الحياة.

كان نادي الابتهاجات السبعة وهو ناد ليلي فاخر في لندن مزدحمًا ذات مساء حيث جلس المستمعون من الأوربيين يصغون إلى نجمة الطرب الفرنسية التي استولت على مشاعر رواد الملهى.. وفجأة ضعفت نبرات صوتها وسكتت عن الغناء.. فقد كانت تختلس النظر إلى شخص يجلس بجانب مدخل الصالة وما لبثت أن أطلقت صيحة وأسرعت بالتوجه إلى غرفة ملابسها حيث التقطت

معطفها وحقيبة يدها وغادرت النادي مهرولة من الباب الخلفي. وجرى خلفها رجلان من موظفي النادي ليستطلعا الخبر ورأياها تستدير عند إحدى النواصي.. وإذا بثلاث طلقات من مسدس تدوي في الظلام.. والتزما جانب الحرص. وهما في طريقهما إليها.. فوجداها ملقاة على الأرض جثة هامدة.. وكانت هذه الفتاة هي "لومي" التي غدرت بوجدي منذ أمد بعيد.. كما كانت المرأة الوحيدة التي تعلم كيف يحبها بعاطفة عميقة.. وقد اغتيلت الآن.. فمن الذي اغتالها؟.

ولعله من المحتمل أن يكون حكم الإعدام لم ينفذ بالفعل في وجدي فقد كان وضعه مختلفًا عن فرانسوا.. فقبل عدة أسابيع من حكم الإعدام ادعى وجدي أنه مواطن إسرائيلي وبذلك قطع صلاته مع زملائه السابقين في السفارة المصرية كما انقطعت مقاصده وأغراضه عن العالم ولا يعرف أن أحدًا من الدبلوماسيين الإسرائيليين زاره في سجنه بطريقة سرية.. ولعل السبب الوحيد المنطقي لاتخاذه هذا القرار هو أن الفرنسيين أغروه بالاعتراف بأنه مواطن إسرائيلي كضرورة لازمة في المفاوضات السرية حول مصيره.. ولذلك ساوره شعور باحتمال مساعدته من السفارة الإسرائيلية.. ولعل عدم وجود من يمثله وقت تنفيذ الإعدام من الدبلوماسيين الممثلين لدولته يوضح أن السبب إنه لم يكن هناك إعدام ولذلك لم يصرح للشهود الأجانب بحضور التنفيذ.. كذلك لم يخطر أحد من معارفه بضرورة استلام الجثة في وقت محدد كما حدث بالنسبة لفرانسوا.. والتفسير الوحيد لذلك أنه ربما سلم حيًّا لحراس إسرائيليين انطلقوا به بعيدًا.. وتردد أن وجدي كانت له علاقة قوية برئيس إحدى الدول الأوربية.. وربما تدخل لإنقاذه من المشنقة في الوقت المناسب ولعب دورًا مهمًا عن طريق وسطاء لإنقاذ رقبته.. أما لماذا قضت "لومي" نحبها على هذه الصورة المريعة بطلقات نارية بعدما غدرت بوجدي؟.

فذلك سؤال تتردد له تفسيرات كثيرة.. منها أنه يحتمل أن يكون الاغتيال تم

بيد أحد عناصر الموساد.. لكن كيف يحدث ذلك وقد ظلوا صامتين حتى نفذ الإعدام في وجدي؟ وإذا كانوا لم يلوذوا بالصمت وأعيد وجدي إلى وطنه بطريق التبادل إذن كان له مطلق الحرية أن يسافر إلى لندن لؤية "لومي".

كذلك كانت "لومي" في حالة من الرعب فقد كان الشخص الوحيد في حياتها الذي يتوقع أن يرتكب هذه الجريمة هو وجدي.

وأخيرًا ففي ذلك الوقت ـ حين ماتت لومي ـ كان أحد الصحفيين الأمريكان مع دبلوماسي فرنسي يتناولان الخمر في أحد بارات لندن. وفجأة تمتم الدبلوماسي بكلمة "وجدي" ثم اتجه نحو رجل يقف في الطرف الآخر من البار وأخذ يتحدث معه فهز الرجل رأسه وتجرع قدحه ثم خرج مسرعًا.

وهذا الفرنسي كان على يقين من أن ذلك الرجل هو وجدي وعندما قابلته في روما بعد ذلك بسنوات لم يكن بحاج لأن يقسم بأن هذا الرجل هو وجدي. وأخيرًا أود أن أسجل أنه من خلال خدمتي العسكرية فإن تبادل الجواسيس المعتقلين ممن لهم قيمة معينة مبدأ يؤخذ به بصف عامة.

وفي بعض القضايا كان الجواسيس يحاكمون وبعد أن تثبت إدانتهم يحكم عليهم بالإعدام أولاً ثم يذاع التنفيذ في بيان قصير على الصحف التي هي المصدر الأول والأخير لإبلاغ الرأي العام.. بعد ذلك يتم التبادل بطريقة سرية.. ثم إن إذاعة الإعدام أمر ضروري ليس فقط لاقناع الجمهور بأن العدالة تأخذ مجراها ولكن لتحذير أشد أثرًا وأكبر قيمة من إعدام الجاسوس فعلاً.. لأن الرجل الميت لا قيمة له على حين أن الجاسوس الحي ـ خاصة من طراز وجدي ـ يمكن استخدامه في المساومات الدولية.

# الفهرس


| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| الفصل الأول : | 5 |
| الفصل الثاني : | 13 |
| الفصل الثالث : | 27 |
| الفصل الرابع : | 37 |
| الفصل الخامس : | 45 |
| الفصل السادس : | 57 |
| الفصل السابع : | 65 |
| الفصل الثامن : | 75 |
| الفصل التاسع : | 87 |
| الفصل العاشر : | 95 |
| الفصل الحادي عشر : | 103 |
| الفصل الثاني عشر : | 107 |
| الفصل الثالث عشر : | 113 |
| الفصل الرابع عشر : | 121 |
| الفصل الخامس عشر : | 129 |


openkandi.com

obeikandl.com